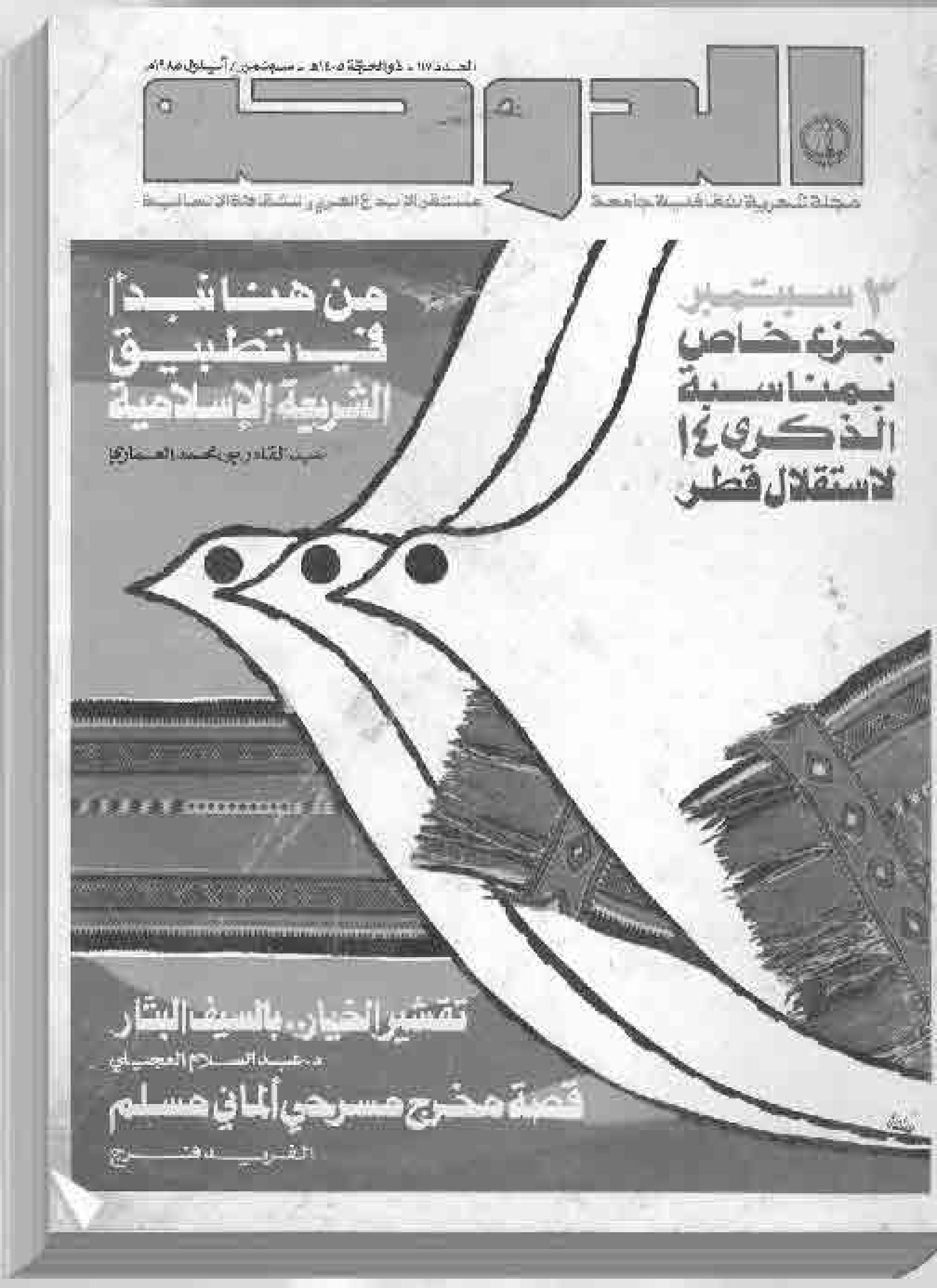

العدد ١١٧ ـ ذو الحجة ١٤٠٥هـ ـ سبتمبر / أيلول ١٩٨٥م
الدوحة
مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية
من هنا نبدأ في تطبيق الشريعة الإسلامية
عبد القادر بن محمد العماري
٣ سبتمبر
جزء خاص بمناسبة الذكرى ١٤ لاستقلال قطر
تفسير الخيار.. بالسيف البتار
د. عبد السلام العجيلي
قصة مخرج مسرحي ألماني مسلم
الفريد فرج

في الذكرى ١٦ لجريمة إحراق المسجد الأقصى



الكتابة عن المسجد الأقصى ، ومدينة القدس ، لايجوز أن تتوقف ، والتنبيه إلى المخاطر الجسيمة التي يتعرض لها المسجد الأقصى ، يجب أن تستمر ، حتى يتم تحرير المسجد ، وتحرير القدس وفلسطين من الصهاينة الغاصبين .. ذلك أن المسجد الأقصى ، يمثل قلب معادلة الصراع العربي الصهيوني في جوهرها الحضاري والذاتي .

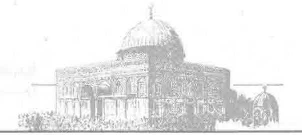
وقد يكون من نافل القول ، بعد ست عشرة سنة من محاولة إحراق المسجد الأقصى ، أن نكرر القول ، بأن الصراع بين العرب والحركة الصهيونية ، هو صراع حضاري ، قبل أن يكون صراعا عسكرياً أو اقتصادياً ... لكن المحاولات الساذجة أحيانا ، والخبيثة أحيانا أخرى ، لتسطيح هذا الصراع وتبسيطه ، تجعل من عملية قرع « جرس الانذار » ، واجبا وطنياً وقومياً لايجوز التخلي عنه أو تجاهله .. وعلينا أن نتذكر كيف سطا الصهاينة على التراث العربي الفلسطيني ، وقدموه للعالم على أنه تراث يهودي ضارب في أعماق التاريخ ، مثل سطوهم على اللباس الفلسطيني التراثي ، وبعض الآثار الكنعانية العربية .

إحراق المسجد الأقصى

من هنا تأتي أهمية التنبيه للمخاطر الداهمة التي يتعرض لها المسجد الأقصى ، باعتباره أحد أهم شواهد الحضارة العربية والاسلامية ، وباعتبار أن الصهاينة يملكون البديل الحضاريل المسجد ، ألا وهو هيكل سليمان ، لذلك لم يكف الصهاينة ولن يكفوا مادامت لهم شوكة ، عن محاولة هدم المسجد الأقصى وتقويضه وإزالته من الوجود ، لبناء هيكل سليمان المزعوم مكانه ، فكما أن المسجد الأقصى هو أحد أعمدة صرح الحضارة العربية والاسلامية ، فهيكل سليمان ، هو لب « الحضارة اليهودية » المزعومة ، وقد لخص دافيد بن غوريون ، هذه القضية ، بالمعادلة التالية :

« إنه لا معنى لاسرائيل بدون القدس ، ولامعنى للقدس بدون الهيكل » ! !

وقد جاءت عملية إحراق المسجد الاقصى في ٢١ آب (أغسطس) ١٩٦٩ : كواحدة من المحاولات الصهيونية لهدم المسجد ، وبناء الهيكل على أنقاضه ، فقد استخدم الصهاينة في تنفيذ تلك الجريمة مواطنا استرالياً يدعى مايكل دنيس روهان ، بعد إجراء عملية غسيل دماغ له في إحدى المستوطنات الزراعية ، وكان المدخل الذي بدأت منه عملية التحريض على جريمة إحراق المسجد الأقصى ، انتماء هذا الرجل لكنيسة مسيحية (متصهينة) ، تدعى « كنيسة الله » ، حيث يزعم اتباع هذه الكنيسة ، بأن المسيح (كلمة مسيح تعني المخلص) ، لن ينزل الى الأرض ، لتخليص شعبه (اليهود) ، إلا بعد بناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى ، ثم قيادة هذا الشعب في طريق السيطرة والقوة ، للقضاء على أعدائه (من الغوييم أي غير اليهود) .



ومنذ محاولة روهان لاحراق المسجد الاقصى ، والمؤتمرات الصهيونية لتقويض المسجد لاتكاد تتوقف ، وقد كان آخرها محاولة نسفه بالمتفجرات ، فقد باغت اثنان من حرس المسجد العرب ، مجموعة من الصهاينة ، كان أفرادها يحملون كميات كبيرة من المواد المتفجرة داخل ستة صناديق ، لتسريبها الى داخل المسجد الأقصى .

ومن الاعتداءات الصهيونية البارزة على المسجد ، ذلك الاعتداء الذي قامت به عصابة الحاخام « مئير كهانا » ، وعصابة مايسمى « لجنة أمناء جبل الهيكل » عندما حاول أفراد هاتين العصابتين ، وبينهم جنود في الجيش ، اقتحام المسجد الأقصى في ١٩٨٢/٤/١١ لأداء الصلوات اليهودية فيه ، وقد تصدى لهم عدد من المواطنين العرب وحراس المسجد ، واشتبكوا معهم بالأيدي ، وفي غضون ذلك قام جندي صهيوني كان يرتدي لباس المظليين ، باطلاق النار من بندقيته على الحراس فاستشهد اثنان منهم وأصيب ثالث بجروح خطيرة ، ثم اقتحم الجندي الصهيوني المسجد الأقصى ، وأخذ باطلاق النار بشكل جنوني وحاقد في جميع الاتجاهات ، وأشعل النار في عدد من السجاجيد ، وأطلق النار على المصلين ، وعندما هرع عدد من المواطنين العرب الى المسجد الأقصى لاستطلاع مايحدث ، هاجمهم الجندي الصهيوني بنيران بندقيته ، فسقط عدد من القتلى وعدد من الجرحى ، بلغ مجموعهم ١٧ شخصاً ، ثم تابع الجندي ، وباعصاب باردة ، اطلاق النار داخل المسجد على الأضواء والثريات والمنبر ، وفي هذه الأثناء دخل ثلاثة عشر شابا الى المسجد الأقصى لمحاولة إخراج الجندي الصهيوني منه ، لكن هذا أطلق النار عليهم ، فلم ينج منهم سوى مواطن واحد ، وعندما تقاطر المواطنون العرب على المسجد ، على أصوات المؤذنين ، من القدس والقرى المجاورة بالألوف ، تدخل جيش العدو ، وأطلق النار والقنابل المسيلة للدموع على المواطنين العرب ، فأصيب سبعة منهم بجروح .

وقد تبين فيما بعد أن الجندي الصهيوني المجرم الذي أطلق النار ، في ساحة مسجد عمر والمسجد الأقصى ، يدعى « إليوت غودمان » ، وقد هاجر الى فلسطين المحتلة في عام ١٩٧٦ قادماً من الولايات المتحدة ، وأنه طالب في مدرسة تلمودية ، وعندما سئل « غودمان » عن سبب فعلته قال بكل وقاحة : « لقد كان من واجبي أن أفعل هذا » .



هرتسل : إذا حصلنا على القدس .. فسأزيل كل شيء غير مقدس لدى اليهود في المدينة .. وسأحرق الآثار التي مرت عليها القرون ! !



بن غـوريون : لا معنى لإسرائيل بدون القدس ولا معنى للقدس بدون الهيكل

وفي الواقع فان المحاولات الصهيونية ، لهدم المسجد الأقصى وتقويضه ، عديدة جداً ، لكن يحسن بنا أن نختتم الحديث عنها ، بالمحاولة التي أعدها الحاخام « مئير كهانا » ، فقد عثرت قوات الأمن الصهيونية وبمحض الصدفة ، على مستودع كبير ملىء بالمتفجرات بتاريخ ١٩٨٠/٥/١١ ، وتبين أنه تابع « لعصبة الدفاع اليهودية » التي يتزعمها « كهانا » وكان المستودع قد بني على سطح إحدى المدارس الدينية اليهودية بالقدس المحتلة ، وقد أعتقل الحاخام كهانا مع عدد من أتباعه بينهم جنديان ، بتهمة سرقة أسلحة ومتفجرات من مستودعات الجيش الاسرائيلي ، للإعداد لنسف المسجد الأقصى ، وقد جاء اكتشاف هذه المتفجرات ، قبل أيام معدودة من الموعد الذي حدده كهانا لتفجير المسجد الأقصى ، واعترف هذا الحاخام الصهيوني في محاضرة ألقاها في ١٩٨٠/١٢/٢٤ ، بأن الجيش الاسرائيلي أخطأ خطأ قاتلاً ، لأنه لم يهدم المسجد الأقصى بعد احتلاله في عام ١٩٦٧ .

الحفريات حول المسجد الأقصى

سلك الصهاينة أسلوبا آخر غير النسف والهدم المباشر ، في عدوانهم ضد المسجد الأقصى ، ويقوم هذا الأسلوب ، غير المباشر ، على الحفريات حول المسجد وتحته من الناحيتين الغربية والجنوبية ، والهدف الحقيقي لذلك ، هو تخريب دعائم المسجد الأقصى وأساساته ، وتصديع جدرانه ، تحت ذريعة البحث عن بقايا هيكل سليمان ، إلا أن هذا الأسلوب لايقل خطورة عن الأسلوب الأول الذي يعتمد النسف والهدم بالمتفجرات .

وقد ترافقت الحفريات الاسرائيلية هذه ، مع هدم وإزالة جميع المباني الاسلامية ، من معاهد ومساجد وزوايا وأسواق ومساكن ومقابر ، كانت قائمة فوق منطقة الحفريات ، وملاصقة أو مجاورة لحائط البراق (حائط المبكى) ، وقد حدد السيد روحي الخطيب ، أمين القدس المبعد عن وطنه ، مراحل الحفريات الاسرائيلية ، بتسع مراحل حتى أواخر عام ١٩٨١ ، يمكن ايجازها بما يلي :

المرحلة الأولى : جرت على امتداد ٧٠ مترا من أسفل الحائط الجنوبي للحرم القدسي ، خلف جزء من جنوب المسجد الأقصى ، وأبنية جامع النساء ، والمتحف الاسلامي والمئذنة الفخرية الملاصقة له ، ووصل عمق هذه الحفريات الى ١٤

معركة حضارية أولاً وأخيراً

متراً . وهي تهدد مع مرور الزمن باحداث تصدعات في هذا الحائط والأبنية الدينية والحضارية والأثرية الملاصقة له . .

المرحلة الثانية : بدأت حيث انتهت المرحلة الأولى . واتجهت شمالاً حتى تصل الى أحد أبواب الحرم الشريف المسمى « باب المغاربة » مارة تحت مجموعة من الأبنية الإسلامية التابعة للزاوية الفخرية) مركز الامام الشافعي » . وعددها ١٤ مبنى ، تصدعت جميعها ، ثم أزالها الاسرائيليون بالجرافات بتاريخ ١٩٦٩/٦/١٤ .

المرحلة الثالثة : وقد امتدت من مكان يقع في أسفل مبنى المحكمة الشرعية القديمة (أقدم المباني التاريخية الاسلامية في القدس) ، مارة بأسفل خمسة أبواب من أبواب الحرم القدسي ، وعلى امتداد ١٨٠ متراً ، وفوق مجموعة من المباني الدينية والحضارية والسكنية والتجارية ، تضم مساجد قايتباي الأثرية الأربعة . وسوق القطانين وهو أقدم سوق أثري عربي إسلامي في القدس ، وعدداً من المدارس الأثرية ومساكن يقطن فيها ثلاثة آلاف عربي . وقد تسببت هذه الحفريات التي تراوح عمقها مابين ١٠/١٤ متراً ، في تصديع عدد من المباني ، منها الجامع العثماني ، ورباط الكرد . والمدرسة الجوهرية . وكلها عقارات دينية وحضارية ، مايزال خطر الانهيار يتهددها بسبب هذه الحفريات .

المرحلتان الرابعة والخامسة : وقد امتدت الحفريات لمسافة ثمانين مترا خلف الحائط الجنوبي الممتد من أسفل الجانب الشرقي للمسجد الأقصى وسور الحرم ، وقد اخترقت هذه الحفريات الحائط الجنوبي في منتصف عام ١٩٧٤ ، ووصلت منه الى المسجد الأقصى بعمق عشرين متراً ، وأصبحت تعرض السور والمسجد الأقصى لخطر الانهيار .

المرحلة السادسة : وقد بدأت في المنطقة الواقعة ما بين باب السيدة مريم والباب الذهبي ، وهي تهدد بازالة وطمر القبور الاسلامية التي تضمها أكبر مقبرة إسلامية في القدس وفيها رفات الكثير من رجال الدين والعلم والحكم الاسلامي ، في مقدمتهم الصحابيان : عبادة بن الصامت ، وشداد ابن أوس الأنصاري .

المرحلة السابعة : وفي هذه المرحلة بدأ العدو الصهيوني بتعميق ساحة البراق الشريف ، الملاصقة للحائط الغربي ، وقد أزال الصهاينة معظم المبنى عقار عربي اسلامي بعد هدمها في هذه المنطقة ، والتي كان يقطنها ثمانمئة مواطن عربي ، تم تشريدهم جميعاً . ويعرض مشروع الحفريات الصهيونية في هذه الساحة ، مبنى المحكمة الشرعية القديمة ، المعروفة بالمدرسة التنكوية ، وكذلك مبنى المكتبة الخالدية ، وزاوية مسجد « ابو مدين الغوث » ، وكلاهما من الأوقاف الاسلامية ، بالاضافة الى ٣٥ عقاراً يسكنها ما لايقل عن ٢٥٠ عربياً .

المرحلة الثامنة : وتتناول منطقة تقع خلف الجدران الجنوبية للمسجد الأقصى ، وتستهدف اكتشاف مايسمى « بمدافن ملوك اسرائيل » .

المرحلة التاسعة : وفي هذه المرحلة من الحفريات الصهيونية التي بدأت في منتصف عام ١٩٨١ ، شرع الصهاينة في اختراق الحائط الغربي ، حيث وصلوا الى نفق قديم ، وهو أثر إسلامي خالص ، يمتد مابين الحائط الغربي للحرم القدسي ، في الموقع المسمى بالمطهرة مابين بابي السلسلة والقطانين ، وسبيل قايتباي المواجه لقبة الصخرة المشرفة . وقد أدت هذه الحفريات ، التي نجم عنها تصديع الأروقة الغربية مابين بابي السلسلة والقطانين ، الى انتفاضة واسعة النطاق في الأراضي العربية المحتلة ، كان من نتائجها إغلاق هذا النفق ، خاصة وأن علماء الآثار الصهاينة لم يجدوا ما يشير من قريب أو بعيد الى صلته بالاسرائيليين القدماء أو هيكل سليمان .

هل اقترب موعد الهدم ؟

منذ ثلاث سنوات ، والمدارس الدينية اليهودية في البلدة القديمة القدس المحتلة ، في تزايد مستمر ، خاصة في الأحياء المجاورة لمسجد الأقصى ، والهدف المعلن لهذه المدارس التي تنتمي الى حركات دينية وسياسية مختلفة ، هو تدريس أصول الدين اليهودي للشبان والأجيال اليهودية الناشئة ، لكن الهدف الحقيقي والأهم وغير المعلن ، هو استنبات كوادر من اليهود المتعصبين والمهووسين ، للقيام بهدم المسجد الأقصى ، وبناء الهيكل « الثالث » على أنقاضه .

والتطور الخطير في هذا المجال ، هو تعاظم سطوة الأوساط الدينية الاسرائيلية التي ترفع شعار « حق اليهود في الصلاة في المسجد الأقصى » ، وتدعم هذه الأوساط ، مجموعات مسيحية غريبة الأطوار ، وتنتشر في مختلف الدول الغربية .

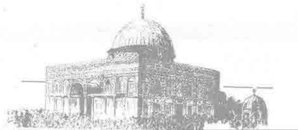
ومن بين المؤيدين لفكرة بناء هيكل سليمان في ساحة الحرم الشريف ، كل من الحاخام دافيد ليف حاخام مدينة تل ابيب ، ودافيد شلوش حاخام مدينة ناتانيا ، وشار يشوف حاخام مدينة حيفا ، اضافة الى الحاخام الأكبر لليهود الشرقيين مردخاي إلياهو ، والحاخام الأكبر السابق لليهود الغربيين شلومو غورين . وتقف حركة « أمناء جبل الهيكل » التي أسسها غرشون سلمون في أواخر عام ١٩٦٧ ، على رأس القوى الصهيونية الساعية إلى تهويد المسجد الأقصى ، وهذه الحركة تقوم عادة باقتحام المسجد الأقصى في المناسبات الدينية ، كما تنظم التظاهرات الداعية الى التهويد بين الفينة والأخرى . أما « حركة الحشمونيم » التي يتزعمها يوئيل ليرنر . فهي أكثر عنفاً وتطرفاً في دعوتها لهدم المسجد الأقصى ، فقد اعتقل ليرنر هذا بتهمة التسلل الى ساحة المسجد ، ومحاولة نسف مسجد الصخرة والمسجد الاقصى ، « لتحريرها من الغرباء ! ! » ، وصرح ليرنر الذي يتخذ مقراً له في القطاع الشرقي من القدس المحتلة ، لصحيفة « هارتس » : « إنه يجب القيام بعملية ما ضد المسجد الأقصى ، وإن نسفه لن يؤدى الى توحيد العالم الاسلامي ضد إسرائيل ، لأن ذلك لن يكون أسوأ من يوم الاعلان عن قيام « اسرائيل » .

أما أكبر المتآمرين المتلهفين على هدم المسجد الأقصى ، فهو الحاخام يسرائيل أريئيل ، الذي يقيم في الحي اليهودي من القدس القديمة ، وقد سبق لهذا الحاخام وارتبط اسمه بالعديد من المحاولات العدوانية ، ضد المسجد ، كان آخرها محاولة مجموعة من طلابه التسلل الى المسجد الأقصى تحت جنح الظلام .

وهناك ايضا ، حركة تطلق على نفسها اسم « الى جبل الله » ، وهي تتخذ من مستوطنة « عوفره » بالضفة الغربية المحتلة مقراً لها ، وقد امتنعت هذه الحركة منذ فترة عن ممارسة نشاطاتها بشكل علني .

وفي القطاع الشرقي من القدس المحتلة ، توجد مدرسة كتب على واجهة مبناها « عطيرت كوهليم » ، وهذه المدرسة الدينية ، تعمل على إعداد رجال الدين اليهود ، من أجل القيام بالشعائر الدينية في هيكل سليمان الذي ينوي القائمون على المدرسة بناءه في ساحة المسجد الأقصى ، ومن المضحك المبكي في الهوس الصهيوني هذا ، أن أحد رجال الدين اليهود واسمه دافيد البوم ، يقوم بخياطة الملابس التي سوف يستخدمها الكهنة اليهود عند تدشين هيكل سليمان قريباً .

كما أعلن مؤخراً في القدس المحتلة ، عن تأسيس عصابة صهيونية جديدة تحت اسم



« منظمة عطار اليوشنا » ، هدفها تهويد القدس ، وطرد سكانها العرب ، وهدم المسجد الأقصى ، لبناء هيكل سليمان مكانه .

وبالطبع فإن هناك عصابة « كاخ » التي يتزعمها الحاخام مئير كهانا . وهي وريثة « عصبة الدفاع اليهوديه » التي أسسها هذا الحاخام في الولايات المتحدة أولاً قبل قدومه الى فلسطين المحتلة ، ثم عصابة « غوش ايمونيم » التي يتزعمها الحاخام موشي ليفنغر ، وهاتان العصابتان لاتخفيان عقيدتهما الارهابية لتهويد القدس وكل الأراضي العربية المحتلة ، وتدمير المسجد الأقصى لبناء هيكل سليمان مكانه .

وتجتمع هذه العصابات كلها حول ضرورة هدم المسجد الأقصى ، في أقرب فرصة ممكنة . لبناء الهيكل ، لأن ذلك في زعمها يقرب موعد قدوم « المسيح الذي سيخلص شعبه اليهودي من الآلام والعذاب ، ويقوده للسيطرة على جميع الشعوب الأخرى والسيادة عليها ! ! » .

لكن .. إذا كانت هذه هي عقائد العصابات الصهيونية ، فان من المستهجن فعلاً ، أن تقوم حركات دينية مسيحية ، تشاطر هذه العصابات أفكارها ، ومن بين هذه الحركات « السفارة المسيحية العالمية في القدس » ! ، وقد تأسست هذه « السفارة » قبل أربع سنوات ، احتجاجا على نقل السفارات الأجنبية من القدس الى تل أبيب ، في أعقاب « القانون » الذي أقره الكنيست الصهيوني في حينه ، والذي اعتبر المدينة « عاصمة أبدية لاسرائيل » ، أما مؤسسو هذه « السفارة » فهم عائلة : الزوج فيها هولندي يؤمن حسب زعمه ، بأن المسيحي الحقيقي هو الذي يحب اليهود ، أما الزوجة فهي مسيحية من السودان ، وابنهما « العشريني » الذي يخدم في الجيش الاسرائيلي ، وتضم هذه « السفارة المسيحية » ٢٥ موظفاً ، وهي تصدر منشورات دورية تطالب العالم المسيحي بمساعدة اسرائيل ، وتتحدث عن حق اليهود في بناء هيكل سليمان « الهيكل الثالث » على أنقاض المسجد الأقصى .

أولى القبلتين وثالث الحرمين

إن المسجد الأقصى ، الذي يتعرض لكارثة حقيقية اليوم ، هو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، حيث كانت القدس قبلة المصلين في سني الاسلام الأولى ، وهو مؤلف من قبة الصخرة ومسجد ملحق بها ، وساحة تنتهي عند حدود حائط قديم ، يزعم اليهود أنه من بقايا هيكل سليمان ، ملكهم السابق ، وهو حائط البراق أو الحائط الغربي . وكان الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، قد أمر ببناء المسجد الأقصى في عام ٦٨٥م (٦٦ هـ) ، واستكمل بناءه من بعده ، ابنه الوليد ابن عبد الملك في عام ٦٩١م (٧٢ هـ) .

وتبلغ مساحة الحرم الشريف ١٤٤ ألف متر مربع ، اي سدس مساحة القدس القديمة ، وتعتبر قبة الصخرة التي بناها عبد الملك بن مروان ، والتي تقوم على قاعدة من ثمانية أضلاع ، مثالا رائعاً للفن الاسلامي في القرن الثامن ، ويبلغ طول المسجد الأقصى ٩٠ مترا ، وعرضه ٦٠ مترا ، ويمكن أن يتسع لخمسةآلاف من المصلين ، وهو كقبة الصخرة المشرفة ، مزين بفسيفساء جميلة للغاية ، وبآيات قرآنية ، نقشت على جدرانه المرمرية .

وفي العهد العباسي ، جرى ترميم المسجد الأقصى ، وفي العهد الفاطمي حدث زلزال كبير أصابه بأضرار بالغة ، فأعيد ترميمه في عام ١٠٢٢م بأمر من الخليفة الفاطمي « الظاهر لاعزاز دين الله » ، وفي عهد الصليبيين حول هؤلاء المسجد الى كنيسة ، لكن صلاح الدين الأيوبي ، أعاده مسجداً كما كان بعد انتصاره على الصليبيين ، وأزال معالم الكنيسة الطارئة عنه ، وظل الخلفاء والأمراء المسلمون المتعاقبون ، يرممون المسجد الأقصى ، كلما نال منه الزمن أو الكوارث أو المحتلون ، مضيفين تحسينات الى القبة والجدران والأبواب ، وقد سار على هذا المنوال ، السلاطين العثمانيون حتى انهيار إمبراطوريتهم .

ونعود الى القول ، إن سعي الصهاينة المتواصل والمتصاعد ، لهدم المسجد الاقصى ، من أجل بناء هيكل سليمان مكانه ، هو الدليل الدامغ ، على أن الصراع بين العرب والصهاينة ، إنما هو صراع حضاري قبل كل شيء ، وقد قال زعيم الصهيونية ومؤسسها ، « تيودور هرتسل » قبل أكثر من ثمانين عاما مايلي : « اذا حصلنا يوماً على القدس ، وكنت ما أزال حياً وقادراً على القيام بعمل ما ، فلسوف أزيل كل شيء غير مقدس لدى اليهود في المدينة ، ولسوف أحرق الآثار التى مرت عليها قرون ! ! ! » .

عصام شريح

هيكـــــل سليمـــــان

ينسب الى سليمان بن داود ، انه شيد المعبد المعروف باسمه « هيكل سليمان » ، بيد ان المؤرخ الاميركي اللبناني الاصل فيليب حتي ، يذكر في كتابه « تاريخ سورية » ، ان هيكل سليمان الذي تعتبره التوراة مثلاً لأوج « عظمة سليمان » ، انما هو من صنع الفينيقيين الصوريين (أهل مدينة صور بجنوب لبنان) ، وقد بناه هؤلاء على نمط المعابد الكنعانية ، كما أن قصر سليمان في « أورشليم » ، هو من صنع الفينيقيين أيضا ، وحتى تسمية « الهيكل » مأخوذة ، كما يذكر « طه باقر » في كتابه « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » ، من كلمة « هيكال » الكنعانية .

وكان خراب الهيكل الأول ، أو تدميره ، على يد الملك الكلداني نبوخذنصر الذي فتح القدس وأحرق الهيكل وجميع بيوت اليهود في « أورشليم » ، وسبى زهاء ٥٠ ألف أسير يهودي الى بابل ، وذلك في عام ٥٨٦ ق . م . وهذا مايطلق عليه اليهود خراب الهيكل الأول .

وقد بنى اليهود الهيكل ثانية ، في عهد « قورش » الفارسي ، الذي احتل سورية وفلسطين بما فيها القدس « أورشليم » ، فسمح لمن أراد من أسرى نبوخذ نصر ، بالرجوع الى فلسطين ، وأعاد إليهم كنوز الهيكل التي كان الملك الأكادي قد نقلها الى عاصمة ملكه بابل ، وأمر الملك الفارسي « قورش » باعادة بناء هيكل سليمان على نفقته ، فبدأ اليهود العائدون من الأسر البابلي ، ببناء الهيكل ، لكن لم يتمكنوا من استكمال بنائه ، إلا في عهد الملك الفارسي « دارا الأول » في عام ٥١٥ ق . م .

وبعد زوال الحكم الفارسي عن بلاد الشام ، ودخول الرومان اليها ، قام اليهود بثورات ضد الرومان بسبب الضرائب الباهظة التي فرضها هؤلاء عليهم ، وقد تمكن الامبراطور الروماني « فسبسيان » من القضاء على ثورة اليهود ، ودخل « أورشليم » عام ٧٠ ميلادية ، وأوقع مذبحة مريعة في سكانها من اليهود ، وخرب المدينة وأحرق هيكل سليمان ، وأزاله من الوجود تماماً ، بحيث لم يعد أحد يهتدى الى موضعه الذي كان فيه .

والآن .. وبعد اغتصاب فلسطين على يد الصهاينة ، يحلم هؤلاء مجدداً باعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى ، وهم يطلقون على هذه المرحلة ، اسم مرحلة بناء الهيكل الثالث ! !

من هنا نبدأ في تطبيق الشريعة الإسلامية

بقلم: عبد القادر بن محمد العماري

نشرت الصحف أخيرا بأن أحد منتجي الأفلام في مصر ذبح عجلين على باب الأستوديو لطرد الأرواح الشريرة لأنه يعتقد أن المنتجين الآخرين حسدوه بعد أن تمكن من جمع الفنانتين يسرى ورغده في الفيلم الذي ينتجه المسمى (النشالات الفاتنات) ، وذلك لأنه لاحظ أن بعض العاملين مرضوا أثناء قيامهم بالتمثيل ، فمن الممثلات من أصيبت بنوبة برد ، ومنهن من أصيبت بانهيار عصبي ، ومنهن من أصيبت بحساسية . وتقول الصحيفة التي نقلت الخبر إنه بعد أن ذبح المنتج العجلين لم يصب أحد من العاملين في الفيلم بأي مرض حتى تم اخراج الفيلم ؛ فذبح العجلين حقق الهدف منه بابعاد الاصابة من المرض .

المفترض أن منتج الفيلم رجل مثقف ، لايؤمن بالخرافات . ومن المؤسف أننا نرى كثيرا من المثقفين ، وبعضهم دكاترة يحملون دكتوراه في الشريعة أو الفلسفة وغير ذلك من العلوم ، يؤمنون بمثل هذه الخرافات . وفي مجلة آخر ساعة مثلا بالعدد (٢٦٤٢) المؤرخ ٢٤/ رمضان ١٤٠٥هـ . يحكي لنا رجل يدعى د . محمد مصطفى حلمي عن الصوفي عمر بن الفارض أمورا لايصدقها العقل ، مثل أنه يرى مكة من القاهرة ، وكذلك شيخه البقال الذي أطلع ابن الفارض على السر ، وأن ابن الفارض كان يعيش بين الوحوش في أودية مكة ثم استدعاه شيخه البقال بعد ست عشرة سنة قضاها في مكة وكان اتصاله به عن طريق الاتصال الروحي الغيبي ، وأنه سمعه من مكة يقول له : احضر ياعمر (يلاحظ أن ذلك قبل اختراع اللاسلكي والتليفون) ويورد الدكتور هذه المعلومات بطريقة تدل على ايمانه بصدقها .

وفي تحقيق لآخر ساعة بالعدد رقم (٢٦٣٨) المؤرخ ٢٥ / شعبان ١٤٠٥ هـ . عن صناديق النذور أن رجلا فقيرا ذبح عجلا للشيخ عندما أنجبت زوجته بعد عشرة أعوام من العقم ، وآخر اقتطع من معاش أولاده بضع جنيهات لعدة شهور ليوفي نذرا للشيخ ، وبعض النساء بعن مصوغاتهن ليوفين بنذر للشيخ . فتدخل صناديق النذور ملايين الجنيهات ولايدخل منها شيء لجيوب الفقراء ، وأن أكثر هذه الأموال تذهب الى جيوب من يسمون خلفاء ، وحامل المفاتيح من أهل الطرق الصوفية .

وكثير من هؤلاء مثقفون ، وبعضهم أساتذة في الجامعات ، وعلماء الدين أكثرهم يقر هذه الخرافات أو يسكت عنها ، وحتى المسئولون من العلماء في السلطة لايحاولون إرشاد الناس الى الطريقة الصحيحة لتقديم صدقاتهم . ولم أجد من انتقد هذه الخرافات من كبار العلماء في العصر الحديث في مصر إلا الشيخ محمود شلتوت ، رحمه الله ، ومايفعل في مصر يفعل أيضا في كثير من مناطق العالم الاسلامي ، كالشام والعراق وباكستان والهند وغيرها .

ونقول لأولئك ولهؤلاء إن تطبيق الشريعة الاسلامية الذي يطالب به كثير من المسلمين اليوم يبدأ من تصحيح العقيدة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما جاء بالاسلام بدأ بالعقيدة . وقد يقول قائل إن أولئك الذين كانوا في أيام الرسول هم مشركون ويعبدون الأصنام ، أما هؤلاء فهم مسلمون يعبدون الله ويعتقدون أنه هو النافع والضار . ونقول لهؤلاء إن المشركين الذين يعبدون الأصنام ودخلوا في معارك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل الاحتفاظ بأصنامهم وعقائدهم الخرافية كانوا أيضا يؤمنون بالله ، ويعتقدون أنه الخالق النافع والضار . قال تعالى : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون) العنكبوت : ٦١ . وقال تعالى : (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون) . يونس ٣١/٣٢ . وقال تعالى : (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لايعقلون) العنكبوت/٦٣ . وقال تعالى (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون) الزخرف/ ٨٧ . وقال تعالى : (ويعبدون من دون الله ما لايضرهم ولاينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) يونس/١٨ . وقال تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) . الزمر/٣ .

● تصحيح العقيدة هو الأساس ولن يكون هناك إصلاح ولا حكم إسلامي إلا إذا صححنا عقائد المسلمين .

● نماذج من الخرافات التي تنتشر بين المسلمين وتروج لها بعض الصحف . وكلها تخرج خروجاً كاملا على العقيدة الإسلامية الصحيحة

أليس الذبح عبادة والدعاء عبادة والاستغاثة عبادة ؟ والله يقول (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له) . ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الامام مسلم (لعن الله من ذبح لغير الله) ؟ أليس ذبح المجول والخراف لطرد الأرواح الشريرة أو للأولياء هو ذبح لغير الله ؟ إذا كانوا يقولون بأنهم لايقصدون من الذبح أو النذر للجن أو الأولياء وانما يقصدون الصدقة فلماذا اذا يذهبون الى الأضرحة أويقصدون أماكن معينة فهل لاتجوز الصدقة الا بواسطة الأضرحة ؟ أليس ذبح العجل على باب الأستوديو هو ذبح من أجل الجن ؟

لقد استمعت فى إحدى الاذاعات العربية حديثا دينيا لأحد المشايخ يبرر فيه هذه الخرافات ويقول إن الله قد عصم هذه الأمة من الشرك ، ونقول لهذا الشيخ ألم يحذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى مرضه الذى مات فيه مما كانت تعتقده النصارى فى عيسى ابن مريم وأمه من ألوهية ؟ فقد أخرج البخارى ومسلم والنسائى والدارمى والبيهقى وأحمد عن عائشة وعبد الله بن عباس معا رضى الله عنهما (لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه فاذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) « يحذر ماصنعوا » . وفى حديث آخر عن عائشة قالت قال رسول الله فى مرضه الذى لم يقم منه (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) قالت عائشة فلولا ذاك ابرز قبره غير أنه خشى أن يتخذ مسجداً . أخرجه البخارى وأبو عوانه . وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (اللهم لاتجعل قبرى وثنا لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)أخرجه أحمد وابن سعد فى الطبقات وأبو نعيم فى الحلية . وعن جندب قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس يقول (قد كان لى فيكم أخوة وأصدقاء وانى أبرأ الى الله أن يكون لى منكم خليل فإن الله تعالى قد اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ، ولوكنت متخذا من أمتى خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا الا وان من كان قبلكم يتخذون قبور أنبيائهم مساجد إني أنهاكم عن ذلك) رواه مسلم .

والمعروف أن سبب الشرك هو الغلو فى الصالحين ، فقد جاء فى صحيح البخارى عن ابن عباس عند تفسير قوله تعالى : (وقالوا لاتذرن آلهتكم ولاتذرن وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) قال هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح . فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائها ففعلوا ولم تعبد حتى اذا هلك أولئك وتنسخ العلم (تقادم العلم) عبدت قال ابن عباس وصارت هذه الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد ذلك . وجاء فى الصحيحين أن أم سلمه وأم حبيبة لما رأتا الكنيسة فى أرض الحبشة وذكرتا حسنها وتصاوير فيها جميلة قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (أولئك كانوا إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله عز وجل) .

فما يفعله المسلمون الآن من خرافات أكثره منقول من طقوس النصارى والفرس والهنود الوثنيين ولاينكر أحد ممن درس عادات الأمم السابقة وأديانها أن فيها كثيرا مما يفعل فى بلاد المسلمين اليوم باسم الدين والتصوف . وكل ما تطالب به أن تصفى عقائد المسلمين وأن يقوم علماء المسلمين بواجبهم فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وأهم المنكرات التى يجب ازالتها وتحذير المسلمين منها هى التى تتعلق بالعقيدة لأن تصحيح العقيدة هو الأساس ولن يكون هناك إصلاح ولا حكم إسلامى صحيح إلا اذا صححنا عقائد المسلمين . فهذا منتج الفيلم الذى ذبح العجلين لو أن عقيدته الاسلامية صحيحة وتربى عليها ، وفهمها على وجهها الصحيح . ماذبح العجلين على باب الأستوديو ، وتبعا لذلك أيضا لن ينتج أفلاما فيها خلاعة ومجون تتعارض مع عقيدته الاسلامية . وتصحيح العقيدة مرتبط بالتصحيح الاجتماعى ، وخليفة السيد البدوى الذى يتقاضى آلاف الجنيهات من الفقراء سيذهب يعيش من عرق جبينه لو أن عقيدته وعقيدة أولئك الفقراء صحيحة . والله يقول الحق ويهدى السبيل .

كان كريشنا طفلا

شعر: محمد إبراهيم أبوسنّة

في العاشر من يوليو ١٩٨٥ نشرت صحيفة الاهرام هذا النبأ : كشفت صحيفة « باتليبوترا تايمز » الهندية عن عمليات اغتيال بشعة للاطفال تجرى في مدن ولاية بيهار شرقي الهند بهدف تصدير هياكلهم وجماجمهم لمراكز الابحاث الطبية في نحو ٢٣ دولة في مقدمتها الولايات المتحدة وكندا . وذكرت الصحيفة أن أكثر من ١٥٠٠ جمجمة أطفال تصدر شهريا الى تلك الدول بواسطة أوراق جمركية مزورة تشير الى أن تلك الصادرات من الفاكهة وذلك نظير مبالغ تصل الى ثلاثة آلاف دولار للهيكل العظمي الواحد وأكدت الصحيفة أن عمليات الاختطاف التي تشهدها الولاية على نطاق واسع للاطفال ترتبط بجرائم اغتيالهم حيث يجرى تقطيع رءوسهم وفصل أعضائهم في مراكز متخصصة قبل تصديرهم »

كان كريشنا ابنا لامرأة من « بيهار »
تطحن أيام العمر المجدب
في وحل الطرقات
كي تحمل شيئا لكريشنا غير الكلمات
كسرة خبز
أو قطعة حلوى
بعض فتات
يتلقفه العصفور الذاهلُ
من نوبات الجوع
وتبريح الوحشه
كان « كريشنا » ابنا لحكيم هندى متواضع
يؤمن بالأشياء الأولى
كالأرض ، النار ، الماء ، الأشجار
كان كثيرا مايتأمل هذا العالم
هذا الوحش الأبله
يفتك بالانسان وبالحيوان
كان كثيرا مايفنَى في الأفكار
حتى هلك من البرد القارس والجوع
وسط خريف الحكمة
بين تلافيف الأوهام الخضراء

كان « كريشنا » يلهو مع خلانه
ذات مساء
ويحاول وسط الوهَن
البدني الكامن في أعضائه
أن يبتسم لابنة جيرانه
كان الليل القادم من كل الأنحاء
يغلق أبواب الغابات

يلقي فوق الأنهار ستائر قاسية من ظلمة
يخنق أشباح نهار
ركلته أقدام الزمن العابر
كان الليل دبيبا أسود
يسرى فوق الأسطح والأشجار
يسرى مثل النار
تلتهم المدن وتلقي ببيوت الفقراء
في قاع سكون موحش
هتف « كريشنا » بالأصحاب
« هيا للبيت ، اشتقت لأمي
أخشى هذا الليل »
لم يكمل كلماته



كان لصوص الليل
ينقضون على «كريشنا»
وعلى صحبه
حملوهم مكتوفي الأيدي والأعناق
حملوهم في قلب الليل الى المجزر
حيث الذبح وتقطيع الأوصال
حملوهم كثمار المانجو
تذهب للتصدير
«الجمجمة لمركز أبحاث طبي أمريكي
والصدر وباقي الأعضاء
لمراكز أبحاث أوربيه
تقتسم أوربا حصتها الهنديه
من أجسام الأطفال

* * * *

كان كريشنا طفلا
صار كريشنا عينة طبيه
كان كريشنا طفلا
صار كريشنا حفنة دولارات
كان كريشنا طفلا
صار دموعا في عيني أمه

كان كريشنا طفلا
صار الخبر الأول في صدر الصفحات
للصحف اليوميه
كان كريشنا طفلا
أصبح إعلانا عن وحشية عصر
والعالم أصبح دغلا
والأيام جريمه
هل نخفي أوجهنا
هل نمضي في نسيان المجزرة
بمجزرة أخرى
ونواصل هذا الكذب اليوميّ على النفس
هذا العار اليومي
على هذا الكوكب

هل نمحو هذا العار بعار آخر
أم يمحونا
مات الإنسان الطيب
هذا عصر الانسان الذئب
عصر الوحشية والزيف
الرعبْ
مات الحبْ

رأي صريح في مأساة لبنان

لماذا انهارت ديمقراطية الاتفاق الواعي في لبنان ؟

بقلم : الدكتور كمال المنوفي

تعد لبنان إحدى الحالات القليلة فى العالم أجمع التى تبنّت صيغة فى الحكم تعرف بديمقراطية الاتفاق الواعى واذا كان تطبيق هذا النموذج السياسى قد صادف نجاحاً مشهودًا فى هولندة وسويسرا والنمسا وبلجيكا ، نجد أن له قصة أخرى فى لبنان . فمنذ الاستقلال عام ١٩٤٣ وحتى أوائل السبعينيات ، أى على امتداد ثلاثة عقود تقريبا ، أظهر النظام السياسى اللبنانى قدرًا مرموقًا من الفاعلية . وتميزت الحياة السياسية بدرجة ملحوظة من الاستقرار والانتظام . فالانتخابات العامة تجرى بصفة دورية ، والناخبون يشاركون فيها بمعدلات مرتفعة ، وحرية التعبير والنشاط السياسى مكفولة إلى حد كبير ، هذا فضلا عن انتعاش الاقتصاد وارتفاع معدل نموه . غير أن الحال قد تبدل ، فاذا اللبنانيون يقتتلون ويرى الناس بأم أعينهم « حرب الكل مع الكل » ، واذا نظام الحكم يتفسخ ، واذا المؤسسات السياسية والادارية يعتريها الشلل ، واذا الدولة تفقد سلطاتها وسيادتها الاقليمية ، واذا النمو الاقتصادى تتراجع معدلاته .

هذا الوضع المؤسف بكل المعايير يلتمس فيه المحافظون والراديكاليون سندا لمزاعمهم : القائلون بأن الديمقراطية لا تصلح لبلدان العالم الثالث ، والرافضون للتحديث على النهج الليبرالى الغربى ، ودعاة الاستشراق الذين يستبعدون إمكان قيام نظم ديمقراطية فى ظل الثقافة السياسية الاسلامية العربية : ثم كتاب مدرسة التبعية الذين يرون أن الديمقراطية الحقة شىء مستحيل فى نظام سياسى يخضع لهيمنة كبار ملاك الأرض والرأسماليين ، أولئك الذين لا هم لهم سوى الإثراء غير المحدود وتربطهم بالمركز الرأسمالى علاقة عضوية لا انفصام لها .

وأيا كانت طروحات ودعاوى هؤلاء جميعا ، يظل السؤال الكبير شاخصاً : لماذا حدث فى لبنان ما حدث ؟ تساؤل شحذ وسوف يظل يشحذ عقول الكتاب والمحللين فى محاولة الإجابة عليه . ومساهمة من جانبنا فى هذا الصدد ، نحاول أن نطل فى هذا المقال على القضية من زاوية محددة هى : مقومات ومتطلبات نجاح ديمقراطية الاتفاق الواعى ومدى توفرها فى الحالة اللبنانية .

أركان ومستلزمات ديمقراطية الاتفاق الواعي

إن واقع الانقسام الاجتماعى هو الذى يدفع إلى الأخذ بهذه الديمقراطية . ويعود الانقسام إلى تعدد الطوائف والمجموعات المتباينة لغويا أو عرقيا . وعلى الرغم من كون التعددية الاجتماعية مدعاة للاضطراب وعدم الاستقرار ، إلا أن ديمقراطية الاتفاق الواعى ــ ومناطها التعاون والتصالح بين زعماء الطوائف ــ تحول دون ذلك . فكأن السلوك التعاونى التوفيقى على صعيد النخبة السياسية يكبح جماح العنف على صعيد الجماهير بما يفضى إلى الاستقرار السياسى . وحتى يتحقق التعاون بين هؤلاء القادة ، يجب أن يكونوا مدركين تماما لمخاطر الانقسام الاجتماعى على الوحدة الوطنية وأداء نظام الحكم . كذلك ينبغى أن يتوفر لديهم التزام أكيد بالحفاظ على النظام السياسى ووحدة المجتمع . وفى هذا يقول البروفيسور ليبسون : « من غير الممكن تطبيق الديمقراطية فى حالة وجود جماعات بينها عداء شديد ... حقا إن مستوى عاليا من التضامن ليس شرطا ضروريا لقيام ديمقراطية التصالح الواعى ولكن يجب أن يحوز القادة حدا أدنى من الرغبة والاستعداد للعمل على تقويض أو شل فاعلية النزعات الانفصالية داخل المجتمع » .

من ناحية أخرى ، يجب أن تكون الصفوة قادرة على التفاهم المتبادل ووضع القواعد وبناء المؤسسات الكفيلة بالتوفيق بين مصالح قطاعات أو طوائف المجتمع .

ومع التسليم بأن اتجاهات النخبة وسلوكها التعاونى متطلب مركزى لنشوء واستمرار ديمقراطية الاتفاق الواعى ، ثمة ظروف أو عوامل تغذى هذا التعاون وتعززه . هناك أولا توازن القوى المتعدد بمعنى وجود عدة طوائف أو جماعات متقاربة من

حيث الحجم مما يرتب وضع الأقلية بالنسبة لأى منها . هناك ثانيا قوة التماسك الداخلى على صعيد كل طائفة ، وهو ما يضمن حصول الزعماء على مساندة وولاء الأعضاء . هناك كذلك نظام التعدد الحزبى الذى يصبح لكل جماعة فى ظله حرية تكوين حزب سياسي يعبر عن مصالحها ويختار من يمثلها فى عضوية الكارتل النخبوى الحاكم . أضف إلى كل هذا أن تعرض الدولة لتهديد خارجى من دول مجاورة أقوى وأكبر يدفع الصفوة إلى التماسك والتكاتف فى محاولة درء خطر الاختراق التمزيقى عن المجتمع والنظام السياسي .

التطبيق اللبنانى لديمقراطية الاتفاق الواعى

تتكون لبنان من عدة طوائف إسلامية ومسيحية هى : السنة ، الشيعة ، الدروز ، المارونيون ، الأرثوذكس . واقترنت التعددية الاجتماعية هذه بنوع من العزلة القطاعية ؛ بمعنى أن لكل طائفة مدارس ومؤسسات اجتماعية وتظم أحوال شخصية ومحاكم خاصة بها . ولعل هذا الاستقلال القطاعى يجد جذوره فى النظام الملى العثمانى الذى كان يكفل لأبناء الملة الواحدة ــ من غير المسلمين ــ قدراً من الحكم الذاتى فى الشئون الدينية والثقافية . واعتبرت كل ملة نفسها أمة قائمة بذاتها ، يتراسل زعيمها مع الدول الأجنبية بصفته هذه . بل وينظر إليها القناصل الأجانب من تلك الزاوية الواقعية .

لا غرابة إذن أن يتشكل النظام السياسى اللبنانى على أساس طائفى . إذ قضى الميثاق الوطنى لعام ١٩٤٣ بتوزيع طائفى لمناصب القمة : رئاسة الجمهورية « مارونى » ، رئاسة الوزارة « مسلم سني » ، رئاسة مجلس النواب « مسلم شيعى » ، نائب رئيس مجلس النواب « أرثوذكس » . ويختار الوزراء حسب التمثيل النسبى للطوائف .

وبرغم تغير عدد وحجم الدوائر الانتخابية والعدد الكلى للنواب من فترة إلى أخرى ، كان معدل توزيع المقاعد النيابية بين المسيحين والمسلمين ٦ : ٥ بصفة مستمرة . كما روعى مبدأ التخصيص النسبى فى تعيينات جهاز الخدمة المدنية إلى حد كبير . وجدير بالذكر أن هذا التوزيع استند إلى نتائج تعداد السكان الذى أجرى عام ١٩٣٢ إبان الانتداب الفرنسي والذى أظهر التفوق العددى للمسيحيين على المسلمين .

لقد شهدت الفترة الواقعة بين عامى ١٩٤٣ ، ١٩٧٥ تكوين خمسة كارتلات نخبوية هى : الأول من ٤٣ ــ ١٩٥٢ « الرئيس بشارة الخورى » ، والثانى من ٥٢ ــ ١٩٥٨ « الرئيس كميل شمعون » ، والثالث من ٥٨ ــ ١٩٦٤ « الرئيس فؤاد شهاب » والرابع من ٦٤ ــ ١٩٧٠ « الرئيس شارل حلو » ، والخامس من ٧٠ ــ ١٩٧٥ « الرئيس سليمان فرنجية » . هذه الائتلافات النخبوية أظهرت قدراً لا يستهان به من الفاعلية . غير أن التعاون بين أعضاء الكارتل الحاكم لم يكن دائما على ما يرام . فالبيئة اللبنانية ، وإن أملت الأخذ بديمقراطية الاتفاق الواعى . كانت تموج بالكثير من الظروف غير المواتية . وجاءت أزمة ١٩٧٥ وما أعقبها من تطورات لتجسد قصور النظام وعجزه . فالانتماءات الطائفية التى أطرها ميثاق ١٩٤٣ حالت دون نمو مشاعر وطنية لبنانية حقيقية .

يقول د . ايلى سالم أستاذ العلوم السياسية ووزير الخارجية الأسبق : « لبنان لا يزال إلى حد كبير بلدا متخلفا ضعيف الرموز الوطنية ، قوى الرموز الطائفية والمحلية ، قليل الثقة فى الحكم المركزى ، قويها فى الزعامة المحلية . إن لبنان مجموعة أديان متعايشة بالتوازن والسلبيات ، لا بالآمال المشتركة والغايات الوطنية وتحدى المستقبليات » .

من جهة أخرى : اتصف التماسك الداخلى على مستوى كل طائفة بالضعف مما غذى الصراع بين أعضاء الكارتل الحاكم . فى بعض الأحيان كان الخلاف بين زعماء نفس الطائفة أشد مما هو بينهم وبين زعماء طائفة أخرى . وتنقسم كل طائفة على أسس طبقية وعشائرية واقليمية بحيث يصعب على زعمائها الرئيسيين أن يمثلوها بالكامل . بل إن الصراع الأفقى بين زعماء القمة داخل الطائفة يعقد منه الصراع العمودى بينهم وبين العناصر المتطلعة إلى الزعامة . كذلك عانى النظام من غياب المرونة المؤسسية . وبيان ذلك أن معدلات تخصيص المراكز السياسية والادارية قد وضعت حسب تعداد ١٩٣٢ كما سلفت الاشارة . وبمرور الوقت وبسبب ارتفاع معدل الهجرة الخارجية بين المسيحيين وارتفاع معدل المواليد بين المسلمين ، فقدت الطوائف المسيحية بالنسبة وضع الأغلبية للطوائف الاسلامية ، إذ طبقا لتقدير موثوق به نشرته مجلة المغرب ــ المشرق فى عدد ٧٢ لسنة ١٩٧٦ ، بلغ عدد المسلمين بكافة طوائفهم ٦٠٪ من جملة الشعب اللبنانى عام ١٩٧٥ ، مقابل ٤٠٪ للمسيحيين . وكان الشيعة أكبر الطوائف حجما « ٢٧٪ » ، يليهم السنة « ٢٦٪ » ، فالمارونيون « ٢٣٪ » . وفى تقدير لوزارة الخارجية الأمريكية يعود إلى عام ١٩٨٢ ، بلغ نصيب الشيعة ٤٠٪ ، والسنة ٢٦٪ ، والمارونيين ١٧٪ ، والدروز ٧٪ . وبالتالى يشكل المسلمون ككل ٧٣٪ من اجمالى السكان . وبرغم تلك التطورات التي أصابت التركيبة السكانية ، ظلت معادلة توزيع القوة السياسية دون تغيير . هذه الفجوة بين الصيغة المؤسسية والواقع الديمغرافى يراها البعض مسئولة جزئيا عما حدث فى لبنان .

يقال أيضا إن المعادلة الطائفية التى ارتكز عليها نظام الحكم فى لبنان واجهت تحديا من قبل الحركات الايديولوجية التى أخذت فى الظهور خارج الحكومة والبرلمان منذ أوائل الخمسينيات ، مثل القوميين العرب ، والناصريين ، واليسار .. الخ . إذ برغم الحرية النسبية التى كفلها لهم النظام ، إلا أن طبيعته الطائفية حالت بينهم وبين المشاركة المؤثرة فى بنية السلطة مما أثار تحفظاتهم على مؤسساته وتوجهاته وسياساته .

كما يشير البعض باصبع الاتهام إلى ضيق القاعدة الطبقية لعملية تجنيد النخبة السياسية ، حيث ضم الكارتل الحاكم قيادات مبرزة اقتصاديا ، واقتصرت دورة النخب على الزعماء التقليديين ورجال المال والأعمال ، أولئك الذين عارضوا توسع نشاط الدولة فى مجال الرفاه الاجتماعي ، مع مالهذا من انعكاسات سيئة على أوضاع الأكثرية الفقيرة من الشعب اللبنانى . لا غرابة إذن أن يكون التغيير الاجتماعى والاصلاح الادارى أحد أبرز طروحات المعارضة السياسية .

بالاضافة إلى العوامل السابقة ، يقال إن البيئة الخارجية لم تكن مواتية لنهج ديمقراطية الاتفاق الواعى . فقد تعرض النظام الاقليمى العربى لثلاثة أنماط صراعية أثرت سلبيا على النظام السياسى اللبنانى : الصراع العربى ــ الإسرائيلى ، والصراعات العربية ــ العربية ، ثم الصراع بين القوتين الأعظم . وانصرف وجه التأثير إلى حدوث تدخل خارجى متعدد الأطراف عسكريا وسياسيا فى الشئون الداخلية اللبنانية غير مرة : فحينما استشعر أعضاء الكارتل الحاكم تهديداً لمصالحهم ، لم يترددوا فى توسيع نطاق الصراع بدعوة أطراف خارجية إلى التدخل ، فى محاولة كل منهم حماية مركزه ومصالحه ، وانزال الهزيمة بالخصوم . إن ذلك هو ما حدث سواء فى أزمة ١٩٥٨ ، أو فى الأزمة الراهنة .

وهكذا تضافرت عوامل داخلية وخارجية على تقويض النظام السياسى اللبنانى . ولا يبدو ، والأمر كذلك ، أن أي حل طائفى بقادر على إنقاذ لبنان من مأزقه الراهن . فالكانتونات مرفوضة جملة وتفصيلا ، لأنها تعني ببساطة انتهاء لبنان كوطن واحد ، فضلا عن أنها لن تضمن العيش الآمن المستقر للطوائف . ولا جدوى من التشبث بصيغة الميثاق الوطنى حتى مع تعديلها لأنها تكرس الطائفية . من ثم يبدو الحل فى ديمقراطية حقيقية يختفى معها الفرز السكانى أو الطائفى ، ويشارك عن طريقها الجميع كلبنانيين وعرب أولا وأخيرا فى تقرير مستقبلهم وبناء وطنهم .

كمال المنوفي- جامعة الكويت

هوامش :

* أفدنا فى كتابة المقال من المصادر التالية :

(1) Michael Hudson, 'The Breakdown of Democracy in Lebanon Journal of International Affairs, Vol. 38, No. 2, Winter 1985.

(2) Hrair Dekmejian, 'Consociational Democracy in Crisis: The case of Lebanon' Comparative Politics, January 1978.

٣ــ النظام السياسى الأفضل للانماء فى العالم الثالث ، بيروت ، منشورات عويدات ، ١٩٧١ .

خطوط السكك الحديدية

حل عملي لكل المشاكل العربية

بقلم: الدكتور السيد فهمي الشناوي

لعبت الخطوط الحديدية ـ حيثما كانت ـ دورا سياسيا أساسيا يجدر أن يتذكره كل مشتغل بالسياسة أو الاجتماع أو بالقضية الوحدوية بين الشعوب . فالوصل بالخطوط الحديدية يصل الشعوب والقوميات والأجناس المختلفة أكثر مما يتم وصلها بالأماني أو الخطب أو الأشعار . وشريط السكة الحديد يعمل أكثر مما يعمله كثير من الزعماء ذوى النفوذ أو ذوى الجيوش ، ويحقق فى الواقع ما تعجز كثير من الدساتير أن تحققه بالكلام . ومع ذلك يظل شريط السكة الحديد صامتا لا يتكلم إلا للمتأمل والمفكر والباحث عن الحقيقة .

لقد كان خط قطار الشرق السريع (القطار الأزرق) هو المدخل الحقيقى إلى السوق الأوربية المشتركة ، ثم البرلمان الأوربى المشترك . ثم الدينار الاوربى المرتقب . ولقد تم هذا الربط العملى وتغلب على العامل السلبى للتفريق المتمثل فى حربين عالميتين بلغ ضحاياهما ٥٠ مليونا من الشباب فى أوروبا وحدها ، وقد كان خط موسكو سيبريا عاملا ماديا فى توحيد القوميات السوفيتية التى تزيد على المائة ومن ثم كان للقطار أثره الواضح فى الأدب الروسى ورواياته وقصصه وأفلامه . ويوما ما كانت بريطانيا العظمى تحلم بانشاء الإمبراطورية الانجليزية فى أفريقيا عن طريق وصل الخطوط الحديدية من القاهرة إلى الكاب . ولما فشلت فى ذلك ضاع عليها هذا الحلم الضخم .

وفى شرقنا العربى كان للخط الحديدى أثر أوضح فى الاستراتيجية الحربية والسياسية والوحدوية . كانت ألمانيا تطمع فى إنشاء امبراطوريتها العربية عن طريق خط حديد برلين ـ الكويت ، أو برلين البصرة . أما خط دمشق المدينة المنورة فقد حقق قدراً من الوحدة العربية وخصوصا بين مكونات الشام أو سوريا الكبرى وهو ما لم يتحقق مثله بعد ذلك فى ظل أحزاب أو دساتير أو جامعة عربية : كلها تصيح بالوحدة شعاراً ، وكان نسف هذا الخط بمعرفة « لورنس » فى الحرب العالمية الأولى نذيرا بتغير سياسى واجتماعى بلا حدود ، فقد سقطت الخلافة . ودخل الاستعمار الغربى كل شبر فى أرض العرب ؛ وصدر وعد بلفور بعد ذلك بقليل ودخلت أفكار الرأسمالية والماركسية وغيرهما من انتاج الذهن الأوربى إلى المنطقة كلها .

وقد ظل خط حديد القاهرة ـ الخرطوم من أهم عوامل الارتباط المصرى السودانى ، وكان ممكنا أن يتضخم دوره لو لم يكن منقطعا عند شلالات أسوان ، وكان ممكنا أن يحل مشكلة جنوب السودان لو أنه امتد إلى جنوب السودان .

وهناك خطوط حديدية أخرى غائبة حتى الأن . ولو أنها وجدت لعملت عملا وحدويا يتجاوز كل جهود الوحدويين الكلامية والعاطفية فلو كان هناك خط يصل بين القاهرة ودمشق لما انفصمت الوحدة السورية المصرية ولو أن هناك خطا حديدياً عبر الشمال الأفريقى لتمت بالفعل وحدة المغرب الكبير ، ولا ستحال قيام النزاع بين دولة وأخرى فى هذه المنطقة من مصر إلى أقصى المغرب .

يمكن أن نقول ـ بصدق ـ إن خطا عربيا حديديا هو الجامعة العربية الحقيقية .

وأكثر من هذا الدور التوحيدى للعرب فإن الخط الحديدى له أثره الخطير فى اللعبة الدولية وفى الاستراتيجة العالمية . وبعيداً عن الحساسيات العربية فى هذا الصدد اخترت الحديث عن خط حديدى مصرى كمثال توضيحى للأثر فى السياسة الدولية ، وهو خط اسكندرية ـ القاهرة ـ السويس .

خط اسكندرية القاهرة السويس

كانت مصر هى ثانى دولة فى العالم تدخل إليها القاطرة البخارية .وكان المهندس ستيفنسن الانجليزى مخترع القاطرة الحديدية التي تسير بالبخار هو شخصيا المهندس الذى تعاقد معه والي مصر على استخدام هذه التكنولوجيا لأول مرة فى الشرق وأفريقيا . والواقع أنه بذلك سبق الدول الأوربية جميعها بما فيها روسيا .

كان محمد على باشا كعاهل استأثر بملك مصر ويريد أن يغلق أبواب الملك هذا على نفسه وذريته يتخوف من كل تدخل أجنبى حتى لوكان من تركيا الأم . وكان نجاحه قد حول مصر إلى واحة مثمرة بل جنة مورقة تعطيه أحسن قطن فى العالم ، وتوشك أن تفتح له أبواب أفريقيا التى يجهلها

- القطار الأزرق هو الذي خلق السوق الأوروبية المشتركة والبرلمان الأوروبي المشترك ... والدينار الأوروبي في الطريق
- الخط الحديدى العربي هو الجامعة العربية الحقيقية
- لماذا نسف الانجليز سكة حديد الحجاز ؟
- خط القاهرة ـ الخرطوم توقف عند شلالات أسوان ولم يمتد إلى الجنوب السوداني ... وكان هذا الخط قادرا على حل مشكلة الجنوب



محمد علي باشا

العالم كله ويسميها القارة السوداء . وكان كلما ازداد ثراء بلده كلما خاف عليها من الطامعين .

ومن ثم فقد عرض عليه مشروعان رفضهما كليهما : ـ

١ ـ مشروع قناة السويس وهو مشروع فرنسا التى كان يأنس إليها ويستخدم خبراءها الذين بنوا له القناطر الخيرية (موجل) وبنوا له جيشه (سيف بك الفرنساوى) وأسسوا كلية الطب الأولى في آسيا وأفريقيا (كلوت بك) .. الخ الخ .

٢ ـ مشروع خط حديدى من اسكندرية إلى القاهرة ومن القاهرة إلى السويس ، وقد عرضه عليه الأنجليز الذين كانوا يتربصون لفرنسا بالمرصاد ، ويدخلون معها في سباق حول السيطرة على القاهرة منذ أن حطموا أسطول نابليون في أبى قير . رفض محمد على كلا المشروعين ، وأراح دماغه .

ولكن بريطانيا لم تسكت ، وظلت تخطط إلى أن نفذ فعلا الخط الحديدى قبل أن ينفذ مشروع قناة السويس .ومن ثم كان لبريطانيا النفوذ الأعلى على فرنسا والذى نما بالتدريج . حصلت بريطانيا على امتياز الخط الحديدى أيام عباس الأول الذى جاء بعد محمد على وابراهيم بينما نفذت فرنسا مشروع القناة بعد ذلك في أيام سعيد باشا ثم اسماعيل باشا . وهكذا ظلت الدولتان تتسابقان داخل مصر حتى استقر السبق لبريطانيا . فكانت لها اليد العليا بعد ذلك .

وتبدأ نقطة السباق بينهما كالآتى : كان محمد على قد استصدر من تركيا فرمان ١٨٤١ بجعل ولاية العرش في ذريته فقط الأكبر فالأكبر سنا . ولكن بمجرد توقيع الفرمان تربص الطرفان ـ تركيا ومحمد على ـ بالنكوص عنه . فقد تدهورت صحة محمد على جدا (غير صحيح أنه جن) فولى ابنه إبراهيم باشا . فتلكأت تركيا ٦ شهور في اصدار فرمان تولية ابراهيم ولم تصدره إلا لما تأكدت أن ابراهيم سيحارب في سبيل تثبيت الملك لنفسه . بعد تولى ابراهيم باشا حاول تغيير نظام الوراثة بحيث يتولى بعده ابنه هو ـ محمد بك ـ بدلا من الأكبر سنا ـ عباس باشا الأول ـ . وهرب عباس إلى مكة والمدينة خوفا من ابراهيم . مات ابراهيم باشا مبكرا . سنحت الفرصة لبريطانيا المترقبة . لم تفلت الفرصة من يدها . أثارت بريطانيا كل السفراء الاجانب في مصر لطلب ولاية عباس . وأرسل قنصل بريطانيا سفينة حربية بريطانية أحضرت عباس باشا من جدة . وتولى عباس باشا الحكم . فكان عليه أن يرد الصنيع لبريطانيا : لم تطلب بريطانيا إلا إنشاء خط حديدى من الاسكندرية إلى القاهرة !

كان طبيعيا أن تتوجس تركيا من عباس باشا الأول نظرا لهذه العلاقات البريطانية . ولكن ماذا في وسعها أن تفعله وهو قد استوفى شروط فرمان ١٨٤١ تماما ؟ وحاول عباس باشا ترضية الباب العالى بأن زار تركيا حاملا هدايا قيمتها مائة ألف جنيه ثم دعا أمه إلى زيارة أم السلطان فحملت معها هدايا قد تتجاوز ما حمله ابنها أيضا . وأرسل حملة من ثلاثة آلاف جندى وألف وخمسمائة بحار وسفينتين لتحارب جميعها مع تركيا ضد روسيا . هنا تبدو غيرة قنصل بريطانيا العام موراى الذى سبق له أن أحضر عباسا في سفينة بريطانية من منفاه في جدة حيث يكتب هذا القنصل في مذكراته « .. كأن عباس يريد أن ينقض كل ما بناه محمد على من استقلال لمصر عن تركيا ! ! ! . لقد كان عباس تحت حكم محمد على مشتركا معه في محاربة تركيا وظلت هذه سياسة مصر نصف قرن ، فما الذى دهاه عندما أصبح في مركز السلطة حتى يتغير بهذا الشكل ! » .

الواقع أن عباس كان قد صدم من انعدام الأخلاقيات عند السياسيين الأوربين عندما رأى فرنسا التى كان محمد على باشا قد عشقها تتخلى عنه وتقف مع بريطانيا ومع تركيا ضد محمد على في أزمة ١٨٤٠ عندما حطموا أسطول محمد على !

خطوط السكك الحديدية

حل عملي لكل المشاكل العربية

الواقع أن عباسا كان يلاحظ أن كل السفراء يحاولون ابتزاز تنازلات لدولهم ، وأنه ما من سند نسبى له إلا تركيا ذاتها . وهى وحدها التى يمكن أن تحميه من أطماع ممثلى الدول الأوربية .

ولكن هذه الرؤية نفسها غابت فيما بعد عن أبصار جميع أفراد أسرة محمد على ووصلت إلى الذروة فى ارتماء توفيق باشا على أعتاب بريطانيا أثناء ثورة عرابى .

على أن هوى عباس باشا الحقيقى لم يكن مع تركيا إلا ظاهرياً . لكنه واقعياً كان مع بريطانيا ، ولذلك فإنهم هم الذين استجلبوه إلى العرش من الجزيرة العربية فى سفينة بريطانية ، وهم الذين حركوا سفراء الدول لتأييده . وهذه الحقيقة لم تكن تخق على الصدر الأعظم راشد باشا الذى وصل به الغيظ من عباس باشا إلى درجة تطليقه خالة عباس باشا التى كانت زوجة له . كان راشد باشا يرى أن انشاء خط حديدى يخدم بريطانيا ومصالحها فى الطريق إلى الهند هو مقدمة لفصل مصر عن الأمبراطورية العثمانية .

أما بريطانيا فقد كانت وقتئذ سيدة بحار العالم واستاذ السياسة الدولية . كانت تلعب على الأوتار السياسية المتباينة معزوفة موسيقية متكاملة لا ينافسها فيها غيرها . كان قنصلها فى مصر القريد والن ثم شارل موراى مصممين على انشاء الخط الحديدى ومصممين على تنفيذه قبل أن تنفذ فرنسا « قناة السويس » . بينما كان سفير بريطانيا فى اسطنبول يرى ضرورة مساندة تركيا وإبقاء كيانها واقفا كساتر بين بريطانيا من جهة وروسيا والنمسا من جهة . وكان بالمرستون رئيس الوزراء يرى أن مهمته تقتصر على مساندة كل قنصل من ذوى الرأيين المتضاربين ، إيمانا منه بأن كل بريطانى مهما اختلف رأيه هو خادم للامبراطورية .

طلب سفير بريطانيا فى اسطنبول أن تطبق مصر قانون « تنظيمات » الذى أصدرته تركيا بغرض الإصلاح الداخلي في الامبراطورية العثمانية والذي يهدف أساساً إلى تقوية الحكومة المركزية في اسطنبول . وهكذا ظهرت بريطانيا بتأييد هذا الفرمان في وجه مثالي برئ . وطلب قنصلها في مصر ذاتها ضرورة تنفيذ الخط الحديدي لأنه كما قال لبالمرستون : يجب ألا تنسينا المثالية أهدافنا الحقيقية العملية ! ووافقه رئيس الوزراء على أن الانتهازية لا تتعارض مع المثالية ! ! ! وقال رئيس الوزراء لقنصله في مصر : تصرف مع عباس باشا ولكن بصفة غير رسمية !

في أول الأمر كان عباس باشا متوجساً من المشروع مثل محمد علي باشا ومتخوفاً من التدخل البريطاني الذي يعنيه هذا الخط . ولكن شيئاً فشيئاً ومع استمرار الضغط تحول موقفه ، وأصبح أمام ضغط لا يقوى عليه . يقول بالمرستون في مذكراته عن موقفه من مساندة رأيين متعارضين رأي سفيره في اسطنبول ورأي قنصله في مصر : « إذا تعارض خطان وكونا صليباً فهل أرفض الصليب ! ! »

ولم يكن وقع هذا التحول في موقف عباس باشا هيناً على فرنسا . على الأقل وقفت مشلولة تشاهد فصل آلاف الموظفين والخبراء الفرنسيين الذين كان محمد علي باشا يستخدمهم . لم يكن ألمها بسبب فقد هؤلاء الموظفين لمرتباتهم الضخمة ولكن لإدراكها أنه سيحل محلهم انجليز وسيزداد نفوذ بريطانيا الدولي ، كيف تصرفت فرنسا ؟ هنا تبدو الفوارق بين سياسة الدول المختلفة : كل ما عملته فرنسا أنها انضمت إلى « جمعية الأمراء » وهم جماعة من أمراء بيت محمد علي كانوا يهدفون إلى خلع عباس باشا . وكانت هذه الجمعية تهدف إلى تنصيب احد اثنين : إما سعيد باشا وهو عم عباس أو أحمد بك ابن ابراهيم باشا وابن عم عباس . وهما كما يسميهما موراي القنصل البريطاني في مذكراته « أطفال فرنسا » ! ! ! وكانا يقدمان الوعود لفرنسا باعادة نفوذها لو تولى احدهما العرش .

استغل قنصل بريطانيا هذه الاتصالات الخلفية بين فرنسا ومنافسي عباس في ترويج فكرة الخط الحديدي عند عباس واعداً إياه بالمساندة ضد فرنسا وأطفال فرنسا : سعيد باشا وأحمد بك . في نفس الوقت وعدت بريطانيا فرنسا من وراء ظهر أطفالها ــ سعيد وأحمد ــ بأن تقف معها ضد روسيا فيما كانت تدعيه روسيا من حقوق في حماية الأماكن المقدسة في ديار الشام (فلسطين) . وطبعاً باعت فرنسا أطفالها .

كانت ازاحة فرنسا درساً دبلوماسياً وعاه غيرها ممن هم أقل نفوذاً كالنمسا وايطاليا وألمانيا ، فلم يلعبوا دوراً معاكساً لبريطانيا .

بقيت تركيا : كانت تركيا تهدف إلى استعادة نفوذها بالكامل على مصر بعد وفاة محمد علي باشا . لم يكن عباس باشا وقد تمتع باستقلال نسبي عنها ليفرط فيما اكتسبه من استقلال وسلطات محلية ، ولكنه في نفس الوقت لم يكن يطمع ولا كان قادراً على تهديد ما بقي لها من نفوذ . واستغلت بريطانيا هذه العلاقة المزدوجة ضد ومع تركيا : فأفهمت عباساً أن يوافق على الخط الحديدي نظير أن تسانده هي لدى تركيا ! وأفهمته الواقع : هاهو محاط بأعدائه « أطفال فرنسا » الطامعين في العرش ، فرنسا ذاتها الطامعة في استعادة عهد محمد علي ، الدول الأوربية الطامعة في امتيازات مصر ، تركيا الطامعة في إعادة زمن ما قبل محمد علي . وتكشفت هذه « الحقائق » أمام عباس وكأنه يراها لأول مرة . ولكن كانت هناك عقبة أخيرة وهي الحملة الشديدة ضد إنشاء الخط الحديدي . تلك الحملة التي كانت تشنها تركيا بتحريك شخصي من الصدر الأعظم راشد باشا الكاره لعباس لدرجة تطليق زوجته ، لانهاء كل رابطة مع عباس .

وكان الحل البريطاني لهذا الإشكال الأخير مفاجأة تركيا والعالم بالحصول على توقيع عباس باشا على الاتفاقية سراً ووضع العالم كله أمام الأمر الواقع .

منذ هذا التاريخ تغير الواقع السياسي في هذه البقعة الهامة من العالم .

١ ــ غرس الوجود البريطاني جذوراً عميقة له في المنطقة

٢ ــ تمتع العرش المصري باستقلال ذاتي خارج نفوذ وقبضة تركيا لدرجة أن سهل على بريطانيا إعلان الحماية البريطانية الكاملة على مصر في عهد عباس حلمي الثاني بفضل جهود بريطانيا في عهد عباس الأول .

وهكذا لعبت السكة الحديد دورها الجذري في السياسة العالمية ، ودفعت مصر ثمن هذا الخط الحديدي بين القاهرة والاسكندرية غالياً . ولو كان هذا الخط قد أقيم من البداية للمصلحة الوطنية وباشراف وطني كامل لكان من آثاره العكسية تدعيم الاستقلال وحماية الوطن ولكنه قام بتخطيط وتدعيم من الانجليز الذين أشرفوا على تنفيذه تماماً ضمن خطتهم الدقيقة للسيطرة على مصر واحتلالها واتخاذ هذا الخط الحديدي وسيلة لهم للاتصال بآسيا وافريقيا وتوسيع نطاق المصالح البريطانية .

لقد زاد هذا الخط الحديدي من أهمية مصر ، ولكن لأنه كان في أيد أجنبية من البداية كانت ثمرته في القرن الماضي شراً على مصر .

والآن هل يدرك العرب أهمية السكك الحديدية ، ويسارعون إلى ربط الأقطار العربية بشبكة كبرى من هذه السكك ، وأن تكون هذه الشبكة مشروعاً قومياً وطنياً لا دخل للأجانب في تمويله وتنفيذه ؟

هل يدرك العرب أن السكك الحديدية أهم من الجامعة العربية وأهم من كل الدعوات العاطفية التي تنادي بالوحدة ؟!

لعلهم يدركون .... قبل فوات الأوان .

السيد فهمي الشناوي

الفريد فرج

قصة مخرج مسرحي ألماني مسلم



احمد بيتر كروش

Ahmed Peter Kreusch

المخرج الألماني المسلم ، صورته واسمه بالألمانية والعربية بخط يده

أستأذن القراء فى أن أحدثهم عن بعض أصدقائى ، حديثا ان كان له جانب شخصى .. فما أغرانى به الا أن له جانبا عاما كذلك .

هل أبدأ حديثى بآخر شخص أكرمنى بصداقته ؟

إنه أحمد بيتركرويش .. مخرج مسرحي ألماني مسلم ، أخرج مسرحيتي « علي جناح التبريزي وتابعه قفة » في الترجمة الألمانية للدكتور ناجي نجيب .. لفرقة مايباخ المسرحية ، التي دعتني لحضور الافتتاح في برلين الغربية على مسرح ترانسفورم . أم تراني يجب أن أبدأ بالحديث عن التبريزي وتابعه كالظل قفة .. وهما صديقان قديمان عابثان كانت لهما معي حكاية ؟

فلقد رسمت شخصيتي قفة والتبريزي ليتبعاني ، فاذا أنا في النهاية أتبعهما !

من القاهرة إلى الكويت وبغداد وحلب .. إلى أم درمان وبنغازي والجزائر وصفاقس .. حتى حائط برلين لا حائط الصين العظيم ، في برلين الغربية ، دعاني هذان الهازلان الجادان لأتبعهما في سهراتهما الغريبة ، والتقي حولهما بطوائف من الممثلين والمخرجين الظرفاء الذين أحبوا تقديم فكاهاتهم العابثة للجمهور وممارسة الشقاوة من خلال حكمة هذين الشرقيين .

« وعلي جناح التبريزي وتابعه قفة » مسرحية استوحيتها في الأصل من ثلاثة مواضع في ألف ليلة





الأميرة أحبت التبريزي حتى بعد أن علمت أنه فقير





التبريزي وقفة يتبادلان طيب الطعام

وليلة ، تشابهت في غرابتها وتماثلت في طرافتها .

في الموضع الأول شاب غني يمازح ضيفاً عابراً ماحكة طمعاً في كرمه ، ويدعوه إلى طعام وهمي يصفه له وصفاً بليغاً ، ويتظاهر بالأكل والتلذذ بينما الضيف المسكين يزداد جوعاً على جوعه ، ويجاري مضيفه ويقابله مزاحاً بمزاح عسى أن يرضيه وينال في النهاية مايرجوه منه .

وفي الموضع الثاني من ألف ليلة وليلة رجلان يتنازعان ملكية كيس أوجراب صغير أمام القاضي ، فلما سأل القاضي كلاً منهما عما في الجراب ليتحقق من ملكيته له ..

زعم الأول أن في جرابه حصوناً وقلاعاً ، وطيوراً وسباعاً ، ورجالاً يلعبون الشطرنج !..

وزعم الثاني أن في الجراب زرداً وصفائح وخزائن سلاح ! ... الخ

أما الموضع الثالث من ألف ليلة فهو قصة معروف الاسكافي الذي نزل مدينة غريبة ، تظاهر فيها بأنه من الأغنياء ، وأنه ينتظر قافلة فيها كنوز الأرض كلها . فأثار شهوات الناس الذين تسابقوا إلى إقراضه وتقديم الهدايا إليه طمعاً في الجزاء ببعض مافي قافلته من ثراء .

كتبت المسرحية عام ١٩٦٨ في وقت قصير نسبياً . وضحكت مع أبطالها وأنا أسجل بقلمي مايقولون ومايزعمون ، وأعتبرتهم بعضاً من نفسي .

وقد شاهدت « التبريزي » المفلس قبل أن أكتب يدعو قفة إلى مائدته الوهمية ، يجد لا على سبيل المزاح . ثم يسافر الاثنان إلى مدينة على حدود الصين فلا يجدان مفراً من الزعم بأنهما أغنياء ، وأن قافلة للتبريزي تتبعهما وتحمل ثروات فوق ما يتصور الذهن .. قد حملها التبريزي خلفه نفقة لسياحته هو وخادمه ، مما أغرى التجار بإقراضه ، والوالي بتزويجه إبنته .. وكل مال وصل إلى أيدي التبريزي تصدق به على الفقراء .. والفقراء أصبحوا صناعاً وحرفيين وتجاراً .. والقافلة لا تأتي بعد .

ولكن قفة يصيبه الضجر ، وربما أصابه أيضاً الطمع ، ويريد أن يهبه سيده مالاً كثيراً ، أو منصباً خطيراً ، أو حتى لقباً كبيراً .. والتبريزي المتقشف الذي لا يرى أحد على مائدته أكثر من الخبز والزيتون يستمهل قفة حتى تأتي القافلة ويعطيه من خيراتها مايشاء .

يستنكر قفة أن يعيد عليه التبريزي حديث القافلة التي كان لقفة نفسه في الواقع فضل اختراعها .. ويستنكر التبريزي أن ينكر قفة وجود القافلة ، وقد رأى بعينه كيف ملأ نبؤها المدينة بالأخوة والود والكرم والسعادة وطيبة النفس .. كيف ينكر قفة وجود القافلة وقد أحدثت في المدينة كل هذا الخير العميم ؟ ؟

ولكن قفة يبلغ به الغضب فيشي بصاحبه ثم يندم على مافعل فينقذه في اللحظة الأخيرة ليفرا مع الأميرة إلى الدنيا الرحبة ، ويتركا في المدينة رجالاً ونساء لم ينقطع أملهم في وصول القافلة .. ولعله لن ينقطع .

وسيرة القافلة موضوع عجيبت له قبل أن تراودني نفسي أن أدهش به غيري من الفنانين والقراء والمتفرجين ..

لأن سيرة القافلة في الواقع لم يبتدعها التبريزي أو قفة ، وإنما شاركه في ابتداعها كل من صدق التبريزي وقفة .

ولكل انسان خياله الخاص ورغبته الكامنة في إيهام النفس والغير باقتدار بوجود غير الموجود .

ومن لم يصدقني فليفسر لي تصديق القراء وتسليم الجمهور بالحكايات التي تروى والأساطير التي يسوقها الأدباء والفنانون ..

إن الايهام فعل يصدر عن ملكة عظيمة من ملكات الانسان ــ هي ملكة التخيل والتخييل .. وبهذه الملكة وحدها يستطيع الإنسان أن يتعامل مع رمزالشئ أو صورته وكأنه يتعامل مع الشئ ذاته .. يستطيع أن يتعامل مع الخارطة كأنه يتعامل مع الأرض والبحار والجبال .. وأن يتعامل مع الأرقام وكأنه يتعامل مع ذات الأشياء التي ترمز لها الأرقام .. ويذرف الدموع وهو يقرأ القصص كأنه يشهد وقائع في ذات الحياة .

هكذا حررت التبريزي وقفة .. وتحررت منهما . وكنت كلما شاهدت انتاجاً جديداً للمسرحية ، أو اخراجاً من زاوية نظر أخرى ..



قفة يسحر الناس في السوق بحديث القافلة



المؤلف والمخرج مع أعضاء الفرقة بعد التدريب

قفة يشرب من يد التبريزي

أحس أن المسرحية تنفصل عني ، وتبتعد خطوة عن ذات نفسي .

حين أضحك من أبطالها أحس أني أضحك من ناس آخرين ـ لا من نفسي ، وانني أضحك من فكاهات ألفها غيري ويريد بها أن يضحكني .

وفجأة .. أجد نفسي في برلين الغربية ، أشاهد مسرحية بالألمانية .. لا أفهم من حوارها كلمة واحدة بالمعنى القاموسي للتعبير ، وأكثر مايدهشني أن جمهورها من الشباب الألماني يضحكون كما أضحك ، والمخرج جنبي .. أحمد بيتركرويش يضحك مثلي !

التقيت بأحمد في الكواليس ، وعلى المنصة في ختام حفلة الافتتاح حيث أصر الممثلون أن نحيي الجمهور معهم ، وتحت عدسات التصوير التلفزيوني في ندوة عن المسرحية ، وفي المقهى .. حيث سألته عن نفسه ..

أنا أحمد بيتركرويش .. مهندس معماري ، زرت مصر عدة مرات لأعمل مع بعثات التنقيب عن الآثار ، قضيت كل مرة بمصر بضعة شهور .. هداني الله إلى الاسلام ، وتأملت أسرار فنون الأرابيسك وكنائس مصر العتيقة .. وتحولت إلى الاخراج المسرحي ، وعثرت بالصدفة على ترجمة مسرحيتك وقرأتها مراراً ، وكل صديق أحبه أعرتها له ليقرأها .. حتى ضاعت النسخة مني في النهاية .

طلبت مني فرقة ما بياخ أن أخرج لهم مسرحية موليير ، بدون حوار ، فاقترحت عليهم إخراج التبريزي ، وبحثت عنها في المكتبات وقرأتها عليهم ففرحوا بها وبدأنا العمل .

قبل أن نبدأ التدريبات استمهلتهم حتى أتم قراءة ألف ليلة وليلة ، وقد استمرت بهذه القراءة ، وبدأت مع الفرقة عملاً شاقاً متواصلاً .

ولكي تعلم ما بذلناه جميعاً من جهد في هذا العمل يجب أن تعرف أن الممثل الألماني عادة يتكلم إلى الداخل . بينما ينبغي أن يتكلم في مسرحيتك العربية إلى الخارج . المسرح الألماني الحديث يملي على الممثل أن يتكلم ويداه في جيوبه ـ إذا فهمت ما أقصد . أي لا يستخدم جسده . هذا هو القالب الذي صب فيه بيكت ويونسكو الممثل الحديث . ولكن مسرحيتك تملي على الممثل أن يعبر بجسده .. فمشهد المائدة الوهمية مثلاً لا يمكن تنفيذه إلا إذا جسد الممثل الكلمات القليلة المكتوبة له بأفعال تؤكد تناول الطعام ونوعيته ودرجة لذته .. وهكذا في سائر المسرحية .

وقال بيتركرويش لمذيعة التلفزيون :

ـ مسرحيتنا دراسة للأمل ، وحكمتها الشرقية البليغة هي أن الانسان قد يفقد الدنيا ويحتمل ذلك ، إلا أنه يرفض ولا يحتمل فقدان الأمل .

القافلة ؟ ..

كل ممثل سألني ماهي القافلة .. وكنت أجيبه ، ان القافلة هي السلام العالمي ، هي حرية الانسان ، هي الطعام والكرامة ، إذا كنت تؤمن بالغد ، فانت تعرف أن القافلة في الطريق .. مع التبريزي ، مع الأميرة ، ومع قفة آخر الأمر . ومع كل المدينة التي صدقت . ولما اعترف قفة لهم بعدم وجود القافلة حزنوا .. ثم عادوا يصدقون ويفرحون .

وماذا تريد أن تقول للمتفرجين ياأحمد ؟

أريد أن أقول لهم ، ها أنتم تتأملون وأنتم تضحكون ، ها أنتم تضحكون وأنتم تتأملون .. فهل رأيتم كيف يمكن أن يكون المسرح مفكراً وممتعاً في الأدب العربي ؟

وشكراً عزيزي أحمد بيتركرويش . فإنك قد اقترحت على جمهورك من الألمان أن يهدموا الأسوار التقليدية التي اعتصموا خلفها وهم يظنون أن بلادهم هي العالم .. ابتداءه ونهايته . ودعوتهم أن يفتحوا الأبواب ليروا بأعينهم أن الدنيا أوسع مما يظنون .

ألتمس من القارئ العذر عما يكون قد بدر مني من حديث شخصي ، وليغفره لي على أساس أني ما قصدت منه إلا جانبه العام ، حيث يظن كثير من الناس في بلادنا ـ وبعض الظن خطأ ـ أن فن المسرح يجب أن يطلق الفكر طلاقاً بائناً ، وأن يتزوج الضحك المجلجل الأجوف زواج متعة .. بيته الفراغ وعقده الباطل بصورة الحق .

الفريد فرج

خواطر تسر الخاطر

بقلم: زكريا تامر



غفر الله لشكسبير ومسرحياته

فيما مضى من السنين ، كان يعيش بدمشق مخرج مسرحي ذائع الصيت ، يتصف بأنه محاط دائما بالمعجبات والمعجبين من الفئة التي يطيب لها أن تتحدث في السهرات عن آخر نشاط أدبي وفني في أوربا بلهجة من يتكلم عن أحدث ما ابتكرته دور الأزياء العالمية من ثياب .

وكانت حياة المخرج مرفهة مدللة ، تخلو من متاعب الأثرياء وهموم الفقراء وأزمات الأدباء والفنانين ، وحيثما حل يرافقه مريدون مؤمنون بعبقريته ايمانا لايشوبه أي شك ، وينصتون بخشوع ورهبة لكل مايتفوه به كأنه سقراط العصر الحديث .

وقد اشتهر بتقديمه المسرحيات العالمية الكلاسيكية لسوفوكليس وشكسبير وموليير وراسين ، واشتهر أيضا بحبه الجم العميق للثقافة الفرنسية ، حبا يحفزه على تقليد الفرنسيين والفرنسيات في كلامه وحركاته وتصرفاته العلنية والسرية .

وكان ذلك المخرج عازبا على الرغم من أنه ودع أيام الشباب ، ويسير بخطى حثيثة نحو صحراء الكهولة والشيخوخة ، وكان يقول بدهشة ولوم لكل من يسأله عن سبب امتناعه عن الزواج : « ومن ذا الذي زعم أني لست متزوجا ؟ أنا متزوج .. متزوج من المسرح والفن » .

وآخر مسرحية قدمها لجمهور دمشق كانت مسرحية « ماكبث » لشكسبير .

وفي ليلة الافتتاح ، اكتظت قاعة المسرح بالمشاهدين والمشاهدات ، وكان المخرج يحوص في ممرات المسرح قلقا متوتر الأعصاب شاحب الوجه بسبب عدم وثوقه بتنفيذ الممثلين والممثلات لتعليماته ، ولكونه قرأ كثيراً عن أن مشاهير المخرجين في العالم يتصرفون في ليلة الافتتاح مثل هذا التصرف ، غير أنه لم يكن يعلم بأن سوء حظ غريبا فظا سيكون في انتظاره ، وقد تجلى ذلك الحظ السيء في الوقائع التالية :

حين دنت لحظة ارتفاع الستارة ، أطفئت الأنوار في قاعة المسرح ، وساد الصمت ، لتعلو أصوات الدقات الثلاث التقليدية ، فاذا هي مصادفة تشبه قرعا على باب بيت عتيق .

فصاحت فورا بنت صغيرة بصوت رفيع ممطوط : « من ؟ » .

وكانت البنت الصغيرة محقة اذا ظنت أن شخصا ما يقرع باب بيت ، ولا تستحق بأن تتهم بسوء التربية وقلة التهذيب .

وأثارت صيحتها العفوية عاصفة من الضحك المرح لا تليق بأن تكون بداية لمسرحية مأساوية ، ولكن الستارة ارتفعت برباطة جأش ، وابتدأت مشاهد المسرحية تتوالى ، وشرع الممثلون والممثلات في أداء أدوارهم بجرأة واعتداد كأنه لاوجود لجمهور .

وظهرت على خشبة المسرح مجموعة من الساحرات ، ساحرات المكانس ، وقد سلطت عليهن أضواء مختلفة الألوان تهدف الى أن تجعلهن يبدون مرعبات ، وصرخن بأصوات متهدجة مرتعشة : « في الرعد ، في الريح ، في المطر ، نحن الثلاث نتلاقى » .

ولكن منظرهن لم يثر الفزع في قلوب المشاهدين والمشاهدات كما أراد المخرج لأنهن لسبب ما خفي كن كخادمات بائسات لم يدخلن أي حمام منذ أعوام ، وجديرات بالشفقة والرثاء .

ونشبت فجأة في المقاعد الخلفية مشاجرة حادة بين زوج وزوجته .

كان الزوج يقول لزوجته بصوت متوسل : « لا تفضحينا أمام الناس » .

وكانت الزوجة تصيح غاضبة : « دائما تقول إنك لا تجد خادمات . قل إنك بخيل شحيح تريد أن تفني شبابي في عمل البيت ، ولا تقل إنك لاتجد خادمات . هاهن الخادمات أمامك ومستعدات لأي عمل ، ويقبلن بأي أجر » .

ولم تتوقف المشاجرة إلا حين أقدم الزوج على ترك قاعة المسرح هاربا ، ولحقت به زوجته وهي تهدد وتتوعد وتلعن وتزمجر ، ومن المؤكد أن المشاجرة ستستمر في الطريق والبيت .

وندت عن المريدين المتحلقين حول المخرج صيحات خافتة مفعمة بالاستنكار والاحتجاج كأنهم يبصرون القنبلة الذرية تلقى فوق هيروشيما ، ولكن المخرج قال لهم برصانة وازدراء : « لاتبالوا . أناس رعاع ! في مسرحيتي القادمة لن أسمح ببيع بطاقة لأي مخلوق الا بعد التأكد من حسبه ونسبه ومستواه الثقافي » .

وكانت الممثلة التي اختارها المخرج لتؤدي دور الليدي ماكبث ممثلة قديرة موهوبة ، ولكنها كانت قصيرة القامة الى حد تبدو فيه كأنها آتية من عالم الأقزام الذي يحلو للحكايات المروية للأطفال التحدث عنه ، ولذا فإن المخرج صنع لها خصيصا حذاء ذا كعب طويل جدا كي يتفادى مشكلة قصر قامتها ، واحتاجت الممثلة الى تدريب طويل مرهق

شاق حتى تمكنت من السير بالحذاء .

ونجحت خطة المخرج ، وظهرت الممثلة على المسرح بقامة ذات طول معقول يصلح لشخصية الليدي ما كبث .

وفي مشهد من مشاهد المسرحية ، وقفت الليدي ما كبث عل خشبة المسرح وحيدة ، وألقت كلاما بليغا مؤثرا ينفذ الى أقصى القلوب ويقسرها على الارتجاف هولا من حقائق غير سارة حول الانسان والحياة ، ثم سارت الليدي ماكبث بخطى بطيئة ، مطوقة بهالة من الاجلال الخفي ، تريد مغادرة المسرح ، ولكنها توقفت فجأة عن السير ، واعتراها اضطراب لاعلاقة له بأحداث المسرحية ، انما كان اضطرابا يكمن سببه في أن فردة حذاء قدمها اليمني انغرس كعبها في أرضية المسرح الخشبية ، وأبى الانسحاب . فما كان من الليدي ما كبث الا أن خلعته ، وسارت كما يسير عباد الله على قدمين ، اليمنى حافية ، واليسرى تنتعل الحذاء ذا الكعب البالغ الطول ، فاذا مشيتها عرجاء عجيبة لا تليق بالنبيلات ، قدم في واد ، وقدم فوق جبل ، وفي كل خطوة تخطوها يميل جسمها الى اليمين ميلا شديدا كأنه يهم بالسقوط أرضا ، ولكن قوى خفية تتدخل وتمنعه في اللحظة الأخيرة من السقوط لحكمة غير معروفة .

وحملق الجمهور مبهوتا إلى تلك المشية الغريبة لليدي ما كبث الى أن غادرت المسرح .

ووفقا لرؤية المخرج الفنية الخاصة ، فإن المشهد التالي الذي يعقب خروج الليدي ماكبث من المسرح يقتضي أن يظل المسرح خاويا طوال لحظات مفعمة بسكون ذي مغزى .

وهذا ما حدث فعلا ، وظل المسرح من غير ممثلين وممثلات ، متروكا لممثل واحد هو فردة حذاء الليدي ما كبث .

وظل الجمهور محافظا على صمته مدة لحظة شبيهة بالبرق ، ثم انفجر ضحك جنوني ، وساد في أرجاء قاعة المسرح .

ويقال إن المخرج قد أغمي عليه حزنا ، ويقال أيضا إنه همس باحتقار : « صحيح أن العالم الثالث جاهل متخلف لا يقدر الفن » .

ولم تتوقف المسرحية بل استمرت مشاهدها تتعاقب كأنه لا وجود لجمهور .

وفي أحد المشاهد يظهر ماكبث على خشبة المسرح ، ويخوض مبارزة بالسيف مع خصمه ، وكانت مبارزة عنيفة ضارية مصممة على أن تسفر عن قاتل ومقتول .

وفجأة انكسر سيف ماكبث ، ووقع النصل على الأرض ، فاذا هو من خشب ردئ النوع ، وكان خصم ماكبث ممثلا ناشئا ، فوقف مدهوشا مرتبكا حائرا ، مفتوح الفم ببلاهة كأنه ديك اكتشف أنه دجاجة .

وقذف ماكبث مقبض سيفه ، وانحنى على الأرض ، والتقط نصل سيفه ، وتابع مبارزة خصمه بحماسة بينما كان الجمهور يذرف الدموع من كثرة الضحك .

وفي اليوم التالي ، روج بعضهم شائعة مفادها أن شكسبير جاء الى المخرج في المنام ، وقال له متسائلا : « هل تظن أني أنا الذي قتل أمك ؟ » .

وزعم المهتمون بالشؤون السياسية أن ما حدث في مسرحية « ماكبث » ليس سوء حظ أو مصادفة بل هو تنفيذ أمين لخطط مدروس وضعه المخرج الواعي سياسيا وفكريا ، فشكسبير انكليزي والورد بلفور انكليزي .

أما النقاد فقد أجمعوا على مديحها بوصفها أنجح مسرحية فكاهية عرفتها مسارح دمشق ، فاغتاظ المخرج من ذلك المديح ، وطلق المسرح ، وتزوج من امرأة حرص على أن تكون شديدة الشبه بشكسبير ، فالمخرج المبدع وفق المعايير الحديثة لاينام على ضيم ، ويثأر من عدوه ولو بعد أربعين سنة .

أحمر على الأرض أبيض في السماء

أديب عربي معروف أكثر مما ينبغي ، والأسباب الحقيقية سياسية وليست بالأدبية ، فهو يساري متطرف ، يكتب بيده اليسرى ، ويحارب الامبريالية بيده اليسرى ، ويأكل الطعام بيده اليسرى ، ويصافح الرفاق والجماهير الكادحة بيده اليسرى ، ولكنه ما أن يرى نقوداً حتى يمد يده اليسرى ويده اليمنى .

وقد ركب ذلك الأديب يوما في طائرة عتيقة ، وبعد طيران دام زهاء أربعين دقيقة أعلن قائد الطائرة أن الطائرة مضطرة الى العودة الى المطار الذي انطلقت منه لاصلاح عطل بسيط طارئ .

وبعد دقائق ، تبين أن العطل ليس بالبسيط بل هو يهدد الطائرة بالسقوط في أية لحظة ، فهيمن الرعب على الركاب كافة ، وتحولت الطائرة الى مايشبه المسجد الزاخر بالأتقياء الذين ترتفع أصواتهم ضارعة متوسلة الى الله .

واذا الأديب اليساري يجول في الطائرة غير مبال باحتجاج المضيفات ، راجيا من الركاب تعليمه أي دعاء أو أية سورة من القرآن الكريم ، فلم يؤبه لرجائه ، ولكن أحد الركاب قال له بنزق : « اقعد بجانبي وردد معي : يالطيف ويالطيف » . فأطاع الأديب اليساري ، وجلس بجوار الراكب ، وراح يردد بصوت عال فزع « يالطيف ويالطيف » .

ووصلت الطائرة الى المطار سالمة ، ومن غير أن تتعرض لأي حادث مؤسف ، وانتقل الركاب الى طائرة جديدة . وعندما طارت كان الأديب اليساري منهمكا في نقاش حماسي للبرهنة على أن القيم الثابتة فى حياة الناس موضة قديمة ، فهل ينبغي للأدباء العرب أن يظلوا باستمرار في الفضاء ركابا في طائرة مهددة بالسقوط حتى ينبذوا الأقنعة الكاذبة ؟



الخوف

منذ أن خضع للخوف ، وهجر البندقية ، وآثر البقاء حيا ، يعلم بأنهم سيبحثون عنه ، وسيعثرون عليه .

يعلم بأنهم قد يدقون المسامير في يديه وقدميه ، وسيتألم ألما يرغمه على النظر الى أعلى مستغيثا ، والصياح باحتجاج : « لماذا تركتني ؟ » .

يعلم بأنهم قد يحرقونه حيا .

يعلم بأنهم قد يقتلونه قتلا بطيئا بسكاكينهم المثلومة الحد عن عمد .

ويوم خيل اليه أنهم طوقوا غرفته ، اختبأ في جوف تفاحة ، ولم يحاول أن يصرخ لحظة بدأت دودة بالتهامه .

وتمكنت الدودة فيما بعد من ثقب التفاحة والخروج منها والوصول الى حديقة ، وهناك تمتع بالهواء وضياء الشمس والعشب الأخضر ، ولم يطل تمتعه إذ انقض عصفور دوري على الدودة ، وابتلعها ، فابتهج إذ أصبح قادرا على الطيران من مكان الى مكان ولكنهم بعد أيام قليلة قبضوا على العصفور الدوري .

يواصل عميد الأدب العربي القومي الكاتب الكبير أكرم زعيتر في هذا الفصل الجديد مذكراته وذكرياته الرائعة مع الشاعر العربي الراحل بدوي الجبل في قصائده وتجاربه النضالية المختلفة

بدويّ الجبل.. وإخاء أربعين سنة

نحن تاريخُ هذه الأمةِ الفخمُ ونحن المكانُ والسّكانُ

بقلم: أكرم زعيتر



الشاعر الكبير بدوي الجبل مع كاتب المقال

ونشبت سنة ١٩٤١ ثورة الجيش العراقي على الانكليز ، وهي الموسومة بالكيلانية ، وكان لنا دور قومي في تأييدها . حتى اذا اخفقت انطلقت ونفر من إخوان العقيدة إلى الصحراء فسورية ولبنان وكانا تحت سلطان الفيشيين . ثم انتهى بنا المطاف ، حين اقترب الانجليز والديغوليون من حلب ، إلى تركيا لاجئين حيث قضينا أربع سنوات ، وأما بدوي الجبل فقد غادر العراق إلى اللاذقية .. ولم يكن الاتصال بيننا ميسوراً . وجل ما تسرب في سمعي من أخباره ، ممن جاء تركيا وممن كتب لي من زملائي المبثوثين في الأناضول أنه حين بلغ اللاذقية ـ وكانت قصيدته عن سقوط باريس قد ذاعت وأثارت عليه حنق الفرنسيين ـ قبض عليه وقذف به إلى (كسب) على الحدود السورية التركية . وسجن منفرداً في قلعتها لا يزوره أو يتصل به إنسان ، وكان يقضي وقته في تلاوة ما حفظه من آيات القرآن الكريم .. ثم أفرج عنه حين دخلت الجيوش الحليفة سورية ، ولكن السلطات البريطانية أمرت بالقبض عليه ، والتحقيق معه عن سلوكه في العراق ، ومما حدثني فيما بعد أن ضابط المخابرات الانجليزية الكابتن ريتشارد ، وكان أستاذاً في جامعة كمبردج ، علم أن البدوي شاعر فبالغ في احترامه ، وأخذ عليه العهد أن يلزم بيته والا يقابل أحداً حتى ينتهي التحقيق ، وأرسلت المخابرات إلى سلطات العراق تسأل عن سلوك البدوي في أثناء وجوده مدرساً فيه ، فبادر المرحوم « تحسين علي » الذي كان وزيراً للمعارف وعرفته عربياً غيوراً وممن اشتركوا في الثورة العربية إلى الإجابة بما يدفع عن البدوي كل مظنة ، ثم خاض الوطنيون المعركة النيابية سنة ١٩٤٣ وفاز بدوي الجبل بالتزكية نائباً عن اللاذقية .

وتسلم الوطنيون أزمة الحكم في سورية فبرحت واخوان لي تركيا خريف ١٩٤٥ ، ويممنا دمشق في مغامرة ليس هنا مجال الحديث عنها . وعلم البدوي نبأ وصولنا إلى دمشق فبادر إليها للسلام علينا .. ويمم الفندق الذى انزله فلم يجدني ، لأن بعثة عسكرية انجليزية جاءت من فلسطين تحقق معي بعد أن تعهد الرئيس شكري القوتلي بألا يكون مني اخلال بالأمن ، ولما يكن الحكم الوطني قد تسلّم سلطات الأمن من الانجليز !

وعدت إلى الفندق ووجدت رسالة بخط البدوي كتبها مستعجلا وتغلب عليها الدعابة واذا أنا نشرتها فرجائي أن يغض القراء الطرف عن ظاهر المدح وأن يأنسوا منها بخالص المزح :

« مولاى وولي نعمتي . حضرت الآن إلى دمشق ، فبادرت بعد أن تطيبت وتعطرت إلى غرفتك العامرة . فقبلت الأحجار ولثمت العتبة بله الجدار ، وما أراني معبراً لمولاى عن أشواقي وعن اخلاص معاتيقه الصغار (١) الذين يقبلون يديه الكريمتين وهم أسعد الناس لو ظفروا بهذه النعمة من مالك رقهم وولى نعمته . أطال الله بقاء مولاي وحبيبي . ومن رأى قبله مولى يعشقه عبيده ، ويتدله به أرقاؤه ، ونسأل الله لنا وله السلامة بما هو أعظم والسلام عليه ورحمة الله » .

وتوالت اللقاءات حافلات بذكريات الحرب وسجونها ومنافيها ..

ذكرى هنانو

وفى نصف تشرين الثاني ١٩٤٥ زارني السيد ميخائيل ليان أمين سر لجنة الاحتفال بالذكرى الحادية عشرة لوفاة الثائر العظيم ابراهيم هنانو وكلفني الخطابة في مهرجان الاحتفال في حلب الذى يقام بعد أسبوع ، ولما سألته عن خطباء المهرجان . وذكر فيهم اسم « بدوي الجبل » قلت متهيبا : « حسبكم البدوي ففيه غنية عني وفيه الكفاية » فضحك وقال : والغريب أن البدوي حين علم أنك ستكون خطيباً قال لي : يكفيكم أكرم » وأصر على الإعتذار » . ثم جمعنا الاثنين فى مكتبه بوزارة الأشغال ، وكان هو وزيرها ، واتفق الرأى على أن نخطب معاً ، وقال البدوى : « يضيق الوقت عن نظم قصيدة وسأجعل خطابى نثراً » والبدوي إذا تأبى عليه الشعر لاذ بالنثر ، وأشهد أنه يصح فى نثره قول حافظ ابراهيم عن أحمد

شوقي في شعره : «كأنما يتناول الشعر من كمه بسهولة ، فالنثر طوع قريحته .

وأذكر ، ونحن في سيارة الوزير في طريقنا إلى حلب أنه قدم إلى البدوي سيكاراً «هافانيا» فأخذه ، وقدم إلى آخر ، فلم آخذه ، لأنني لا أدخن ، فبادرني البدوي : «خذه . خذه واعطني إياه» فأخذته ودسسته في جيبي قائلا : «لن أعطيك إياه إلا إذا أخفقت في خطابك فيكون لك تعويضاً من الاخفاق ...» .

وكانت الحفلة مهرجاناً وطنياً عظيماً تليت فيه كلمة الرئيس القوتلي ، وبرقية الرئيس الجابري مرسلة من القاهرة حيث اجتماع الجامعة العربية ، وخطب المطران العربي الوطني اغناطيوس حريكة وشاعر العاصي بدر الدين الحامد ، ورنحتنا أنشودة ملحنة تخاطب هنانو :

يـــا مشرق الوجـــه
في المـوقف الصـــعب
الصـــحب مـــا زالـــوا
في أول الـــركـــب
ثم هـــانئـاً خلـــواً
فـــالمجـــد للعـــرب

رائعة نثرية

ودعي البدوي إلى المنبر فتلا رائعته : «ما أقرب يوم التاريخ من أمسه ، وما أدل ماضيه على حاضره ، فمنذ ألف من السنين تجمعت الكتائب الرومانية من شرق الدنيا وغربها تريد أن تجرح العروبة في كرامتها ، وأن تفجعها في حضارتها وسيادتها ، وأعدت لذلك النار والحديد ، والعدد والعديد ، ووقفت قاهرة المعز وعاصمة أمية وبغداد الرشيد ، وقفت ديار العرب والهة جازعة ، وقد أذهلتها المحنة ، وضعضعت من عزيمتها المصيبة ، ووقف قائد الرومان يحلف ليدوسن بسنابك خيله رياض الغوطتين وليقحمنها الفسطاط ، وليوردنها مياه دجلة ، ووقفت الدنيا ترقب طلائع المعركة وتتساءل عن القائد العربي الذي سيصون العرين ويكبح جماح المغيرين ، وعن المدينة التي ستصمد لليوم العصيب وسترفع بيمناها اللواء الخصيب . وتلفتت الدنيا في ضجيج المعركة اللاهية ، فاذا بحلب الشهباء تتقدم الصفوف ، وتتحدى الحتوف ، وتتلقى بصدرها السيوف ، واذا بسيف الدولة ابن حمدان ، عبقري الحرب العوان ، يصدم الكتائب الرومانية فيصدها ، ويتحدى الموجة الطاغية فيردها ، وأحلف بالله بل أحلف بدم الشهداء الذى انسكب ، بل أحلف بعزة العرب ، بل أحلف بالسيف الذي انكسر مما ضرب ، بل أحلف بالايمان الذي غالب فغلب ، ماعلت بذلك كرامة حلب ، بل سلمت كرامة العرب ...» .

وبعد أن نوه الخطيب بموقف حلب قال : «وبعد ألف سنة دار الفلك دورته ، وأعاد التاريخ سيرته ، وغصت هضبات ميسلون وجنودها بالكتائب الفرنسية ، وصمد فتى العرب يوسف العظمة في المعركة ، فأسلم حشاشته ولم يسلم كرامته ، وأهان دمه ولكنه لم يهن علمه» واسترسل الخطيب في تمجيد يوسف العظمة ثم قال : «وتتلفت الدنيا مرة ثانية في هذه الظلمة من اليأس ، والغمرة من الوهن ، تتساءل عن القائد العربي الجبار ، الذى سيمحو العار ، ويغضب للثار .. وتلفتت الدنيا كرة أخرى تتساءل عن الفارس المعلم يسبح جواده المطهم ، في آذى (٢) من النار والدم . فقال قديم التاريخ : هذا سيف الدولة ابن حمدان ! وتضاحك جديد التاريخ فقال : بل هذا هنانو بطل الميدان ، وفتى الفتيان . فحلفة بالله ، بل حلفة بالعزة القومية ، والكرامة العربية ، بل حلفة بالكتلة الوطنية ، ووديعة هنانو الزكية ، لقد حمت الشهباء وحدة العرب في عهد أميرها



زعيم الكتلة الوطنية ابراهيم هنانو ، وعلى يمينه الرئيس هاشم الأتاسي وعلى يمينه سعد الله الجابرى . ويبدو في الصورة أقطاب الكتلة في مؤتمرهم بحلب : نجيب باقي . توفيق الشيشكلي . الشيخ عبد القادر السرميني . نعيم انطاكي . جميل مردم بك . احسان الشريف . رياض الصلح وفخرى البارودى وعبد الرحمن الكيالى . حسن ابراهيم باشا

نحن تاريخُ هذه الأمةِ الفخمُ ونحن المكانُ والسكانُ

سيف الدولة . ولقد حمت الشهباء وحدة العرب في عهد زعيمها هنانو .

أبا طارق(٣) هذي سراياك أقبلت
يرف على أعلامها العز والنصر
نماك وسيف الدولة الدار والهوى
وغناكما أندى ملاحمه الشعر
وأقسم بالبيت المحرم ما احتمت
بأمنع من كفيكما البيض والسمر
فإن تفخر الشهباء فالكون منصت
وحق بسيفي دولتيها لها الفخر

وحدث أن تطلع الى وهو يلقى رائعته كأنما يسائلنى الرأى فيها . فأخرجت السيكار من جيبى وهززته مشيراً إلى أنه استحقه . فتوقف قليلاً — وهو مرهف الحس . ولما رآني أصفق له متحمساً تطلق وجهه . وملك نفسه . وواصل كلمته .. ولكنني وأنا اصافحه حين غادر المنبر . وقبل صعودي لالقاء كلمتي . دسست في جيبه السيكار قائلاً : تستحق « علبة » كاملة .. فحملق عينيه وبادهني : « بشرفك هل أخفقت ؟ » فأجبته : « بشرفي حلقت .. » . وألقيت كلمتي . والقى الأمير مصطفى الشهابي محافظ حلب كلمته وختم محمد سعيد الزعيم الحفلة بكلمة حلب .

يوم الجلاء

وجاء موعد الاحتفال بجلاء الفرنسيين عن سورية واستكمال استقلالها في السابع من نيسان سنة ١٩٤٥ وآثر البدوي أن يلقى عصماءه التى أعدها في مدينته اللاذقية . وليس في المهرجان الدمشقى الذى أمته وفود من الأقطار العربية ، ودعى إلى القول فيه أعلام في الوطنية والسياسة والشعر وممثلو الجامعة العربية ودولها وأمينها العام وكان لي شرف إلقاء كلمة فلسطين فيها . ولكن سؤالا تردد على كل لسان : « وأين بدوي الجبل ؟ » حتى إذا علمنا أن مهرجان اللاذقية يذاع في المساء حرصنا على الاستماع له . وكان سعد الله الجابري رئيس الوزراء ، وأحب زعيم إلى البدوي أحرصنا على الاستماع له . وجاء البدوي دمشق وتكاثرت التهنئات عليه . وفي أمسية في الفندق وكنا متحلقين حول سعد الله رجونا الشاعر أن يرنحنا بتلاوة قصيدته . فاسمعنا بعض أبياتها ، لأنها كانت نحو تسعين بيتاً .. وقد هزني مطلعها :

الزغاريدُ فقد جن الإباءُ
من صفات الله هذى الكبرياءُ

وفيها تغزل بدمشق ، ومجد جهادها ، وترنم ببطولاتها وعظم شهداءها وأبدع في وصف مقامهم عند ربهم في الفردوس الأعلى ، ولم ينس فلسطين :

تم صفو الدهر لولا محنة
في فلسطين وبلوى وشقاء

ووصف المعركة الأخيرة وقد جن جنون الفرنسيين فصبوا مدافعهم على البرلمان وعلى دمشق وأشاد بموقف الزعيم القوتلي وايمانه :

بورك الايمان نوراً وهدى
نعمة الله وسر العظماء
يصنع الدنيا ، ولا تصنعه
صور العقل وألوان الدهاء

وحدث أن دعيت إلى الخطابة في مهرجان النجادة ببيروت احتفالاً بالجلاء عن لبنان في تشرين الثاني من تلك السنة ورأيتني أستشهد بقول « شاعر العربية » من دون أن أسميه :

الزغاريد فقد جن الاباء
من صفات الله هذى الكبرياء

شاعر العربية

ثم اعتمرت القاهرة وأنا أشد ما أكون شوقاً إلى إخواني في القاهرة وإلى عيادة سعد الله الجابرى الذي ألم به مرض في كبده فدخل مستشفى المواساة في الاسكندرية وأشرف على تطبيبه النقيب باشا بأمر من الملك فاروق الذي كان بالغ الحب لسعد الله والاعجاب به .

ولقيت في القاهرة أستاذي إمام العربية إسعاف النشاشيبي ، وقال لي ذات أمسية في الكونتننتال . وقد تحلق حوله ممن أذكر الأساتذة : الزيات وتوحيد السلاحدار وعبد الغني حسن — « قرأت خطابك في عيد الجلاء عن لبنان ، واطمأننت إلى أن عشر سنوات من غيابك عني لم تغيرك ، وأنت أنت . ولكن قل لى من هو الشاعر الذي أطلقت عليه لقب « شاعر العربية » من دون أن تسميه مستشهداً ببيت من قصيدة له في الجلاء عن سورية ؟ فأجبت : « انه بدوي الجبل » فاستنار وجهه قائلا : « أى والله ، اي والله . إنه أجدر شاعر بهذا اللقب ! » . قلت : « وهل يباركه أديب العربية ! » (وهو اللقب الذي كان يطلق على اسعاف) فأجاب : « واكتب له هذا .. قل له : هذا ما يقوله اسعاف .. » .

وكنت قد تلقيت رسالة عتاب من البدوي لأنني لم أكتب إليه فور وصولى القاهرة وقد استشهد في ختامها بقول ابن الفارض :

اخلاى أنتم . أحسن الدهر أم أسا
فكونوا كما شئتم أنا ذلك الخل

فبادرت إلى الكتابة إليه ، وحرصت على أن أنقل إليه قول أديب العربية اسعاف النشاشيبي فيه ..

ثم يممت الاسكندرية لعيادة سعد الله الجابرى ودخلت عليه في غرفته في المستشفى فوجدته يتلو القرآن الكريم .. وحملت إليه تحية أخيه القوتلي واخوانه ولاسيما بدوي الجبل ، فبش وجهه في تأثر وشكر لاخوانه سؤالهم عنه . ومما أذكر قوله لي وأنا أودعه : « الأعمار بيد الله . ولكن إذا مت فأرجو أن أدفن في البقيع في جوار المصطفى في المدينة المنورة .. »

وعدت إلى القاهرة .. ووجدت رسالة من البدوي تنتظرني في مكتب صديقي العربي الأخلص أسعد داغر . وإذا أوردت نص الرسالة فما يهمني في هذا المقال وألفت إليه النظر قوله :

« أما شهادة إمام العربية الأكبر ، إمامنا النشاشيبي التي زففتها إلي فهي والله تعدل كنوز الدنيا . هذا وأنا أعلم كل العلم أنني لا أستحقها ولست في السبيل إليها ولكنه فضله وتفضله ورعايته لي ، وعطفه علي . » .

وعندي أن سراوة البدوي كلفته هذا التواضع . فهو يعرف قدره . وكونه « شاعر العربية » . وفي بعض قصائده قبل الآن وبعد الآن ماينم على ذلك . وحسبي أن أذكر منها قوله :

الخالدان — ولا أعد الشمس —
شعري والزمان

وقوله :

كل مجد يفنى ويبقى لشعري
شرف باذخ ومجد أثيل

أما رسالته ففيها . عدا ما أسلفت . يقول : « شرفني كتاباك متواليين توالي نعم الله . متعاقبين تعاقب آلائه . فالحمدلله ثم الحمد لله على نعمه ولائك ، وشرف إخائك ،وأدام الله علي هذه النعمة . مقدراً إياها حق قدرها ، قائماً ما وسعتني الطاقة بحمدها وشكرها . وسرني كل السرور تذكرك إياي مع الأخ الأوفى الأغلى محمد بك محمود جلال (٤) وماكان أسرعني إلى مصر ، بل إلى من أحب في مصر :

وما حب الديار شغفن قلبي
ولكن حب من سكن الديارا

لولا عوائق الزمان ومشاغل الحياة ، وأنا الآن منهما هدف الموجة الطاغية تلو الموجة الطاغية هل أحدثك عن سرور أبنائي في كتابيك ، فوالله لو شهدت ما انطبع على أساريرهم من اللهفة والحنين إليك ، ومن الغبطة ، بل النشوة من رسالتيك . ولو شهدت عندما لوحت لهم ببريدك كيف تزاحموا وتسابقوا إليه ، لعلمت أي أثر تركته شمائلك



في عيد الجلاء الرئيس القوتلي وعلى يمينه فارس الخوري وعلى يساره هاشم الأتاسي فسعد الله الجابري فجميل مردم بك فلطفي الحفار (وهؤلاء رثاهم البدوي بعد وفاتهم) فصبوح البخاري فتوفيق شامية

الأصيلة الصافية في تلك النفوس البريئة الطاهرة، وأي هوى لك في تلك الجوانح التي لا تعرف رياء الدنيا ولا مصانعة الناس، ثم يرجو أن أطمئنه إلى صحة الجابري ... » وأن توكد له بأسلوبك الساحر الجازم وفائي له » :

وكتب إلى الأستاذ إسعاف شاكراً ومقدراً، معتزاً فخوراً، وقد إطلعت على رسالته وفاتني الاحتفاظ بنصها.

عتـــاب

ويممت القاهرة مطلع سنة ١٩٤٧ بدعوة من الصديق العربي الصميم الأستاذ أسعد داغر للمذاكرة في عقد مؤتمر عربي شعبي وتلقيت من البدوي رسالة شغلتني شواغل عن الإجابة عليها ففوجئت برسالة عتاب استغفر الله له من الغلو فيها والجماح، ولي من استباحة نشر هذا المزاح! قال « أمتعك الله بالشباب الدائم، بل أمتع الشباب الدائم بك. فوالله مانزل بساحة أنضر من ساحتك، ولا سكر بشمائل أعطر من شمائلك.

وبعد يا أخي وسيدي. فإذا كانت نفسك قد مرنت على الهجر، فقد مرنت نفسي والله على الصبر. وألفت أن تمحضك أنت بعد الخالق سبحانه الشكر على اليسر والعسر. كتبت لك وترقبت جواباً حتى طال الأمد، وتلفت الشامتون من هنا وهنا. وتنكرت الشماتة بهيئة العطف علي فصح بي ماقلته قديماً :

لا يرى الأعداء دمعي جارياً
إنني أبغض عطف الشامتين

وهأنذا وقد أمضني الهجر، وعزني الصبر، أذكرك بهذا المملوك الذي لا تهمله كل الإهمال فينسى، ولا تقربه كل التقريب فيرجى، بل تتركه في الحالتين بين بين، فتذيقه في الكأس الواحدة عذوبة الرضا ومرارة الغضب، وكرامة العز وهوان الذل، فالله الله بالرمق الذي يفنى أو يكاد.. والله الله بحبل الود أن يتقضب. وأعيذك من سطوة الحر إذا يئس، فقد يسلمه القنوط إلى شق عصا الطاعة ومفارقة الجماعة، فيا أخي لماذا تبقى كتبنا بلا جواب، ولماذا يبقى عتابنا بلا إعتاب!

وأخيراً يا أخي جاءتنا دعوة المؤتمر، فهل لك أن تتفضل بتقديم تحياتي إلى الأخ الكريم أسعد بك داغر وأن تحمل إليه قبولي الدعوة الكريمة التي أسأل الله لها النجاح والتوفيق، وأرجو كذلك أن تقدم للأخ الأغلى محمد بك محمود جلال خالص شوقي وإجلالي ولشيخ العروبة الطاهر (٥) طاعتي وامتناني، ثم نقل إلي سلام إخوانه، وربما شهدنا المؤتمر مجتمعين ويزيدنا وجودك في مصر حرصاً على الحضور :

تمـام الحج أن تقف المطايـا
على حـــدراء كاشفة اللثـام

والله يطيل بقاءك قرة عين لاخوانك وللمروءة والعروبة »

وفاة الجابري

وعدت إلى دمشق وتتالت لقاءاتنا وكان أشد ما يرمضنا أن يبدو مرض الزعيم الجابري عياء، وقد بارح الاسكندرية إلى حلب.

وحدث أن ندبتني الهيئة العربية لفلسطين بالاتفاق مع الأمانة العامة لجامعة الدول العربية إلى الدفاع عن قضية فلسطين في أمريكا اللاتينية وتنظيم الجوالي العربية فيها، ويممت مصر في طريقي إليها، وبينما كنت أهيئ وثائق القضية : خطر على بالي أن أهاتف من الفندق الذي أنزله القصر الجمهوري بدمشق أسائل عن المريض الحبيب فقيل لي : قضى سعدالله بك وغادر الرئيس القوتلي دمشق إلى حلب لتشييع أخيه ورفيقه وغص مخاطبي بالبكاء، فكانت الصاعقة ... ولحجت في البكاء، واقتحم غرفتي الأستاذ انطون الجميل رئيس تحرير الأهرام وصديق سعد الله الحميم، ورأى عيني غريقتين بالدموع فحاول تعزيتي ولكن العبرات تدفقت فبادرني : « قل لي ياصاحبي ماهو أجدى على سيرة سعدالله وأبلغ في وداعه هذه الدموع أم أن تغمس القلم بها، وتكتب للأهرام لعدد الغد مقالاً عن سعدالله ؟ هو ذا القلم وهذا هو

نحن تاريخُ هذه الأمةِ الفخمُ ونحن المكانُ والسكانُ

الورق وسأزورك عصراً لآخذ المقال .. اكتب بدموعك ولا تدعها تنثال هدراً ، وزودتني كلمات أنطون باشا بشحنة كهربية ورحت أكتب ولم تعصب اللوعة دمعي وأحسست وأنا أكتب المقال أنه البوح الذي أزاح عن صدري أثقل الهموم ، ورأيت المقال صبح اليوم التالي منشورا في صدر الأهرام وقد قدم له الأستاذ انطون بمقدمة كريمة كأن سعد الله هو الذي أكرمني بها ، وقبل أن أبرح مصر إلى أمريكا اللاتينية أبرقت إلى البدوي بالتعزية بوفاة أحب زعماء العرب إلى قلبه .

وواليت الكتابة إلى البدوي من أمريكا اللاتينية ولما وصلت إلى الولايات المتحدة في طريق العودة إلى الوطن العربي وجدت في نيويورك رسالة مفاضة من البدوي يفصل فيها ما جرى في سورية من قيام الحزب الوطني وفوز الوطنيين في الانتخابات النيابية . وتعديل الدستور لانتخاب الرئيس القوتلي باجماع المجلس ، وسير المعركة الفلسطينية واستشهاد القائد الفلسطيني عبدالقادر الحسيني في معركة القسطل .. ثم أجاب على ما أبديته من ألم لأنني غير موجود في المعركة قائلاً : «ولا يؤلمنك أنك غير موجود في المعركة فجهادك والله في ساحتك الآن أعظم من جهادك وأنت تحمل البندقية في المعركة . إن الذين يستطيعون القتال كثيرون ، والحمدلله ، في هذه الأمة ، أما الذين يستطيعون القيام بالمسؤولية الضخمة التي تقوم بها الآن فهم قليلون جداً ، بل نادرون كل الندرة فهنيئاً لك ماتقدمه لديار العرب ، لا لقضية فلسطين وحدها من خدمات كبرى ، ولا أقول ذلك والله إرضاء لك ، بل ارضاء للحق وللضمير وللواقع » ثم يقول : «أقيمت حفلة المغفور له سعد الله الجابري في ٥ نيسان وقد كانت حفلة ضخمة جداً . وقد ترأسها فخامة الرئيس وألقى حكمة رائعة وألقى من الشعراء أربعة : البدوي وعادل الغضبان والحامدي وأبو ريشة ، وقصيدتي تصل إليك طيه ، فأرجو أن أكون وفقت فيها إلى أداء بعض مايتوجب علي نحو الفقيد العظيم . وقد ذكرك أصدقاؤك ــ وهم كثر ـ بهذه المناسبة وتمنوا لوكنت حاضراً . ولاشك أن محلك في الحفلة لم يملأ . فالكلام عن سعد الله وعبقريته وخلقه ونفسيته ، وما إلى ذلك هيهات هيهات أن يحسنها وأن يفيها حقها إلا أكرم لأنه تفذ إلى سريرة سعدالله وشاركه آلامه العليا وأفراحه العليا . واننا نحن إخوان سعد الله وأصدقاءه لنعلل أنفسنا منذ الآن بسماع كلمتك في الذكرى الآتية .. وبعد فكيف أنت يا أخي وسيدي وأعز الناس علي . وكيف صحتك الغالية ، وما هي همسات قلبك لقلبك وهل أنت مسرور السرور الذي يهنأ به أمثالك من أرباب الذوق المترف والإحساس المرهف ؟ أطل الحديث عن هذا لأخيك الذي لم يفارق خيالك تفكيره ولا قلبه ، انني مشتاق إليك ولكن شوق الهانئ لا شوق المحروم ، «لأنك من عيني نقلت إلى قلبي» وأنت ــ وحياتك ــ رفيقنا الدائم . فما هنئنا بسهرة ولا استلطفنا نكتة ولا استذوقنا جمالاً ، ولا حزبنا حازب إلا تلفت إليك القلب وخاطبك وأنس بك وشاركك الغبطة وأشركك بها . عجل بالرجوع ما استطعت فالبلاد تنتظرك واخوانك ينتظرونك على أحر من الجمر .. » ويواصل « فخامة الرئيس يذكرك دائماً وجميع الاخوان وفي مقدمتهم نبيه بك (العظمه) وصبري بك (العسلي) وميخائيل بك (ليان) وعادل بك (العظمه) ومن لا أعد ولا أحصي من بكوات وأفندية وجنس خشن وجنس لطيف وأوانس وعوانس . لم تصل سكائر الهافانا بعد (وكنت أرسلت اليه من كوبا علبة) وإذا وصلت فستذكرك عند كل شحطة من أنفاسها المعطرة».

رثاء العظيم

ورحت أتلو قصيدته في سعدالله .. وتمثلته أمامي يهتف بالبدوي مبتسماً : أحسنت .. أحسنت .. وقد مضى على نظم القصيدة سبع وثلاثون سنة .. ولا أفتأ أعود إليها يوم الذكرى من كل عام . إنها نحو مئة بيت . ويا لله ما أروع مطلعها :

سأل الصبح عن أخيه المفدى
أيها الصبح لن تشاهد سعدا
غيبه الدهر من سيوف معد
مشرفيا حمى وزان معدا
كلما عارضوا الصوارم فيه
كان أمضى شباً وأصفى فرندا

ولا أجد أحلى وأصدق وأجمل في وصف طلعة سعد الله وحديثه وظرفه وهمومه من قوله :

حاسنوا غرة الصباح بسعد
فعلمنا أي الصباحين أهدى
طلعة تفرح العيون وتسبيها
وتغزو القلوب كبراً ومجدا
وحديث كأنه قطع الروض
تنوعن أقحوانا ووردا
بدعة الظرف والأناقة يرضيك
دعاباً عفاً ويرضيك جدا
تنهل العين من بشاشة سعد ريها ــ
والعيون تروى وتصدى
الحضارات في شمائل سعد
فاذا سمته الهوان تبدى
مترف في رجولة واعتداد
راع زياً وراع وجها وقدا

وفيها :

زعم الخصم أنه مستبد
حبذا الحكم عادلاً مستبدا
إن شر الأمور ظلم الجماهير
وأهون بالظلم إن كان فردا

وفيها :

قل لمن يحسد العظيم ، ترفق
إن خلف الأمجاد هماً وسهدا

وسعد الله في مجلس النواب :

ملهم حاضر البديهة تغريه
بأحلى مما اصطفى وأعدا
مترف الفكر والبيان غني
باللآلي يصوغ عقداً فعقدا
يجمع الحق والبيان على الخصم
فلما تملك الأمر شدا
يطعن الطعنة العفيفة لا
تدمي ولكنه أباد وأردى

وسعد الله مريضاً :

ماراى السقم قبل سعد حناناً
وحياء من السقام ورفدا
كبقايا السيف اطمأنت إلى الجفن
وراحت تبلى الهوينا وتصدا
روعة الشمس في الغروب ولا
أعشق للشمس عنفوانا ورادا

وطيف سعد الله :

وأصون الطيوف بين جفوني
لو تطيق الجفون للطيف ردا

ومن أبياتها السائرة :

إن دين العظيم في كل شعب
لا يوفى وحقه لا يؤدى
شغل الناس بالعظيم وأرضوا
نزوات النفوس هدماً ونقدا
حسدوه على المزايا فكان الموت
بين الأهواء والحق حدا
إن من ينكرونه وهو حي
ربما الهوه رمزاً ولحدا

وآلم البدوي أن يشن رعن من الشبان الحملة على الرعيل الأول من قادة الحركة العربية فكانت ذكرى سعد الله سانحة لعتاب اؤلئك المتجنين عليهم :

عيروا بالمشيب اخواني الصيد
سفاها وهل عن الشيب معدى
أي لوم على الكهول وخاضوا
غمرات العلى شبولاً وأسدا
ما لأبنائنا تجنوا علينا
وغفرنا ماكان سهواً وعمدا
أنكرونا على المشيب كأنا
لم نكن قبلهم غرانيق مردا
حاسبونا على هنات المعالى
ثم غالوا بها حسابا وعدا



سعد الله الجابري في منتزه دمر بدمشق بعد عودته من الاسكندرية (بالطربوش) وعلى يمينه اكرم زعيتر
وعلى يساره بدوي الجبل فنبيه العظمة فمخائيل ليان فطاهر الجابري (يدخن النارجيله)

نحن رُوادكم طلعنا الثنـــايا
وزحمنـا الصعاب غوراً ونجدا
أيها النـازل المقيم تعهـــد
بالرضى والحنـــان ركباً مجدا

وأقول استطراداً أنني في أحد لقاءاتي سماحة الحاج أمين الحسيني : مفتي فلسطين ورئيس هيئتهـا العليـا سمعته يردد هذه الأبيات . وهي لسان حال كل زعيم عربي جحده جاحدون من الجيل الجديد .

ثم مجد الشاعر جهاد الرئيس القوتلي ، وريث الشموس من عبد شمس ، وتلفت إلى فلسطين وقد طمتها الطامة :

أسلم القدس من يحج الى القدس
ويتلو الانجيل وِرداً فـوردا
مدن القدس كالعـذارى سبوها
وأرادوا لكل عـذراء وغـدا
ضج سوق الرقيق في ندوة (٦) القوم
ونخاســه طغـى واستبـدا
غيرة الله اين قومي وعهـدي
بهم ينهدون للشـر نهـدا

وسعد الله :

لو رأى هذه الدموع الغوالي
لبكى رحمـة وحيـا وفـدى
ثورة في الحيـاة والموت جلت
ثورة الحـق أن تقـر وتهـدا

رائعـة المعـري

وعدت من أمريكا إلى دمشق ، وحفلت سنة ١٩٤٨ باللقاءات الشاجنة . وقلت له ذات يوم : أي قصائدك أحب إليك ؟ .. فأجاب : كلهن حبيبات .. وحاولت أن أجعله يفاضل بينها فلم أفلح .. وفي لقاء آخر قلت له : « ان متأدباً يؤلف مختارات من روائع الشعر كلفني أن اختار له قصيدة من شعرك فماذا ترى ؟ » فأجاب : « قصيدتي في المهرجان الألفي للمعري . » (وأغلب الظن أنني لو سألته هذا بعد سنين لما آثرها على قصائده في فيينا وجنيف) ثم قال : « قصيدتي هذه ألقيتها في اللاذقية أمام الوفود العربية في المهرجان الألفي للمعري وكنت أنت في منفاك في الأناضول » ونهض إلى مكتبه وأعطانيها قائلاً : « اقرأها وحدك واختر منها ماتشاء ، إنها ذات أربعة وتسعين بيتاً » . وتوقعت أن تكون كفافة المعري وفلسفته ولغته ينابيع القول .. وإذا بي أقرأ جديداً . وأدركت وأنا أتلوها مرنحا لم انتقاها للمختارات المزعومة ، وما أصعب الاجتزاء ببعضها !! وهذه قبسات عجلان منها :

الدهر ملك العبقرية وحدها
لاملك جبـار ولاسفاح
والكون في اسراره وكنوزه
للفكر ، لا لوغى ولا لســلاح
لاتصلح الدنيا ويصلح أمرها
إلا بفكر كالشعـاع صراح

وبعد أن قال :

نفذت بصيرته لأسرار الدجى
فتبرجت منهـا بألف صباح
من راح يحمل في جوانحه

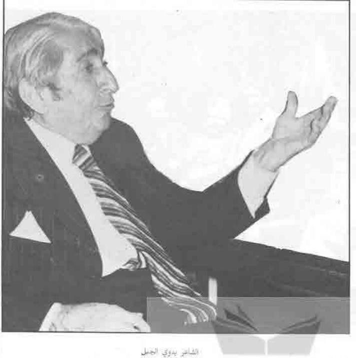
نحن تاريخُ هذه الأمةِ الفخمُ
ونحن المكانُ والسكانُ

هانت عليـه أشعة المصبـاح
وثب خيـاله إلى ماأثر عن عـداوته للمرأة فهتف به :

ظفرت برحمتك الحياة وصنتها
عن كل ناعسة الجفون رداح
أتضيق بالأنثى ، وحبك لم يضق
بالوحش بين سباسب وبطـاح
يا ظالم التفاح في وجناتهـا
لو ذقت بعض شمـائل التفاح !
عطر أحب من المنى وغلالة
بدع فمن وهج ومن أفراح
هي صورة لله جل جلاله
عزت نظائرهـا على الألواح
فتحت بقدرته النعيم ولونت
أنواره جلت يد المنـاح
ليت الهموم العبقرية هدهدت
بحنـان طيبـة اللمى ممراح
ماأحوج العقل الحكيم ــ وهمه
وسع الحياة ــ لصبوة ومراح
ولمن تدلله وتسكر روحـه
عند الهجير بظلهـا النفـاح
انثى إذا ضاقت سريرة نفسه
طلعت بآفاق عليـه فساح
تسقي الهموم إذا وردن جنانها
بمعطر كالسلسبيـل قـراح
وتردهن عرائسـا مجلـوة
كندى الصباح وكن غير صباح
ايه حكيم الدهر أي مليحة
ضنت عليك بعطرهـا الفواح
اسكنتهـا القلب الرحيم فرابهـا
مافيـه من شكوى ورجع نواح
جرحت إباءك والحياء فأقفلا
باب المنى ورميت بالمفتـاح
لو أنصفت لسقتك خمرة ريقها
سكر العقول وفتنـة الأرواح

ورأى أعلام الأدب العربي : طه حسين وأحمد أمين وعبدالوهاب عزام وطه الراوي ومحمود علي والنشاشيبي والمغربي وخليل مردم بك ومهدي البصير والمبارك وسائر تلك الكوكبة فهتف بالرئيس القوتلي راعي الاحتفال :

الوحدة الكبرى تهلل فجرهـا
بظـلال أبلج ذائد نفـاح
هذى العروبة في حمـاك مدلة
ربع العدو بها وضاق اللاحى
الأزرق الرجراج حن لرملـة(٧)
في الدجلتين نديـة مسمـاح



الشاعر بدوي الجبل

وأرى الكنانة إن تماجد ماجدت
بالعـاص لا بمثني ولا بفتـاح(٨)

وأنهى قصيدته معتذرا :

فأعذر إذا لم أوف مجدك حقه
لجج الخضم طغت على السباح

عقـوق الأقـرباء

ووقع « انقلاب » حسني الزعيم في دمشق في آذار (مارس) ١٩٤٩ واعتقل الرئيس القوتلي فضاقت علينا دمشق .. فغادرتها إلى بيروت فإلى نابلس التي عدت إليها بعد غياب اثنتى عشرة سنة بقرار من السلطة البريطانية المنتدبة ، وبارحها البدوي إلى اللاذقية ولم نعد إليها إلا بعد مقتل حسني الزعيم في آب ١٩٤٩ .

وفي لقاء لنا في بيروت كان البدوي يتنزى ألماً وقال إنه يحس بغربة في دمشق التي يفضلها على بلاد العالمين ، وأنه ــ نظم قصيدة سكب فيها اشجانه ، وأعدها لذكرى هنانو وكانت شواظاً سلطها على الحاكمين وعلى من اعتقد أنهم أساءوا إليه وأسمعني بعض أبياتها فرجوته أن يكتبها بيده في مفكرة جيبى ففعل ، وهذه هى :

عقني الأقربون في غمرة الخطب
وعق اللـدات والاخـوان

سوف يملي التاريخ عني ما يملي
فتخـزى بظلمي الأوطـان

ينصف العبقري دهـر فسيان
وفى اصفيـاؤه أم خـانوا

نعمـة الشعر نعمـة الشمس لا
يعـذر فيها الجحود والنكران

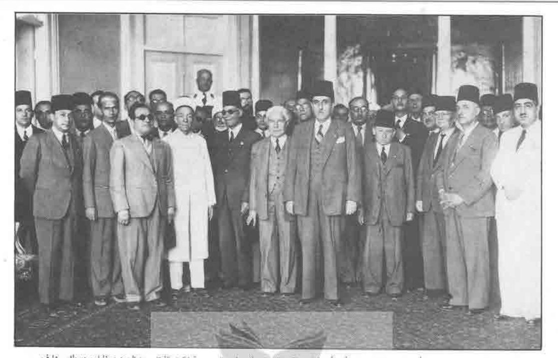
وأسر الشكوى حيـاء وكبرا
رب شكـوى إسرارهـا اعـلان

ومن روائع تلك القصيدة التي تبلغ مئة بيت ، وهي تعد في السائرة :

أين حريتي فلم يبق حـراً
من جهيـر النـداء إلا الأذان

سبـة الدهـر أن يحـاسب فكر
في هـواه وأن يغـل لسـان

الضحى والشجـاع حلف كفـاح
ما احتمى بالظـلام إلا جبـان



صورة مهمة وفريدة تجمع اعلام الأدب العربي في المهرجان الألفي لأبي العلاء سنة ١٩٤٥ يتوسطهم رئيس الجمهورية شكري القوتلي . من اليمين : خليل مردم بك ــ عارف النكدي ــ محمد كرد علي ــ محمد الشريقي ــ محمد البزم ــ عبد الوهاب عزام ــ إسعاف النشاشيبي ــ الرئيس القوتلي وبينهما خلفاً طه الراوي ــ فارس الخوري وبينهما يبدو رأس أحمد أمين ــ علي محمد الخوري ــ طه حسين ، ووراءه الشيخ عبد القادر المغربي ــ الشيخ عبد القادر المبارك ــ مهدي البصير وبينهما رأس أسعد طلس فآخرون ..

كتب المجد ماشتهت غرر المجد
ونحـــن الكتـــاب والعنـــوان

نحن تاريخ هذه الأمة الفخم
ونحن المكـــان والسكـــان

قد سقينا من قلبنا الموت حتى
نبت الضرب في الربى والطعان

أخا الجلي ورب أخ تعرى
لدى الجلى عن الحسب القراب

احبك للنبيل من المعـــالي
وللعطر السري من الرغـــاب

وانت إذا تحدثك الرزايـــا
ضيـاء الشمس .يسخر بالسحـاب

تحن إليك عند البعد روحي
حنين الورد للنطف العـذاب

وحبك نعمـة الدنيا وأحلى
من النعمى شمائلك السوابي

أكرم زعيتر

تعـــــزية

وحدث أن كنا في جريدة « الحياة » ببيروت حين جاءني هاتف من شقيقي الكبير بنابلس عادل زعيتر يحثني علي الحضور مسرعاً إلى نابلس لأن صحة شقيقي الآخر « نبيه » قد ساءت فبادرت إليها ، وبعد أيام فجعت بوفاته رحمه الله ، ويبدو أن صديقاً ما قد نقل إليه انني عاتب عليه كونه لم يعزني ، لأنني تلقيت منه بالبريد هذه الأبيات :

أأكرم حبنـــا أصفى وأسمى
ـعلى عنت الخطوبـ من العتاب

وما عزيت حين ألم خطب
مصـابك في جلالتـه مصـابي

أخطاء وردت في الحلقة السابقة

حياله	وصحيحها صياله
خضت	« خضبت
عرس	« عرس
حزفها	« صرفها

ووردت عبارة . « ورأيت الأستاذين ابراهيم المازني وأسعد داغر يبادران إلى تحية الشاعر » بعد حفلة نادى المثنى وقصيدة سقوط باريس . والواقع أنهما هنآه بعد قصيدته في تأبين غازى .

جفضي	وصحيحها تغضي
الوطنة	« الوطنى

هوامش :

(١) يعني أولاده
(٢) الآذي : الموج
(٣) ابراهم هنانو
(٤) مصري كبير من أقطاب الحزب الوطني اشتهر بوفائه لاصدقائه ولذكرى مصطفى كامل ومحمد فريد
(٥) السيد محمد علي الطاهر صاحب جريدة (الشورى) المشهورة .
(٦) جمعية الأمم المتحدة
(٧) البحر في سوريه حن إلى صحراء العراق .
(٨) تماجد بعمرو بن العاص لا بالفرعونين مني وفتاح .

افتتاحية الدم الفلسطيني

شعر: محمود حامد

نمشي وأكفاننا على أكتافنا لأن طريق النضال أمامنا يمرّ عبر بوّابة الموت .

- ١ -

هُمْ يحفرونَ لِجُثّتي قَبْراً ، يضيقُ ، يضيقُ كَيْ ،
لا يَخرجَ الجَسَدُ القتيلُ لكي يُحارِبَ مِنْ جديدْ
فإذا بِهِمْ قَبْلَ احْتِواءِ الْقَبرِ لي ،
يَجِدُونَ سيفي خارجا من قاعِ لحمي ،
يَصْرخونَ : هُوَ الشَّهيدْ
لِلْمَرّةِ الْمِلْيونِ عـــادَ ،
أما رَأَيْتُمْ ؛
كيفَ تَنْفِرُ صَهْلَةُ الدّمِ كالْبُروقِ مِنَ الْوَريدْ
وَتَصيرُ رَعْداً ،
ثُمَّ مَوْتاً ،
ثُمَّ سَيْفاً صاعِقاً … .
ما لانَ إلّا حينَ ضَمَّ القَبْضةَ السَّمراء فيهِ دَمُ الفِلِسْطينيِّ ،
والكَفُّ العَنيـــدْ .

* * *

- ٢ -

هذي عُيونُ اللّيلِ أمْ ،
هذي عُيونُ المَوْتِ تَزْحَفُ ؟
أمْ هُمُ الأشْباحُ مِنْ وَجَعِ المقابرِ يخرجونْ
هاماتُهُمْ تبدو كأشجارِ الصَّنَوْبَرِ ،
في التُّرابِ جُذورُها
ونِعالُهُمْ فَوْقَ الحُصُونْ
يَتسلَّلُونَ كَما الهَواءِ ،
يُبَعْثِرونَ الخَوْفَ في أجسادِنا
نُلْغي مَساماتِ الجُلُودِ ،
فكيفَ يَنْبُتُ شَوْكُهُمْ في لَحْمِنا ؟
وإلى دمانا يدخلونَ ؟
يَتوغّلونَ بنا فيكتشفونَ فينا ،
كُلَّ ما لَمْ يكتشفْهُ الآخَرونْ

نَنْهارُ عِنْدَ نِعالِهِمْ …
نبكي وَهُمْ أبداً علينا يَضْحَكونْ
نَهوي وَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتٍ يَنْهَضُونْ
نمضي نُجَرْجِرُ رُعْبَنا عَنْ ساحِهِمْ
ونقولُ : كيفَ بِهِمْ وَهُمْ قَتْلى ، وَنَحْنُ الغاصِبونْ ؟
هُمْ يصمدونَ ونحنُ نسقطُ ،
يصمدونَ ، ونحنُ نسقطُ ، يصمدونْ
هُمْ يَخرجونَ مِنَ المَسامِ ، مِنَ العِظامِ ، مِنَ الجَماجِمِ يَخرجونْ
ويُخوِّفنا ، نَحْنُ الطُّغاةَ ، مُحاصَرُونْ .
تَغْفو على القَصْفِ العُيونُ ،
ونحن نصحو
يُرسِلُ القَصْفُ [illegible] في جُنُونْ
تبتسمُ الأطفالُ .
والأيْدي تُلَوِّحُ ،
لا تَهابُ مِنَ المَنُونْ

* * *

حينَ الصَّنَوْبَرُ يَسْتَفيقُ على الجِبالِ ،
تَهابُ مِنْهُ الرّيحُ ، يَحْشاهُ السُّكونْ
والكونُ يصمتُ حينَ يَصْخَبُ في التِّلالِ الزَّيْزَفونْ
هذي العُذوبةُ في دِمانا عَلَّمُوها ،
كَيْفَ تَرْعَشُ رهبةً منها سُيوفٌ ،
كيف يخلعُ هذه الدُّنيا دَمٌ أَلِفَ الشُّمُوسَ . .
ونظرةٌ كالبرقِ تلمعُ في العُيونْ . .

* * *

مَرّوا على جسدي خِفافاً فانْتَشَيْتُ ،
أنا الطريقُ لهم إليكَ ،
وَهُمْ إليكَ العائِدُونْ
يأتُونَ من جسـدي ،
ومن لحمي وعظمي يَعْبُرونْ

وأنا الذي رَبَّيْتُهُمْ شبْراً فَشبْراً
قُلْتُ : لحظَةَ يَكْبُرونْ

سيكونُ ثأري في دماهم قد تغَلْغَلَ ،
عندها ،
لا هَمَّ لو كُنْتُ التُّرابَ لِنَعْلِهِمْ ،
أَوْ لا أكونْ

* * *

– ٣ –

يتساءلونَ عن الطُّفولةِ في المُخَيَّمِ ،
كيفَ تَكْبُرُ ؟
كيف يُصبحُ صخرة بِصُمُودِهِ
طفلٌ حبا في الطِّينِ ،
غاص إلى الجحيم بِعُودِهِ ؟
فيجيبُ زَنْدُ البُنْدُقِيَّةِ :
كَمْ فتي أَضْحى نقيّاً في المُخَيَّمِ ،
لحظَةَ انهمرتْ دِماهُ على تُراب جُدودِهِ
وَهُوَ الذي ما زال يَنْسَكِبُ الحليبُ على يَدَيْهِ ،
وَفَوْقَ سُمْرِ زُنُودِهِ
يتساءلون عن الطُّفولة في المُخَيَّمِ كيفَ تَكْبُرُ ؟
كيف ترسم دربَ عودتها على كَرَّاسَةِ الفَصْلِ الصَّغيرةِ ؟
كيف تَتَّسِعُ المقاعِدُ للكثيرِ من الخيالات الكبيرةِ ؟
كيفَ تَتَضِحُ الخريطةُ حين يحفرها الصِّغارُ على الجدارْ ؟
بأصابع العشقِ الحزينةِ : عودةً ، وطناً ، ودار
ويداً تُلَوِّحُ للجليلِ بأَنَّنا آتونَ ،
أَنَّ رياحَنا وصلتْ إلى أرضِ المَطارْ
يتساءلون فأخبرهم ،
كم يُعاني من يُغادِرُ لَحْظَةً هذا الحِمَى ؟

* * *

– ٤ –

هذي نَزيفُ جراحِنا
هذي الحدائقُ مثْقلات بالظَّمَا
والحُزْنُ يسكنُ في السُّفُوحْ
لا يبخلُ الجَسَدُ المُناضِلُ بالدِّمَا ،
أبداً ولا ،
بخلتْ بها هذي الجُروحْ
إنْ يَسْحَقُوا أجسادنا ،
سَتَظَلُّ تنبضُ داخِلَ الأجسادِ رُوحْ
لن ينتهي تَحْتَ الثَّرى
من عاش يذبحهُ الطُّمُوحْ

* * *

– ٥ –

نَشتاقُ يخلعُنا صهيلُ الرَّعْدِ من هذا العذابْ
فَالْحُلْمُ لن يبقى طويلاً عبر ذاكرةِ التُّرابْ
والرِّيحُ تمسحُ ما كتبنا فَوْقَ صَمْتِ الرَّمْلِ ،
أو فَوْقَ السَّحابْ
لا شَيْءُ يبقى
غيرُ ما خَطَّ النَّزيفُ على الثِّيابْ

* * *

جسدي يُغادرني ،
تضيقُ بِهِ الجهاتُ ..
دمي يُغادرني ،
تضيقُ بِهِ الشَّوارِعُ ،
يَسْتَفِزُّ البَرْقَ صَوْتي ،
كيف أصمتُ ؟
والصَّهيلُ بداخلي
هذي الحَدائِقُ فاسأليها ما بِهَا
مسكونة بالصَّمْتِ ، والشُّرفاتُ ،
ما بال البنفسج فوقها ،
حين العصافير العزيزة غادرتها ،
نام مكسورَ الجناحْ
يَهْتَزُّ وَجْداً كلَّما
لاحتْ على الأسوارِ بَعْضُ بلابلي
ما هَزَّني أَنّي أصيرُ إلى تُرابٍ ،
حَسْبُه الجسدُ الذي نثروه في ساحِ الجليلِ ،
يكونُ فردوسَ الخُلُودِ لضحكةٍ تأتي من الأعماقِ ،
يرويها دمي
فتصيرُ عُرْساً في جُذور سنابلي .

* * *

افتتاحية الدم الفلسطيني

ضجَّ الصَّهيلُ بداخلي
وأنا كعصفور أهيمُ على شبابيكِ الحبيبة ، كلَّما ،
حَنَّ الفؤادُ لها ، قُتِلتُ ،
فما استرحتُ ،
وما استراحْ
ينتابني حُزْنٌ إذا لم أغتسلْ ،
ما بين آونةٍ وآونةٍ بأنهارِ الرِّياحْ
ينتابني حُزْنٌ إذا
كَسَرَ النُّعاس جُفُونَ مِصْباحي ،
ونامت في دمي شَمْسُ الصَّباحْ
هيَ عادةٌ مُنْذُ الطُّفُولَةِ لم تُغادرْني ،
وظَلَّت تأكل الجَسَدَ المُتَيَّمَ ،
كَيْفَ ظَلَّ جُنُونُ عشقي في دمي يَنْمُو ،
لِتُصْبحَ كُلُّ هَمّي ،
ذرَّةٌ سمراءُ في تِلْكَ البِطاحْ ؟

هذا جنونُ العشقِ ، فاحتملي جُنوني ،
كم تُكابرُ في الشَّرايين الجراحْ
حين استفزَّ السَّاحُ نَخْوتَها مَشَتْ ،
فسلي سُيُوفَ المَجْدِ عنْها ،
هل تخلَّتْ لحظةً عن كبرها في أي ساحْ ؟
تأتيك مُثْقَلَةَ الجناح بشوقها ،
مَنِ استباح سواك ساحتها هوىً ،
ولكم يطيبُ على يديكِ المُسْتَباحْ
آتيكِ ، مُرْهَقَةً خُطاي مِنَ النَّوى ،
لولاكِ ما اهتزَّ المدى طرباً ولا
رقصت على درب السَّماء خُطى الشُّمُوس ،
ولا هَفَتْ للمجد أعناقُ الرِّماحْ .

-٦-

مُدّي سَواقي جُرْحِنا
فالأرضُ من عطشٍ ستأكلُ ثَدْيَها
وتكادُ تخلعُ عُرْيَها
هذي البُذورْ
مُدّي على هذا الثَّرى أجسادَنا
ولْيَعْبُرِ الأحْبابُ ،
إنَّا قد جعلنا دَرْبَهُمْ أكبادَنا
كُلُّ الجِهاتِ لنا ،
فَمَنْ شاءَ العُبورْ
صَوْبَ الجَليلِ ،
عَلَيْهِ أنْ يَخْطُوَ على هَذي الجُسورْ .

قُولي لِمَنْ هذي البواسِقُ أشرعتْ هاماتِها
فَوْقَ العُصورْ
قُولي لِمَنْ كانت تُؤرِّخُ عشقها عَبْرَ الجُذُورْ
قُولي لِمَنْ هذي السَّواعِدُ ،
مِثْلَ أعناقِ الرِّماحِ إذا تَثُورْ ؟
قُولي لنا ،
يا أمَّةً لم تُنْتِجِ الأصْلابُ في أرْحامِها
غَيْرَ النُّسُورْ

هذا المُخَيَّمُ لَمْ يَعُدْ رملاً ينامُ على الفَجيعةِ ، لا ، ولا
صمتاً يُشَرِّشُ في الصُّخُورْ
هذا المُخَيَّمُ ، فاسألي ساحاتِهِ
مَنْ عَلَّمَ الأشجارَ كيفَ تُقاتِلُ الأعْداءَ فيه ،
ومَنْ أثارَ النَّارَ في هذا الرَّمادِ على مَدَى جَنَباتِهِ ؟
مَنْ أشْعَلَ الغَضَبَ الجَسُورْ
فَهَبَّ يُدَمْدِمُ في خُطى راياتِهِ .. ؟
غَيْرُ الدَّمِ المَسْفُوحِ فَوْقَ الأرْضِ نُورْ .

لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلسَّيْفِ حَدٌّ ،
قُلْتُ : هذا النَّبْضُ حَدُّ السَّيْفِ ،
والدَّم والرَّصاص هُما :
ضَجيجُ الثَّأْرِ في هذي الصُّدُورْ .

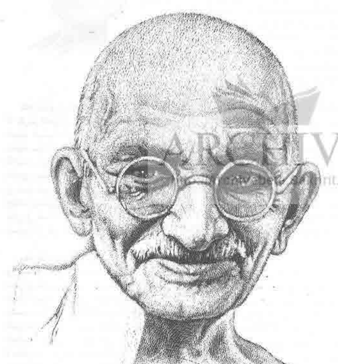
محمود حامد
الرياض

من الفكر السياسي المعاصر

غاندي

المصلح السياسي الاجتماعي

بقلم: الدكتور علي الدين هلال



- كان يؤمن بأن العالم يبدأ أولاً بالتغيير الروحي والمعنوي في داخل كل انسان

- قدرة الانسان على تحمل العذاب هي أكبر من قدرة عدوه على تعذيبه

أعاد فيلم غاندي الذي عرض قبل عامين شخصية هذا الحكيم الهندي وأفكاره إلى دائرة الاهتمام العام . وهناك قدر متزايد من التأمل والدراسة لأفكار هذا الرجل الذي وصف بأنه أعظم هندي منذ بوذا ، والذي قال عنه جواهر لال نهرو عند اغتياله إنه كان نوراً أضاء عقل الهند وقلبها لألف عام ، والذي أكد البرت إينشتاين أن الأجيال القادمة سوف تتساءل عما اذا كان شخص بهذه الصفات قد عاش فعلاً على أرضنا في القرن العشرين .

غانـدي
المصلح السياسي الاجتماعي



نشأ غاندي في عائلة دينية علمته منذ الطفولة ألا يقرب اللحوم ، وفي شبابه المبكر تأثر بالمبادئ الدينية الهندية التي تحذر من إيذاء كل أشكال الحياة سواء أخذت صورة الحيوان أو النبات أو الانسان . وكان ذلك بذرة فكرة اللاعنف عند غاندي . وعندما احتك بالفكر الأوربي بعد وصوله إلى لندن عام ١٨٨٨ ، تأثر ببعض أفكار الانجيل وكتاب تولستوي « مملكة الرب في داخلنا » . وكما يذكر في قصة حياته ، كما كتبها بنفسه ، فان راسكين أثر فيه كثيراً أيضاً .

وعاد غاندي وهو في السادسة والأربعين ليعيش في الهند بعد تنظيمه لحملة غير ناجحة للعصيان المدني في جنوب افريقيا . عاد وقد استفاد من فترة اقامته الطويلة بالخارج حيث نضجت ثقافته واتسعت مداركه . ولكن الأهم من ذلك هو أن هذه الفترة مكنته من أن يرى المجتمع الهندي من الخارج ، وأن يضع يده على جذور المشاكل لا مظاهرها الخارجية فقط ، الأمر الذي لا يتيسر عادة لمن يعيش في دوامة هذه المشاكل ، ويتحرك كرد فعل للأحداث اليومية التي تأخذه من مكان لآخر .

نقطة الانطلاق بالنسبة لغاندي ، ولكل حياته ، هي اللاعنف . فمن رؤيته الذاتية للتاريخ ، ومن خلال تجاربه الشخصية ، وفهمه للعالم والقوى التي تتصارع فيه ، وصل إلى الاعتقاد بأن طبيعة الانسان خيرة بحكم تكوينها ، وأن تغيير العالم يبدأ أولا بالتغير الروحي والمعنوي في داخل كل انسان .

ان فكرة غاندي عن اللاعنف تقوم في الأساس على اعتقاد ديني ، على الايمان بأن قدرة الانسان على تحمل العذاب هي أكبر من قدرة عدوه على تعذيبه ، وأن النتيجة العملية للعنف مزدوجة : فهي أولاً تطهر نفس الشخص الذي يتعذب ، وهي طريق الخلاص بالنسبة له ، وهي ثانياً تغير الشخص الذي يقوم بالتعذيب وتثير في ضميره ونفسه قوى الخير والرحمة الكامنة في كل انسان .

الفكرة الأساسية في اللا عنف هي تحمل الألم وقدرة الانسان على التضحية بالنفس ، وكما يكتب هو بنفسه : « التضحية هي قانون الحياة ... إنها توجد في كل مسارات الحياة ... نحن لا نستطيع أن نفعل أي شيء أو نحصل على أي شيء دون أن تدفع ثمناً له ... ان التضحية الحقيقية تكمن في استخلاص أكبر قدر من السعادة من أي فعل ، مهما كانت التضحية المتضمنة فيه ... إن عذاب الانسان هو جوهر اللا عنف » . وفي كل كتابات غاندي نجد التركيز على عنصر الطهارة وضرورة تنقية النفس من الشوائب . والسعي إلى الكمال .

إن فهم معنى اللا عنف بالنسبة لغاندي يتوقف على فهمنا لشخصية غاندي ذاتها . وللدور الذي تصدى للقيام به . فهو في الحقيقة لم يكن زعيماً سياسياً ولا مفكراً سياسياً بالمعنى المعتاد أو المألوف . ولكنه كان في المقام الأول باحثاً عن الحقيقة . وآمن بأن الحقيقة لا يمكن ادراكها إلا من خلال اللا عنف . وهكذا عقد غاندي رابطة وثيقة بين اللا عنف والحقيقة : الحقيقة هي الهدف واللا عنف هو الوسيلة ، التي نسعى بها إلى تحقيق هذا الهدف . ووصف غاندي الحقيقة واللا عنف بأنهما وجهان لعملة واحدة .

وفي هذا السياق . فان اللا عنف يحتل قوة ضخمة ، وهنا يختلف غاندي عن غيره من الداعين إلى اللا عنف والذين اعتبروه عملاً سلبياً . أما بالنسبة لغاندي فان اللا عنف هو سلاح ايجابي يطلق به قوى وطاقات هائلة ، ومخزوناً لا ينتهي من الخير والعطاء لدى ملايين البشر . فاللاعنف لايعني السلبية ، ولا يعني الاستسلام للمكاره والشرور ، ولكنه يعني مواجهتها ومحاولة منعها دون اللجوء إلى القوة . هو أسلوب للمواجهة يقوم على تعبئة الجماهير ، وعلى تحريكها وتنظيمها ، ولكن دون استخدام للعنف .

وهكذا فان غاندي لم يفرق بين الغايات والوسائل ، واعتبر أن الغايات النبيلة والعظيمة لا يبررها استخدام وسائل غير مقبولة ، وأن الوسيلة جزء لا يتجزأ من الغاية . وبالنسبة له فقد كانت الوسيلة هي البذرة ، والغاية هي الشجرة . وكتب يقول « اننا لا نحصد سوى ما نبذر » .

الاصلاح الاقتصادي والاجتماعي

لقد سعى غاندي إلى الاصلاح الاجتماعي والاقتصادي ، وجاء اهتمامه بالسياسة من هذه الزاوية ، فقد أدرك أن وجود حكومة أجنبية استعمارية في الهند يمثل عقبة ، أمام الاصلاح المنشود في البلاد . وتمثل هدف الاصلاح عنده في القضاء على الفقر وتحقيق المشاركة النشطة للافراد في عملية صنع القرار في كل ما يتصل بأمورهم الاقتصادية والسياسية والثقافية على كل المستويات . وجدير بالذكر أن هذين الهدفين : القضاء على الفقر والمشاركة الشعبية ، يبرزان اليوم ــ وبالذات منذ بداية السبعينات ــ في فكر التنمية باعتبارهما هدف العملية التنموية .

لقد كتب غاندي في عام ١٩٢٦ يقول : إن الفقر لابد أن ينتهي ، ودافع باستمرار عن أفقر الفقراء وعن القابعين في قاع المجتمع الهندي مثل طائفة المنبوذين . وفي مؤتمر المائدة المستديرة بلندن في عام ١٩٣١ أكد باعتباره ممثلاً لحزب المؤتمر أن الحركة الوطنية الهندية تتحدث باسم هؤلاء الفقراء . وفي عام ١٩٤٤ كتب يقول : « يجب أن لا تخدعنا مظاهر الثراء في مدن الهند ، فهي تقوم على مص دماء الفقراء » .

لقد سعى غاندي إلى ايجاد حل « عاجل وعملي دائم » لمشكلة الفقر . ورفض أن يكون هذا الحل هو تبرعات الأغنياء للفقراء ، ولكن في ضمان عمل منتج لكل انسان . ونبه إلى أن البطالة أو البطالة المقنعة لا تمثل ضرراً على المجتمع فقط ، بسبب فقده لقدر من قواه الانتاجية ، ولكنها أيضاً ضارة ومفسدة للانسان ، ومعطلة لنموه ، ومفقدة لشعوره بالكرامة والثقة بالنفس .. وأن ما يبدو وكأنه مساعدة من الأغنياء للفقراء يؤدي في الحقيقة إلى شيوع روح الكسل والخنوع والذلة ، وهو عمل يحط بقدر الأمة كلها .

لذلك فان الاستقلال (سوارابح) لم يكن يعني بالنسبة لغاندي الاستقلال السياسي وحسب ولكن أيضاً الاصلاح الاجتماعي ، وأكد أنه لابد من النضال من أجل الهدفين في نفس الوقت ، وأنه لا يمكن التضحية بأحدهما من أجل الآخر ، واعتقد أن الحصول على الاستقلال سوف تتبعه ثورة اقتصادية واجتماعية ، وأنه ما لم تحدث هذه الثورة فسوف تواجه الهند باضطرابات اجتماعية واسعة النطاق . وبالنسبة لغاندي ، فان المساواة الاقتصادية هي الطريق الأكيدة لتحقيق الاستقلال من خلال استراتيجية اللاعنف ، وأن المساواة

الاقتصادية تعني نهاية الصراع الطويل بين رأس المال والعمل . ولكن هذه المساواة الاقتصادية سوف تتحقق أيضا من خلال اللا عنف . وسوف يقوم الأغنياء ــ كما اعتقد غاندي ــ بالتنازل عن ممتلكاتهم للفقراء . ويستطيع الفقراء أن يساهموا في الوصول إلى هذه النتيجة . ذلك أن استمرار الأغنياء في الاستزادة من ثرواتهم لا يمكن أن يتحقق بدون تعاون الفقراء وعملهم . ولو فهم الفقراء ذلك لأصبحوا قوة لا يستهان بها . ولتعلموا كيف يمكن بواسطة أساليب اللا عنف تحرير أنفسهم من عدم المساواة الاقتصادية التي وضعتهم على شفا الجوع .

المشاركة واللامركزية

دعا غاندي إلى اللا مركزية وتوزيع السلطة الاقتصادية ، والسياسية . لقد انطلق من أن الأسرة هي الوحدة الأساسية للمجتمع ، اقتصادياً واجتماعياً ، وأن القرية (البانشايات) هي الركيزة السياسية له . وانطلاقا من ذلك فان وسائل انتاج الحاجات الأساسية ينبغي أن تكون مملوكة للعائلات أو التعاونيات العائلية ، وأن تكون الزراعة وصناعة القطن مملوكة ومدارة بواسطة الأسر دون الاحتياج إلى العمل المأجور . وهكذا فان الأسرة والقرية يصبحان من أساس المجتمع الذي يقوم على أساس اللاعنف ، والذي يرتكز على التعاون وإزالة مسببات الصراع الاجتماعي .

يقول غاندي : « إن مفهومي لاستقلال القرية هو أنها جمهورية كاملة ، مستقلة عن جيرانها بالنسبة لاحتياجاتها الاساسية ومترابطة معهم حيث يكون الترابط ضرورياً » ، ومن ثم فان الواجب الأول لكل قرية هو أن تزرع غذاءها والقطن اللازم لملابس سكانها . وأن تربي ماشيتها ، وتقيم أماكن الترفيه للصغار والكبار ، واذا تيسر مزيد من الأرض فانها تقوم بزراعة المحاصيل النقدية للبيع للآخرين . وتتم إدارة كل الأمور على أساس تعاوني ، ويتولى أمور القرية مجلس من خمسة أعضاء ، يتم انتخابهم سنويا بواسطة كل البالغين من أهل القرية من الرجال والنساء ، ووصف غاندي هذا التنظيم للقرية على أنه « ديمقراطية كاملة على أساس الحرية الفردية » . . وأن المجتمع الذي يقام على هذا الأساس لن يتسم بطابع الهرمية والتصاعدية من القاع إلى القمة ، وهي سمة المجتمعات المعاصرة ، ولكنه يتكون من وحدات متكافئة مستقلة تقوم على التكامل والاعتماد المتبادل .

وكان غاندي قادراً باستمرار على أن يرى حدود أفكاره ، وكيف يمكن أن تتحول فكرة ما إلى نقيض الهدف الذي صممت من أجله . فعلى سبيل المثال فإن مفهوم سواريش أي استخدام المصنوعات المحلية والتي تستطيع العائلات والأفراد انتاجها ، كان يعني بالنسبة له ركيزة الاكتفاء الذاتي للقرى . ولكنه أدرك حدود الفكرة ، وقال : إن ذلك لا يعني ضياع موارد البلاد في محاولة لاقامة صناعات ليست ملائمة لظروف الهند ، وإن مثل هذا العمل ليصبح تصرفاً طائشاً وغير مسئول . وهكذا بينما دعا غاندي إلى الصناعات الصغيرة المحلية باعتبارها ركيزة اصلاح الريف الهندي ، فانه أدرك في نفس الوقت ضرورة اقامة عدد من الصناعات الضخمة المرتبطة باحتياجات الزراعة وصناعة الغزل . لم يكن غاندي اذن معادياً لاقامة الصناعات الكبيرة مثل توليد الكهرباء وبناء السفن والحديد وصناعة الآلات ، ولكن أراد أن لا يكون في الاتجاه إلى هذا النوع من التصنيع دمار وتحطيم للصناعات الصغيرة في الريف ، وعبر عن رفضه للاتجاهات التي تربط التصنيع بمزيد من المركزية والتخطيط المركزي .

● غاندى يقول : فلسطين للعرب كما أن انجلترا للانجليز وفرنسا للفرنسيين

غاندي والقضية الفلسطينية

ولعله من الجدير بالذكر تناول موقف غاندي من فلسطين ، فبرغم انهماكه الدائب بالقضية الهندية فان ذلك لم يمنعه من تتبع الأحداث في فلسطين . وفي بداية عام ١٩٣٨ مثلاً كان غاندي وراء قرار اتخذه حزب المؤتمر الهندي يشجب محاولة انجلترا تقسيم فلسطين وانشاء دولة لليهود ضد رغبة العرب ، وعبر القرار عن تعاطفه الكامل مع العرب في كفاحهم من أجل الحرية والاستقلال . وفي سبتمبر من نفس العام اتخذ الحزب قرارا آخر يؤكد نفس المبادئ .

وعبر غاندي عن آرائه في مقال له عام ١٩٣٨ عندما قال « إن الصيحة إلى انشاء وطن قومي لليهود لا تجذبني كثيراً ... لماذا لا يعيش اليهود كسائر شعوب الأرض في البلاد التي ولدوا فيها ومنها يكتسبون أرزاقهم ؟ إن فلسطين للعرب بنفس المعنى الذي تعتبر فيه انجلترا للانجليز وفرنسا للفرنسيين . وإن ما يجري اليوم في فلسطين لا يمكن تبريره حسب أي قواعد أخلاقية . إن المنهج الصحيح يقتضي ضرورة الاصرار على المعاملة العادلة لليهود اينما عاشوا وتربوا . اليهود الذين ولدوا في فرنسا هم فرنسيون بنفس المنطق الذي يصبح حسبه المسيحي في فرنسا فرنسياً » .

ويحذر غاندي يهود فلسطين من خطر الصهيونية واتجاهاتها العدوانية فيقول في نفس المقال : ان اليهود الذين يريدون الاستقرار في فلسطين لأسباب دينية يمكن لهم ذلك بشرط موافقة العرب ، وعليهم أن يكسبوا قلوب العرب فالاله الذي يحكم قلوب العرب هو نفس الإله الذي يحكم قلوب اليهود ، وعبر غاندي عن آرائه مرة أخرى قبل موته بعامين في مقال له بتاريخ ١٤ يوليو ١٩٤٦ قال فيه : « في رأيي أن اليهود ارتكبوا خطأ فادحاً في محاولتهم فرض أنفسهم على فلسطين بمساعدة أمريكا وبريطانيا واللجوء إلى الارهاب السافر ... لماذا يعتمد اليهود على المال الأمريكي والسلاح البريطاني ليفرضوا أنفسهم على أرض لا ترحب بهم ... لماذا يلجأون إلى الارهاب ليحققوا بالقوة دولتهم في فلسطين ؟ »

ولعل أهم ما يلفت النظر في فكر غاندي بخصوص هذه المسألة أنه لم يخلط بين عطفه على اليهود وشجبه لكل أعمال التمييز والاضطهاد ضدهم في أوربا وبين محاولتهم إقامة اسرائيل بالعنف . فان شجبه للأمر الثاني وتعاطفه مع الفلسطينيين لم يمنعه من التعبير عن تعاطفه مع اليهود في مواجهة الحكومات التي اضطهدتهم .

ماذا يبقى منه للتاريخ ؟

لعله من سخرية التاريخ أن داعية اللا عنف انتهت حياته برصاصة متعصب ديني في الثلاثين من يناير عام ١٩٤٨ . لكن غاندي مات بعد أن رأى حلم حياته وقد تحقق : الهند مستقلة .

ومهما تضاربت الآراء والاجتهادات حول معنى فكر غاندي وما فعله للهند فان ذلك لا يقلل من عظمته ودوره . إن المهاتما ــ أي الروح العظيمة ــ وهو اللقب الذي أعطاه له طاغور شاعر الهند العظيم ، هو جزء من تاريخ الهند والعالم . فهو لم يكن مجموعة من الأفكار المجردة المحلقة في سماء المثقفين ، بل كان قطعة حية من التاريخ جسدت حياته كل الأفكار التي دعا إليها .

ورغم مضي السنين وتغير الظروف والأحداث فما زالت أفكاره موضع بحث ودراسة وتدقيق في داخل الهند وخارجها . وما زال الباحثون يجدون فيها أفكاراً لماحة وومضات من الذكاء الانساني النادر .

علي الدين هلال

بعض الزبرجد

شعر: حسن طلب

زبرجدةٌ سرُّها بائعٌ :

زبرجدةٌ للأوَّلينَ ..
الذين مَضَوْا
قبلَ أن يعلَمُوا بعضَ ما يجهلونَ
زبرجدةٌ للمساجينِ ..
إذْ هُمْ يشيخونَ خلفَ الزنازينِ
زبرجدةٌ للورَى أجمعينَ

زبرجدةٌ لونُها طالعٌ :

زبرجدةٌ للنساءِ الحواملِ ..
للأُمَّهاتِ الكَواملِ ..
للفاتناتِ اللواتي :
إذا ماتَ عَنهنَّ أزواجُهنَّ ..
لبسنَ السوادَ ..
وألقَيْنَ عنهنَّ زينتَهُنَّ ،
زبرجدةٌ مِثلُهنَّ إذا ما سفرنَ بأوجُهِهِنَّ ..
وإنْ لم يَرَعْهُنَّ عن فتنةٍ وَازِعٌ

زبرجدةٌ حسنُها طَابَعٌ :

وُلدتْ في الزمانِ البليدِ ،
وقد وقفت بالوصيد ،
عشيةَ لا منتشٍ بالقصيدِ ..
ولا سامعٌ
زبرجدةٌ باعها بائعٌ
وبعثر مسحوقَها في فضاءِ المدائنِ ..
فاستَنْشقَتْ

زبرجدةٌ حازَها الحائزونَ ..
ولو فُرِّقَتْ
لما ظلَّ في الأرضِ عُريانُ أو جائعٌ

زبرجدةٌ حظُّها ضائعٌ :

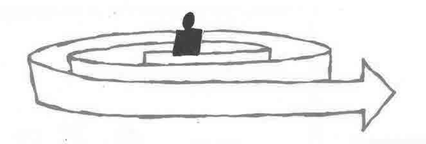
فها هي – وهي العريقةُ في الحُسْنِ –
قد حُقِّرتْ
وإلى ما تمنَّى العدوُّ لها .. صُيِّرَتْ
زبرجدةٌ كالشعوبِ مُسيَّرةٌ
وهي لو خُيِّرَتْ
لما اختارتِ القيْدَ أو أُجبِرَتْ
زبرجدةٌ قُدِّرَتْ
فجاء بمنزلةٍ قدْرُها
فكيف إذا حُرِّرتْ
وألْقَتْ تحيَّتَها للجماهيرِ ..
واخضرَّ مُصْفَرُّها ؟ !

زبرجدةٌ وجهها خاضعٌ :

فقد شُوهدت وهي تعرض للبيع أعضاءَها
على عتباتِ العدوِّ تنامُ ،
تُريق على بابِهِ ماءَها
فإن كان ماساءكم ساءَها
فَخفُّوا إلى وجهِها الآنَ ..
واستأصِلوا داءَها

زبرجدةٌ صيتُها ذائعٌ :

زبرجدةٌ أظهرتها الحروبُ ،



ولولا الحروبُ لما أُظْهِرَتْ
زبرجدةٌ للجيوشِ التي سُيِّرَتْ
وتراشقَ قادتُها بالنياشينِ..
فاستُؤْجِرَتْ
زَبَرْجَدَةٌ أُهْدِرَتْ
عليها الحَصَى والحجارةُ قَدْ قُدِّمَتْ
وهي قد أُخِّرَتْ

زبرجدة سُمُّها ناقعٌ:

زبرجدةٌ مُبْهِرٌ وَمْضُها
ولكنَّها الآنَ قد أُجْهِضَتْ
وَنُكِّلَ- بين يدينا- بها..
وهي لو حُرِّضَتْ
ونُودِيَ في ساحةٍ باسمها الأَوَّلِيِّ الحقيقيِّ..
لاستُنْهِضَتْ
وعادتْ إلى عُنْصر النورِ،
واحمرَّ مُبْيَضُّها

زبرجدةٌ حُلْمُها واقعٌ:

زبرجدةٌ هي ماهي في الحُسْنِ..
كم زُخرِفَتْ
فأصبح قد يستحيلُ على واصفٍ وصفُها
وها هي قد أُتْلِفَتْ
وأوشك يدركها حَتْفُها
رآها اللصوصُ،
وقد أخذَتْ زُخْرُفَ العصرِ..
فاستُهْدِفَتْ

زبرجدةٌ زُيِّفَتْ

زبرجدةٌ حزنُها رائعٌ:

زبرجدةٌ من دمِ الناسِ صِيغَتْ
فسبحانَ من صاغها
زبرجدةٌ من دم الناسِ قد أُفْرِغَتْ
وقدْ بَارَكَ القائمون على السوق إفراغها
وها هي في الوحلِ قدْ مُرِّغَتْ
زبرجدةٌ رُووِغَتْ

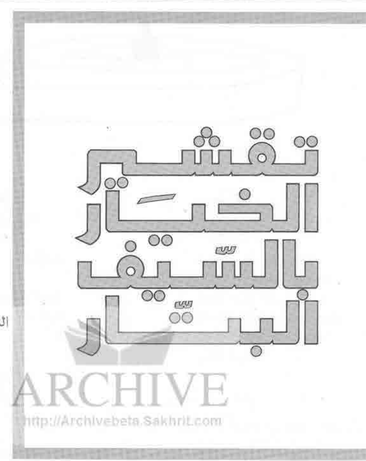
زبرجدةٌ حَدُّها قاطعٌ:

زبرجدةٌ للسيوف التي جُرِّدَتْ
وقبل انتصارِ عساكرِها أُغْمِضَتْ
زبرجدةٌ عُوِّدَتْ
أن تطأطِيء هامتها..
ثم تُغضي على الضَّيْمِ..
فاستُعْبِدَتْ

* * *

زبرجدةٌ للمدَى والأوانْ
زبرجدةٌ للجميلةِ،
وهيَ تمرُّ على جبهةِ الشمسِ بالعنفوانْ
زبرجدةٌ باتساعِ المكانْ
وبقدرِ النهاياتِ... والمدِّ.. والمنحنَى
زبرْجَدَةٌ لي أنا..

* * *





بقلم:
الدكتور عبد السلام العجيلي

لقيت منذ أيام معلمي القديم الأستاذ عمر ، فأخذ بيدي وقال :

ــ تعال سايرني قليلا . لم أرك منذ زمن طويل وإن كنت أتابع أخبارك وأقرأ لك بين الحين والحين . ماذا تكتب لنا في هذه الأيام ؟

فسرت معه في الشارع الذي كان مقفرا إلى الحديقة العامة التي أعرف أنه يقصدها كل أصيل ، وأجبته قائلا :

ــ تعلم يا أستاذ أن الكتابة ليست مهنتي .. أمارسها في أوقات فراغي . أنا الآن في سبيل كتابة رواية بعنوان « الأيقونة » .

قال : وما هو موضوعها ؟

قلت : إنها مجموعة من الذكريات والأحداث تربط بينها أيقونة . منذ عدة سنوات طلبت مني زوجة صديق عزيز علي في بيروت أن أبحث لها في حلب عن أيقونة قديمة ، أصيلة ، لتقتنيها وتتبرك بها : وقالت إنها مستعدة لأن تدفع ثمنها مهما كان مرتفعا . كنت في الواقع أنوي أن أقدم لها الأيقونة هدية عندما أجدها .

سألني الاستاذ عمر : وهل وجدتها ؟

قلت : لم أعثر على واحدة ترضيني في ذلك الحين . ولكني ، في تنقلي باحثا بين مقتني التحف القديمة وتجار الآثار والكنائس العريقة في مدينة حلب ، سمعت حكايات ، وقابلت أصنافا من الناس وعرفت أمورا تستحق أن تسجل كتاريخ وأن تروى كأدب . ومنذ ذلك الحين ظلت تراودني فكرة تأليف رواية حول ماشاهدته وعرفته في جولاتي ، بحثا عن الأيقونة . وأنا الآن ، وبعد أن انقضت سنوات على تلك الجولات ، مكب على كتابة هذه الرواية . أعتقد أنها ستكون رواية جميلة ذات موضوع مبتكر ، وأنها ستعجب القراء .

قال الأستاذ عمر بعد أن سمع مني هذا الكلام : ستكون رواية جميلة بلاشك . فما تكتبه شيق دوما ، ويستحوذ على اهتمام من يقرأ لك . ولكني أرى أنك في هذا تقشر الخيار بالسيف البتار !..

كنا قد وصلنا ، الأستاذ عمر وأنا ، في تسيارنا إلى حديقته المألوفة . فدخلتها معه وجلسنا على مقعد منزو في أحد جوانبها . بعد أن أدرت في ذهني عبارته الأخيرة مرات :

ــ لم أفهم يا أستاذ ما تقصده بتقشير الخيار بالسيف البتار .

قال : السيف البتار هو قلمك ياولدي . وما تكتبه عن الأيقونة والذكريات حولها هو تقشير الخيار . أترى السيوف الباترة صنعت ليقشر بها الخيار ويقطع بها الباذنجان ؟

ضحكت ضحكة خفيفة لهذا التشبيه الذي لم يخطر لي على بال ، وسألته بدوري :

ــ وماذا تريد مني أن أفعل بسيفي البتار ؟

قال : ليس منك وحدك . أنت واحد من كثيرين . أنتم الذين تحملون الأقلام التي هي سيوف باترة . ما علمناكم ، نحن مربيكم وأساتذتكم ، حمل هذه السيوف لتفعلوا بها ما تفعلون الآن ...

قلت : أعذرني يا أستاذ . حتى الآن لم أفهم ما الذي تأخذه علي ، أو علينا نحن تلامذتكم ، في استخدامنا أقلامنا ؟ إننا ننتج بها أعمالا تعجب الناس وتترجم إلى كل اللغات ويصفها الجميع بأنها روائع أدبية وفكرية .

فسكت معلمي الشيخ قليلا ، وهو يجيل نظره في جوانب الحديقة قبل أن يقول :

ـ ألا ترون العالم أمامكم وحولكم ؟

قال هذه الكلمات بلهجة أسى تبين لي من خلالها بعض ما تبطنه كلماته العاتبة . ومع ذلك فقد أجبته ، مكابرا :

ـ بل إننا نراه ، إنه عالم جميل ، وفي تطور مستمر .. تطور إلى الأفضل !

فتطلع إلي بنظرة ثابتة وقال : هل أنت جاد في كلامك ؟ الفساد المستشرى في العالم وبين الناس ، والكوارث التي هي ليست من صنع الطبيعة وعناصرها الجبارة بل التي يصنعها أخوك الانسان بجهله أو بظلمه أو بالشر الذي يملأ نفسه ، والحقوق المهضومة ، والحرمات المهتوكة ... هل كل هذا تطور إلى الأفضل ؟!

قلت : لنفرض جدلا بأني أوافقك على حكمك المأساوي على عالمنا .. فأي ذنب لنا ، نحن الذين نكتب ، في هذا ؟ وما الذي تطالبنا به على التحقيق ؟

قال : أطالبكم بأن تكون كتاباتكم في هذا . إنها مسؤوليتكم . مسؤولية أن تعملوا أقلامكم في الفساد الذي يسود هذه الدنيا والمصائب التي تنزل عليها متلاحقة ، وليس في تقشير الخيار ، أعني في تأليف روايات عن الأيقونات والذكريات التي تثيرها الأيقونات .

ابتسمت وأنا اتذكر بحدة كلام الأستاذ عمر لهجته القديمة في تقريع طلابه المقصرين أيام تتلمذنا عليه . وسكت قليلا قبل أن أرد عليه بقولي :

ـ الحق معك فيما تلومنا به يا أستاذ . ولكن ...

فقاطعني قائلا بنفس الحدة : ولكن ماذا ؟

قلت : أحلم ، سيدي ، علي . أنت تتحدث من موقع المتفرج ، بينما نحن نعيش واقعا نضطر فيه إلى كتابة هذا الذي نكتبه ولا يرضيك أنت .

قال : وما الذي يضطركم ؟ أهو الخوف ؟

قلت : فلنسمه الحذر . قد يكون واحدنا شجاعا لا يبالي بما يمكن أن يصيب شخصه ، إلا أنه يظل في حذر مما يمكن أن يصيب الآخرين بجريرته .

قال الأستاذ ، وقد تطامنت حدته : لم أفهم عليك يابني .

قلت : أسوق إليك مثالا شخصيا . المثال قديم ، يعود إلى أكثر من ثلاثين عاما ، فالتمثل بالجديد أمر ليس هينا . في ذلك الزمن البعيد عدت من زيارة لي في العراق الذي كان يرزح تحت أحكام عرفية قاسية فرضتها عليه حكومة نورى السعيد .

كتبت عند عودتي مقالا نشرته احدى المجلات السورية في دمشق ، عنوانه « عنتر في بغداد » ، تحدثت فيه عن مشاهداتي من حسنة وسيئة في ذلك القطر العربي . وأعجب بهذا المقال أصحابي العراقيون الذين لقيتهم في بغداد ، وكان منهم الصديق الأستاذ خالص عزمي صاحب مجلة « الأسبوع » ، فأعاد نشره هناك في أحد أعداد مجلته . إلا أن ذلك العدد صودر ، وفرضت غرامة بمبلغ من الدنانير لا أذكره الآن على الأستاذ عزمي لتجاوزه محظورات الأحكام العرفية . وحدث بعد ذلك بعام أن ألغيت تلك الاحكام العرفية ، واطمأن رجال الصحافة إلى أن من حقهم أن يتنفسوا بحرية ، فأعادت « الأسبوع » نشر ذلك المقال المحظور . فكان أن صدر أمر نورى السعيد بإلغاء امتياز المجلة من أساسه . وبهذا فقد صديقي خالص عزمي مجلته نهائيا ..

قال الاستاذ عمر متمثلا :

ومن ظن ممن يلاقي الحروب
أن لن يصاب فقد ظن عجزا

وأضاف : هذا بيت شعر قديم للخنساء ، يصدق عليكم كما يصدق على كل من يقوم بواجبه . من المنتظر أن يحدث لصديقك ما حدث له . المهم أنه قام بواجبه .

قلت : ولكنه خسر ماله وحرم من مجلته يا أستاذي : وبسببي أنا . لست مستعدا أن أجلب لأصدقائي هذا النوع من المكاسب .

قال : صاحبك أشجع منك دون شك . أنا أجزم أنه كان يتوقع ما أصابه ، ولم يتراجع مع ذلك عن نشر المقال وعن إعادة نشره . خسارة المال ليست شيئا أمام راحة الضمير .

لم أعرف كيف أقنع الأستاذ عمر بأنه يطالب الكتاب بأمر يفوق طاقتهم . وقلت :

ـ ليس المال وحده ياأستاذ . أعرف رجلا حرمت عليه بلاده ، وبلاد كثيرة غيرها ، لأنه لم يقنع بأن يقشر الخيار ، مثلي ، بسيفه . كلما زرت باريس جالسته في مقهى الكريستال بجانب قوس النصر هناك ، وسمعت من حسراته لفراقه وطنه ما يبعد عني كل رغبة في بطولة من نوع بطولاته .

سألني الأستاذ عمر : وأى بطولة قام بها هذا الرجل ؟

قلت : استخدم قلمه فيما تريده أنت ياسيدى . أول ما أصابه أنه أضطر إلى الهروب بنفسه من عاصمة بلاده إلى بيروت . لا تنس أني لا أسوق إليك الأمثلة من الحاضر بل من الماضي القريب ، في الزمن الذي كانت فيه بيروت موئل الحرية للمهددين في حريتهم ، كانت لهذا الرجل شهرة في الكتابة تفتح له أبواب الصحف أينما ذهب . كتب أول ما كتب مقالا لجريدة النهار في تلك المدينة . وحينما قرأ الأستاذ غسان تويني ، رئيس تحريرها ، مخطوط ذلك المقال رفع رأسه إلى رجلنا ذاك وقال له : سننشر لك ما كتبته ... وإنما ليكن في علمك أنك ستحكم لأجله بخمس عشرة سنة من السجن في كل بلد عربي تدخله جريدتنا ...

سألني الاستاذ : وهل نشر المقال ؟

قلت : لا ، طبعا . ومع ذلك فإن بيروت ، على سعة صدرها في تلك الأيام ، ضاقت بصاحبنا إلى أن انتهى به قلمه ولسانه إلى أن يتحرق حسرات في مقهى الكريستال بجانب قوس النصر في العاصمة الفرنسية ...

* * *

لم يبد على الأستاذ عمر أنه اقتنع بما أقوله . لقد ظل على إصراره على أن واجب الكتاب الجديرين بهذه الصفة أن يشرعوا أقلامهم ليحاربوا الاعوجاج أينما كان في هذه الدنيا وأيا كان مصدره ، قبل أن يشغلوها بالإبداع الفني . ولما كنت أعرف تعلقه بالتاريخ وبالماضي البعيد الذي طالما لقننا الدروس فيه ، فقد رأيت أن أضرب له مثالا منه ، فقلت له :

ـ كأنك تريد للأدباء في هذا الزمن مصيرا كمصير بشار بن برد ...

قال : وما دخل بشار فيما نتحدث فيه الآن ؟

قلت : أنت الذي أخبرتنا أنه فقد حياته حين نظم في فساد الحكم في أيامه بيتين كان فيهما هلاكه تحت السياط .

وهنا تلا الاستاذ بيتي بشار المشهورين :

بني أمية هبوا طال نومكم
إن الخليفة يعقوب بن داوود
ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا
خليفة الله بين الزق والعود

ثم تابع قائلا : ذاك كان شاعرا هجاء خبيث اللسان ، لم يقل ما قاله طلبا للصالح العام ، فلاقى جزاءه . أما ما أريده من الكتاب الحقيقيين فهو شيء آخر . أريدهم أن يكونوا بنائين في نقدهم ، إيجابيين فيما يوظفون أقلامهم فيه .

وكانت الشمس في هذه الأثناء قد قاربت المغيب ، فتذكرت أن علي موعدا انشغلت عنه برفقتي لمعلمي القديم وبحديثه . رحت أعتذر منه لاضطراري إلى مفارقته ، وقلت له ممازحا :

ـ سأبلغ دعوتك هذه يأستاذ إلى أدبائنا الذين اتخذوا من الكتابة مهنة لهم . أنت حريص على أن ترى هالات الشهادة حول رؤوسهم ، ولكني لا أعرف كثيرا منهم ممن يرغبون بهذه الهالات . أما أنا فلست ، على ما تعرف ، كاتبا محترفا . أعذرني إذن إذا رأيتني أتسلى بين الحين والآخر بتقشير الخيار بالسيف الذي في يدى ، وإذا عدت إلى إكمال روايتي التي بدأتها عن الأيقونة ...

قلت هذا وأسرعت في ابتعادي عن الأستاذ عمر . فلم يعد لدي مزيد من الوقت أبقى فيه معه ، ولا كانت لي رغبة في سماع مزيد من تأنيبه أو من استنكاره لما أؤلف وأكتب .

الرقة ـ سورية



من مسرحية «توب توب يا بحر»



الممثلة البحرينية «أحلام محمد»

مشهد من مسرحية (سرور) المأخوذة من التراث الشعبي البحرى

من مسرحية "القاضي بأمر الله"
إلى مسرحية "أبو نواس يرقص الدّيسكو"

في الذكرى الستين لميلاد المسرح البحريني

بقلم: أحمد محمد عطية

يوافق عام ١٩٨٥ مناسبة هامة فى تاريخ المسرح البحرينى ، هى مرور ستين عاماً على تقديم أول عمل مسرحى فى البحرين ، عندما قدمت مدرسة « الهداية الخليفية » عام ١٩٢٥ مسرحية « القاضى بأمر الله » على مسرح المدرسة ، مدشنة فى ذلك التاريخ المبكر ميلاد المسرح البحرينى .

وطوال هذه الأعوام الستين عاش المسرح البحرينى تجارب متعددة تراوحت بين المد والجزر ، من توقف المسيرة المسرحية إلى ابداع نص مسرحى يمزج بين التراث والمعاصرة ويوظف الشخصيات وحكايات التراث العربى فى إضاءة الواقع المعاصر .

فاتجه المسرح البحريني منذ البداية إلى التاريخ الاسلامى والأمجاد العربية ، وتطرق إلى المسرح الشعرى ، وتخصص فى مسرح الغوص والبحر ، وعبر عن القضايا الاجتماعية ، كما تمرس بتجارب الاعداد والاقتباس وبحرنة النصوص المسرحية العربية والعالمية .

فلقد ارتبطت نشأة المسرح البحريني بقيام التعليم النظامي ، الذى عرفته البحرين فى زمن مبكر بدءاً من عام ١٩١٩ . غير أن المصادر تجمع على ذكر مسرحية « القاضى بأمر الله » كأول عمل مسـرحي قدمته مدرسة الهداية الخليفية . من هذه المصادر : تقرير قسم المسرح والفنون بوزارة الشئون الاجتماعية بدولة البحرين بعنوان « المسرح البحرينى » . وكتابا « المسرح البحرينى ــ التجربة والأفق » للشاعر البحرينى قاسم حداد و « ظواهر التجربة المسرحية فى البحرين » للناقد البحرينى ابراهيم غلوم ، وهى من مصادرنا الأساسية فى هذه الدراسة . فى حين ذهب الناقد الكبير الدكتور على الراعى وحده ، فى كتابه « المسرح فى الوطن العربى » ، إلى أن البحرين عرفت فن المسرح حينما أنشئت فيها أول مدرسة نظامية سنة ١٩١٩ ، وأن أول مسرحية بحرينية « على الاطلاق » هى مسرحية الشاعر البحرينى الكبير ابراهيم العريض « وامعتصماه » ، التى قدمتها مدرسته سنة ١٩٣٢ . (ص ٤٢٥) .

وهى أقوال تخالفها المصادر والوثائق الرئيسية عن المسرح البحريني .

تواصلت المسرحيات البحرينية المأخوذة من التاريخ الإسلامى والتراث العربى طوال العشرينات على مسرح مدرسة الهداية الخليفية بالمحرق ، فقدمت مسرحيات : « وفود العرب على كسرى » (١٩٢٧) ، و « امرؤ القيس » ، و « أبو القاسم الطنبورى » (١٩٢٨) ، فى حين قدمت مسرحية « ثعلبة » على مسرح مدرسة الهداية الخليفية بالمنامة عام ١٩٢٨ ، كما ذكر قاسم حداد فى كتابه « المسرح البحرينى ــ التجربة والأفق » (ص ١١) . ويضيف قاسم حداد قائلا إنه بعد مسرحية « ثعلبة » (١٩٢٨) لم تعرف البحرين نشاطا مسرحياً آخر سوى فى عام ١٩٣٢ ، حين قدمت مدرسة الهداية الخليفية بالمحرق مسرحية « داحس والغبراء » ، وأن النشاط المسرحى توقف حتى عام ١٩٤٠ حين قدمت المدرسة الخليفية للبنات بالمنامة مسرحية « لقيط الصحراء » . (ص ١٢) .

وامعتصماه

أما مسرحية « وامعتصماه » فلقد كتبها وأخرجها الشاعر ابراهيم العريض على خشبة مدرسته الأهلية سنة ١٩٣٢ ، بعد أن ترسخت تجارب البداية المسرحية طوال عقد العشرينات فى قاعات المدارس النظامية . ومن هنا لا تعد مسرحية « وامعتصماه » أول مسرحية بحرينية « على الاطلاق » كما ذكر الدكتور على الراعى فى كتابه « المسرح فى الوطن العربى » .

فقد سبقتها المسرحيات السابق ذكرها إضافة إلى مسرحية عبد الرحمن المعاودة « سيف الدولة ابن حمدان » التى قدمتها مدرسته الأهلية سنة ١٩٣١ ، ثم تبعتها مسرحيتاه : « عبد الرحمن الداخل » (١٩٣٦) و « المعتصم بالله » (١٩٤٠) .

ويقول تقرير قسم المسرح والفنون البحرينى إن المسرحيات الشعرية التى كتبها كل من العريض والمعاودة كانت فى الغالب تتبع خط مسرحيات أحمد شوقى . ويؤكد الناقد ابراهيم غلوم ، فى كتابه « ظواهر التجربة المسرحية فى البحرين » ، ان مسرحية « وامعتصماه » قدمت بعد بضع سنوات من تقديم بعض الأعمال المسرحية فى مدارس الحكومة ، وهى الأعمال السابق ذكرها ، وأن هذه الأعمال هى التى لفتت انتباه العريض لتقديم مسرحيتيه « وامعتصماه » و « بين الدولتين » وشجعته لعرضها مع طلبة المدرسة الأهلية . فقد خلقت مدارس الحكومة تقليداً سنوياً ثابتاً يقضي بتقديم الأنشطة المسرحية التى تستمد موضوعاتها من روح المناهج المقررة ، ومن الأهداف التربوية المتواضعة لدى العاملين فى حقل التعليم . (ص ١٧) .

هذه كانت مرحلة البدايات المبكرة فى تاريخ المسرح البحرينى ، وقد لازمتها هنات وسذاجة وصعوبات البدايات المعتادة ، من ضعف المستوى الفنى والفكرى والوعظ والإرشاد المباشر . غير أن لهذه البدايات فضل التمسك بالأمجاد الإسلامية والانتصارات العربية وتوظيف التاريخ الاسلامى بالإيماء إلى الواقع السياسى المعاصر لتلك الحقبة التى سيطر فيها الاستعمار على الخليج ، وهذا ما حرم المسرح البحرينى من التوجهات السياسية والاجتماعية وأبعده فى تلك الحقبة عن مشكلات الواقع المعاش .

أزمة العنصر النسائى

وبالرغم من المعوقات الاجتماعية والفنية التى واجهت المسرح البحرينى فى بداياته ، فقد عمل رواده الأوائل على تجاوز تلك المعوقات الاجتماعية والفنية .

من المعوقات الاجتماعية ، غيبة العنصر النسائى من جراء سيطرة-التقاليد المحرمة لظهور المرأة على المسرح . وقد تم التغلب على هذه العقبة بأن قام الصبية والشبان الصغار بأدوار النساء ، فى مسارح الطلبة ، كما قامت الطالبات أيضاً بأدوار الرجال فى مسارحهن . ولعل من الطريف أن نذكر هنا أن من المواصفات التى كان يجب توافرها فى الشاب الذى يقدم الأدوار النسائية أن يكون جميل الطلعة ، يملك صوتاً رقيقاً ، وتكون سنه بين الثانية عشرة والثالثة عشرة .

فلقد انتظرت الفتاة البحرينية (بروين زينل ، فاطمة شويطر) ٤١ عاماً ، كما كتب قاسم حداد ، لكى تقف لأول مرة على الخشبة أمام جمهور غفير وذلك ضمن معرض البحرين التجارى والزراعى لعام ١٩٦٦ ، ومرة أخرى بخجل تصعد « نجلاء أحمد » لتقوم بدور فى مسرحية « بيت طيب السمعة » (١٩٦٩) . غير أن تواجد الفتاة البحرينية على خشبة المسرح تواصل منذ عام ١٩٦٦ وتوسع واستقر اليوم . وأشهر ممثلة بحرينية الآن هى « أحلام محمد » ، التى يشهد لها الجميع بالتقدم والتمكن فى التعبير الفنى الصادق .

أما المعوقات الفنية فلعل أشدها تأثيراً هى أماكن العرض . وقد تغلبت عليها المدارس النظامية بتقديم العروض على مسارحها ، أما المدارس الأهلية فكانت تقدم عروضها على أراض يتبرع بها الأثرياء ، فى حين يتبرع آخرون بألواح الخشب التى يصنع منها هيكل المسرح ، ويأتي الطلاب القادرون بالمقاعد والستائر ، ويذكر الناقد ابراهيم غلوم أن الشاعر ابراهيم العريض اختار فناء مدرسته للعرض ، وهو يسع لخمسمائة كرسى تقريباً ، وأنه فى البداية لم يتمكن من استخدام خشبة مسرحية ، ولكن ساعده بعد ذلك تبرع أحد الأثرياء وهو « عبد الرحمن المؤيد » بمنصة ترتفع عن الأرض ثلاثة أقدام ، وفى حجم غرفة صغيرة ، وبمدخلين أحدهما على اليمين والآخر على اليسار . كما استطاع العريض أن يحصل على ستائر تبرع بها مدير البلدية آنذاك « على حسين خلفان » . (ص ٥٤) .

يضاف إلى المعوقات الفنية المصاحبة للبدايات افتقار الرواد للوعى بفنية العمل المسرحى ، سواء فى التقنيات المسرحية كالاخراج والديكور أو فى كتابة النص المسرحى . فلم يزد دور المخرج فى تلك المسرحيات الأولى على تدريب الممثلين على النطق العربى السليم للحوار وتنفيذ النص حرفياً كما كتبه المؤلف .

أما النص المسرحى فلم يكن المؤلف يعير اهتماماً للحركة المسرحية والتجسيد بالحركة والمشاهد ، مما غلب السرد والوصف والخطابية . حتى أن العريض أطلق مصطلحاً فنياً غير صحيح للمسرحية . كما كتب ابراهيم غلوم (ص ٤٠ و٥٤) ، فأسمى مسرحيته الشعرية « وامعتصماه » رواية تمثيلية ، وأسمى مسرحيته « بين الدولتين » مسرحية شعرية ، بالرغم من الفروق المعروفة بين المسرحية والرواية .

توقف وانقطاع

تلك هى هنات ومصاعب البدايات ، غير أن أهم الصعوبات التى واجهت المسرح البحرينى ، بعد ميلاده المبكر ، هى فترات التوقف الطويلة التى دامت سنوات وقطعت المسيرة المسرحية ، أى أن حقبة الستين سنة الماضية « ليست تاريخاً متواصلا من العمل المسرحى ، بل ان سنوات طويلة كانت تفصل بين المحاولة والأخرى ، ظلت البحرين فيها بدون أى نشاط مسرحى يذكر .. الأمر الذى أدى إلى جعل كل محاولة تمثل تجربة خاصة تتميز بملامح مختلفة ، ودون أن يكون هذا التمايز استمراراً مباشراً لمحاولة سابقة ، كما كتب قاسم حداد ، إذ أن كل مرحلة تشكل ظاهرة منفصلة عن الأخرى ولا تمارس أى تأثير على المرحلة التى تليها ، بدليل انه حتى عام ١٩٦٦ لم يكن هناك عمل مسرحى ، له مقومات هذا الفن وأصوله ،

حتى التقليدية منها » . (ص ٧) ويذكر قاسم حداد أن التجربة المسرحية المتكاملة في البحرين تبدأ من مشارف السبعينات لكون هذه المرحلة أكثر المراحل خصوبة وفعالية . ويقسم قاسم حداد المراحل التى مرت بها التجربة المسرحية البحرينية على النحو التالى :

البداية الأولى : المسرح المدرسى الحكومى والأهلى (١٩٢٥) .

البداية الثانية : المسرح ونشاطات الأندية الأهلية (١٩٤٠) .

البداية الثالثة : الفرق التمثيلية (١٩٥٥) .

بداية السبعينات : الفرق المسرحية (١٩٧١) .

مسرح السبعينات

ويتفق الناقد ابراهيم غلوم مع الشاعر قاسم حداد فى اعتبار فترة أواخر الستينات وأوائل السبعينات فترة ازدهار المسرح البحرينى اذ شهدت هذه الفترة ميلاد الفرق المسرحية الثلاث : « أسرة فنانى البحرين » ، « مسرح الاتحاد الشعبى » ، « مسرح أوال » .. كما رافق قيام المؤسسات المسرحية ظهور تجارب مختلفة فى كتابة النص المسرحي ، (ص ٦٨) اذ أخذ كتاب المسرح يولون اهتمامهم لمشاكل المواطن البحرينى الفردية والعائلية والاجتماعية .

وكان ذلك نتيجة للتطور الطبيعى فى التجربة المسرحية البحرينية ، التى بدأت بمسرحيات تستقى موضوعاتها من التاريخ الاسلامى فى المسرح المدرسى دون اهتمام بفنية العمل المسرحى ، ثم تقدمت هذه الفنية مع مسارح الأندية وتجارب المسرح المرتجل ، الذى قام على تقديم الاسكتشات والمونولوجات الفكاهية ، ومزجت التمثيل بالغناء والموسيقى .

ومن تجربة الأندية المسرحية تقدمت الفرق التمثيلية بالمسرح واقتربت من سكان القرى .

وقد تحدث تقرير قسم المسرح والفنون البحرينى عن أول فرقة تمثيلية ضمت مجموعة من الشباب هى « الفرقة التمثيلية المتنقلة » واتخذت « المكتبة الشعبية » ، وهى تخص أحد الأعضاء ، مقراً لها . وقدمت هذه الفرقة عروضها فى القرى وعلى مسرح نادى العروبة أيضاً خلال عام ١٩٥٥ ، وتضمنت العروض ثلاث مسرحيات قصيرة : « الانسانية المشردة » من تأليف وإخراج محمد صالح ، « الضمير » من تأليف واخراج صلاح مدنى ، و « صرخة لاجيء » ..

وشهدت بداية السبعينات تكوين أهم فرقتين مسرحيتين فى المسرح البحرينى اليوم ، هما فرقة « مسرح أوال » ، وفرقة « مسرح الجزيرة » ، وقدمت الفرقتان ، أوال والجزيرة ، عدداً كبيراً من المسرحيات المحلية . فطرح محمد عواد محاولته الأولى فى التأليف المسرحى « كرسي عتيق » والتى أخرجها بنفسه عام ١٩٧١ .

وفى يوليو ١٩٧١ قدم مسرح « أوال » عمله الثاني « سبع ليالى » تأليف راشد المعاودة وإخراج عبد الرحمن بركات واشترك بها فى مهرجان دمشق المسرحى الخامس عام ١٩٧٣ . كما عرض فى مهرجان دمشق المسرحى السادس عام ١٩٧٥ مسرحية ابراهيم بوهندى « سرور » . أما مسرح الجزيرة فقد قدم عام ١٩٧٤ مسرحية « زمان البطيخ » تأليف عبد الرحمن رفيع واخراج سعد الجزاف ، وفى عام ١٩٧٥ مسرحية « توب توب يا بحر » تأليف راشد المعاودة واخراج سعد الجزاف .

هذه المسرحيات وغيرها شهدت تقدماً على صعيد النص المسرحي والتقنية المسرحية . فمن جهة ، تقدم النص المسرحى من كتابة الاسكتشات الفكاهية إلى النص المسرحى المتكامل ، كما أولى كتاب المسرح فى البحرين عنايتهم للمشاكل الاجتماعية ، واهتموا بتوظيف الحكاية الشعبية كما فى مسرحية « سرور » الموسمة على حكاية شعبية معروفة فى التراث البحرى البحرينى بنفس الاسم ، مع استلهام تجارب الصراع الاجتماعى فى مجتمع الغوص والبحر السابق على مجتمع النفط كواقع تاريخى غنى وكرمز للصراع الاجتماعى فى المجتمع البحرينى الحديث . وهو ما قدمته مسرحيات « سبع ليالى » و « توب توب يا بحر » لراشد المعاودة ، و « اذا ما طاعك الزمان » و « سرور » لابراهيم بوهندى .. وغيرها .

فقد وجدت هذه المسرحيات فى تراث البحرين والخليج البحرى مصادر ابداع والهام وتميز ، وفى الصراع بين رجال البحر وتجار البحر مادة دراميه ثرية تصلح لفن المسرح .

كما قدم المسرح البحرينى عدداً من المسرحيات العالمية والعربية ، مثل « انتيجونا » لسوفوكليس ، و « البورجوازى النبيل » لموليير التى تم اعدادها وبحرنتها بعنوان « ثور نانا فى خطر » ؛ و « انظر وراءك فى غضب » لأوزبورن ، و « المفتش العام » لجوجول .. وذلك بالإضافة إلى المسرحيات العربية مثل « الرجل الطيب » لمحمود دياب ، و « المنجم » لمعين بسيسو ، و « الزلزال » لمصطفى محمود .. مع تجارب الاعداد والاقتباس والبحرنة .

لقد تقدم المسرح البحرينى ، بالرغم من مراحل الانقطاع ، وقلة أماكن العرض ، ودخول مفاهيم الربح والتجارة إلى العروض المسرحية مما دفع إلى العمل المسرحى بعض مسرحيات الأطفال الساذجة .

ومن جهة أخرى حقق المسرح البحرينى نوعاً من التوازن مع هذه المنطلقات التجارية والمعوقات الفنية التى تتمثل فى اقتصار قاعات العرض المسرحى على قاعة واحدة هى قاعة مسرح الجفير البعيدة عن جمهور المسرح والمحدودة الامكانيات .

أما التوازن الذى حققته التجربة المسرحية ، فيتمثل فى التعاون بين الحركة الأدبية والفنية المتقدمة فى البحرين وبين فنانى المسرح ، وفى عودة المثقفين من بعثاتهم الدراسية فى معاهد الفنون المسرحية والتشكيلية إلى البحرين ليمدوا المسرح البحرينى برؤى جديدة وثقافة جديدة وفن مسرحى متجدد .

غير أن التقدم فى المسرح البحرينى لم يزل يتمثل فى النصوص المسرحية المكتوبة ، بالنظر للصعوبات المتعددة التى تحول بينها وبين العروض المسرحية الجماهيرية .

أبو نواس يرقص الديسكو

وتمثل مسرحية « أبو نواس يرقص الديسكو » أحدث وجوه التقدم فى المسرح البحرينى ، ففى هذه المسرحية الحديثة (١٩٨٢) للكاتب البحرينى أحمد جمعة ، يتقدم النص المسرحى البحرينى نحو المزج بين التراث والمعاصرة ، ويتم توظيف التراث العربى على عدة مستويات : ببعث شخصية هامة من التراث ، هى شخصية الشاعر أبي نواس ، وتوظيفها فى حكاية من حكايات « ألف ليلة وليلة » ، مع مزجها بالمناخ والبيئة المعاصرين .. فى حين يجرى على المستوى الآخر الاعداد لمؤامرة يشترك فيها قائد الجيش والوزير الأول .

أما الحكاية الشعبية ففكرتها مأخوذة من « ألف ليلة وليلة » حول جماعة من الدراويش تحلم بتولى السلطة وتحقيق العدالة وتوزيع الأدوار على أفرادها ، وقد استخدم الكاتب المسرحى السورى « سعد الله ونوس » ذات الحكاية فى مسرحيته « الملك هو الملك » .

أما المشاهد ، وعددها تسعة ، فتجرى فى أماكن عصرية ، حانة حديثة حيث يتواجد أبو نواس ويفد إليه الدراويش ، وساحة عامة تعلق فيها اعلانات المرور الدولية مع صور لمارلين مونرو ولأم فلسطينية أمام الخيام ، جون ترافولتا ، سيارات أمريكية .. الخ .

وتصف المسرحية الحكاية بأنها « حكاية من الحكايات القديمة ، تجمع بين الحقيقة والخيال ، تتحدث عن مآثر العرب فى سالف العصر ، يختلط فيها الحب والغرام بالفروسية والانتقام ، حكايتنا يا سادة يا كرام .. » (ص٨) .

وتتخلل هذه الكلمات مناظر الارهاب مع كل جملة وعبارة . ويبدأ أحد الدراويش أحداث المسرحية بقوله : « لقد جئنا الى حانة النجمة لنبدأ لعبتنا ، ما رأيكم يا سادة ؟ هذا المكان الوحيد الذى يصلح لسهرة ديمقراطية ، لعبة مشوقة ، أن ندبر انقلاباً ونوزع الأدوار ، وبالمناسبة بما ان شاعرنا العظيم أبا نواس هنا ، يسرنا أن ندعوه ليشاركنا هذه السهرة » . (ص١٩) .

ومن ثم يتم مزج الماضى بالحاضر فى هذه الحكاية الفانتازية التى تجمع بين القديم والجديد .

فأحد الدراويش يقرأ عن غراميات بعض الأثرياء فى إحدى الصحف ، بينما هم يخططون ويرتبون انقلابهم .

ومن ثم يدعون أبا نواس للمشاركة فى اللعبة ، فيقترح أحد الدراويش أن تشكل لجنة يرأسها أبو نواس ويطلق عليها لجنة الخلاص الوطنى ، ولكن أبا نواس يرفض . غير أن المرأة رفيقة أبى نواس تطلب منه البقاء والاشتراك فى اللعبة قائلة : « انهم ظرفاء ، وهناك احتمال يا صديقى أن يكون أصدقاؤنا فى القريب من الوزراء والقادة » (ص٢١) .

ويدور حوار بين أبى نواس والدراويش يؤكدون له خلاله أنها مجرد لعبة ، فينضم إليهم أبو نواس قائلا : « أنا معكم إلى المجد .. » ويصف أبو نواس الليلة بأنها « ليلة ديمقراطية لن تتكرر » . ويدعوه الجميع لإلقاء كلمته ، فيقول أبو نواس مفصحاً عن مغزى المسرحية ومحتواها الاجتماعى والسياسي :

محتوى اجتماعي وسياسي

« انقلاب الدراويش .. لماذا ؟ غداً يسجل التاريخ ان الدراويش قاموا بانقلابهم لأنهم وجدوا كل شيء مقلوباً ، الكرامة أصبحت عاراً يلبسها المرء ، الاباحية وساماً يزين الصدور ، ممنوع الحديث فى الحب ، ممنوع أن تحب المرأة رجلاً ، والشرطة فى خدمة الشعب ، لأول مرة أعلن عصيانى ، نريد تغيير صورة العالم ، المجد للشعر ، المجد للدراويش ، المجد للانسان فى الأرض .. » (ص ٢٥ و ٢٦) .

ويوجه أبو نواس نقده للعصر وسيطرة تجار الأسهم وأصحاب العقارات قائلا : « بصوت هادىء وكئيب » آه ، لماذا يبدو العالم حزيناً ، ما عاد المجد للشعراء كما كان ، صار المجد لتجار الأسهم وأصحاب العقارات .. (ص ٢٦) .

على مستوى آخر ، فى الساحة العامة ، يجرى الحوار بين قائد الجيش والوزير الأول وأحد الدراويش (رقم ٣) .

ويقترح قائد الجيش مزج اللعبتين معاً ، لعبة القادة ولعبة الدراويش فى تدبير الانقلاب .

وتتصاعد المواقف ، فيرتب قائد الجيش اللعبة بجدية لتحويلها إلى انقلاب حقيقى يعقبه القضاء على الدراويش ، وتتجمع خيوط اللعبة وتتطور الأحداث .

غير أن المسرحية تحشى ببعض المناظر التى تصيبها بالترهل وتوقف نمو أحداثها وتطورها ، مثل المنظر الخامس الذى يدور بين ثريا وصديقها والشرطى ، ينتهى بمقتل رجل وسجن ثريا وصديقها وهو مشهد يمكن الاستغناء عنه دون أن يتأثر بناء المسرحية بذلك .

أبو نواس واللعبة

فى حين تمضى أحداث اللعبة الانقلابية مع المنظر السادس حيث يتحاور أبو نواس مع الدرويش رقم ٣ حول دوره فى اللعبة .

ويعترض أبو نواس ضاحكاً : « ألعب ؟ نعم دائماً كنت ألعب ... ولكن ليس فى أمور السلطة » (ص ٤٨) ويشرك الدرويش ٣ جريتا جاربو فى اللعبة . فتحث أبا نواس على مواصلتها ، فيقول لها أبو نواس : « يا امرأة .. أعرف جيداً أنه يحب كل شيء إلا لعبة الانقلابات » . (ص ٤٨) .

وعندما يطل الفجر ويقترب الصباح يظل أبو نواس متردداً : عدت مرة أخرى تقولين مقلباً ..؟ من يجرؤ ان يدبر مقالب لهم ؟ (ص ٥٤) ولكنه يرضخ أخيراً عندما يجد الشرطى يقتنع هو أيضاً بالمشاركة فى اللعبة . وتأخذ المرأة فى رقص الديسكو بينما يدور حوار حول « الحرية أكذوبة القرن العشرين » وحول أحلام الدراويش بالحرية والمساواة . وتدعو المرأة أبا نواس لمشاركتها فى رقص الديسكو فيستجيب لها ويشاركها الرقص .

المحاكمـــة

ويصور المنظر الثامن تطور الأحداث وتصاعدها واحتدام الصراع فى قاعة محكمة عسكرية وفى وجود قادة السلطة القدامى الذين يتحدثون عن نجاح الدراويش فى انقلابهم ، وفى تمسكهم بالسلطة والحكم ، وبالقبض عليهم جميعاً وعلى أبى نواس . ويخشى قائد الجيش من ان تتيح المحكمة للدراويش فرصة الكلام وكشف حقيقة اللعبة ، فيقترح الوزير الأول اعدامهم « بدون محكمة » ويجيبه قائد الجيش قائلا : « لم الخوف ؟ سننفذ الأمر .. سترى ماذا يفعل قائدك .. الأمر كله بيدى لاتخف » . (ص ٧٦) وتجرى المحاكمة على اتهامهم بانقلاب حقيقى وليس لعبة ، واتهام أبي نواس بقيادة الانقلاب فى حين يظل أبو نواس مقتنعاً بأنها لعبة وان المحاكمة جزء من اللعبة . ويصر قائد الجيش على انها جريمة ومؤامرة حقيقية على الدولة ، ويدس على المتهمين أسلحة حقيقية يدور حولها الحوار التالى الحافل بالإسقاط السياسى :

درويش ١ : لكن من أين جاءت تلك الأسلحة التى وجدوها معنا ؟

الشرطى : ثروة هذا الوطن هى الأسلحة . أكثر ما نملك هو الأسلحة .

أبو نواس : ومع ذلك الهزائم ما شاء الله . (ص ٨٠) .

ويرفض القائد والوزير الأول قبول الأمر كلعبة ومزاح فى حين يطلب أبو نواس من القائد إنهاء اللعبة والمزاح الثقيل الذى تحول إلى جد قاس قائلا : « والآن كفى أيها القائد ودعنا نذهب .. مضى علينا يومان ونحن بالزنزانات .. هذه ليست مزحة .. لقد تمزق جلدى من النوم على الأرض .. هذه أول مرة يقسو فى مزاحه » (ص ٨٢) فيجيبه قائد الجيش : « لقد كنت دائماً تكشف أوراق الآخرين .. وهاأنت الآن لا تعرف شيئاً عن ورقك » .

وتكتشف المرأة حقيقة لعبة القادة بعد تزويدهم بأسلحة حقيقية لاتهامهم بالقيام بانقلاب حقيقى . وحين يسأل أبو نواس قائد الجيش : « لم كل هذا الحقد على ؟ » يعترف القائد قائلا : نعم ان مـــا أغضبنى ان ســـاوى بينى وبينـــك .. بل والأدهى من ذلك ان كلمتك عنده أحياناً كانت فوق كلمتى .. ولكن أشد ما يفرحنى الآن أنك ستموت بأمر منه وبيدى . (ص ٩١) ومع ذلك يظل أبو نواس رابط الجأش مؤكداً لرفيقته « ان هذه التمثيلية سوف تنهار بعد لحظات » . ويثبت قائد الجيش دموية اللعبة منهياً هذا الخلط بين الواقع والحقيقة عندما يأمر بالإطاحة برأس أحد الدراويش فيقطعها السياف . ويسيطر الرعب والصمت على الجميع .

هكذا يتم توظيف التراث وشحنه بمفاهيم عصرية وهموم اجتماعية وسياسية فى المسرحية البحرينية الحديثة « أبو نواس يرقص الديسكو » لأحمد جمعة ، مسرحية تبحث عن الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية وتمزج بين الماضى والحاضر وتمد بينهما الجسور الموصلة والمثرية للمسرح العربى فى البحرين .

أحمد محمد عطية

حقوق الإنسان حبر على ورق

الحالة النفسية للمجتمع الأمريكي



بقلم: عبد الرزاق البصير

في تصور معظم الناس أن شعوب أمريكا وأوروبا يعيشون حياة تشيع في نفوسهم الرضا والاطمئنان لما وصلوا إليه من تقدم علمي مذهل يسر لهم حياتهم كل التيسير. فقد استطاعوا أن يصنعوا من الآلات والأدوات مالم يكن يخطر على بال أوسع الناس خيالاً. ولا حاجة بنا إلى أن نسمي تلك الآلات أو نصف ماتقوم به من أعمال لأنها أصبحت ممزوجة بحياة الشعوب المتحضرة. بالاضافة إلى أن تلك الشعوب تتمتع بحرية يتمنى الكثيرون لو أننا ظفرنا بقسط منها. غير أن الواقع يقول للذين قدر لهم أن يطلعوا على آثار كتاب أمريكا وأوروبا بأن تلك الشعوب ساخطة على حياتها أشد السخط.

ولعل الأستاذ الدكتور محمود السمرة من أعظم الذين اطلعوا على آثار كتاب الغرب إطلاعاً واسعاً عميقاً وقد رأى أن يطلع أبناء قومه على خلاصة آثار أولئك الكتاب ليتعرفوا على الحالة النفسية لتلك الشعوب التي نظن بأنها تعيش في نعيم مقيم، وبهذا يكون أستاذنا الدكتور السمرة قد قدم خدمة جليلة لأبناء أمته لأن تفهم آثار أولئك الكتاب يوسع آفاق الفكر. فأصل الحضارة الإنسانية ما هو إلا تفاعل مع ثقافة الشعوب المتقدمة، وهذه مهمة ثقيلة لا يستطيع القيام بها إلا الموهوبون من الكتاب الباحثين، لأن تفهم الآثار الأجنبية بصورة دقيقة ونقلها إلى اللغة العربية ليس بالأمر السهل. فالكاتب صورة لمجتمعه وبيئته. ومن المحقق أن البيئات الغربية ومجتمعاتها تغاير بيئاتنا ومجتمعنا كل المغايرة، ولكن أستاذنا ممن منحه الله قدرة تمكنه من القيام بهذه المهمة، فقد أصدر عدة كتب قيمة تتحدث عن آثار أكبر كتاب الغرب الذين لهم أعظم الأثر في نفوس شعوبهم أمثال (صموئيل بكيت) و (جون أوزبورن) و (جنتر جراس) و (جان جنييه) و (البرتو مورافيا) وغيرهم كثيرون. ولكي تكون الفائدة عامة فإن الدكتور السمرة لم يقصر دراساته على قطر من أقطار أوروبا وانما شملت دراساته معظم أقطار أوروبا وأمريكا.

فلنأخذ دراسته عن (جنتر جراس) وهو كاتب ألماني ظفر بمكانة مرموقة في نفوس معظم الشعوب الغربية، قال عنه الدكتور السمرة في كتابه «متمردون»: إن (جنتر جراس) هو أشهر كاتب في ألمانيا اليوم، وهو رأس الشباب الغاضب من كتابها، فهو في ألمانيا نظير (جون أوزبورن) الكاتب المعروف في بريطانيا. وقد كان الأدب الألماني منذ سنة ١٩٤٥ إلى سنة ١٩٥٩ ليس سوى تقليد لأعمال كبار الكتاب من أمثال (جيمس جويس) و (همنغواي) و (برخت) وجاءت سنة ١٩٥٩ فكانت نقطة تحول، انتقل فيها هذا الأدب من التقليد إلى الأصالة.

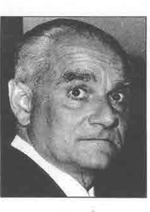
ومضى المؤلف في رسم صورة لحياة هذا الكاتب الألماني، كما لخص معظم آثاره القصصية. ولم يكتف المؤلف بذلك وانما أوضح أغراض تلك القصص، وما ترنو إليه من مقاصد بأسلوب سهل يجعل القارئ العربي وكأنه يقرأ آثاراً عربية، علماً بأن آثار (جنتر جراس) صعبة الفهم والتذوق، لما يحيط بها من رموز كما سترى بعد قليل، بالاضافة إلى أن آثار هذا الأديب تبلغ آلاف الصفحات وهذا يقتضي ممن يريد قراءتها بعناية وتلخيصها أن ينفق كثيراً من الوقت وهو أمر غير ميسور لأن الدكتور السمرة يشغل مهمة إدارة الجامعة الأردنية، وهي مهمة تأخذ منه كل



جونتر جراس




جان جينيه



ألبرتو مورافيا

جهده ووقته .

يبقى أن نتساءل من الذي يفهم قصة « الطبلة الصفيح » ، تلك القصة التي يدور محورها حول شخصية شاذة من الناحية المادية والمعنوية . وتبدأ القصة ببطولة (أوسكار) في مصح للأمراض العقلية وعمره ثلاثون سنة ، وقد اعترف بجريمة قتل لم يقترفها . وهنا يأخذ أوسكار في تذكر حياته السابقة منذ الطفولة الباكرة فهو لم يحب والده الألماني البقال أبداً ويؤثر عليه عشيق أمه وقريبها البولوني الذي يصر على أنه هو والده الحقيقي .

ويحدث أن يعلم بطل القصة (اوسكار) أن والديه يخططان لمستقبل حياته ، ويصمم البطل على إحباط ذلك التخطيط ليؤذي والديه فيلقي بنفسه في جملة أعمال منحطة سخيفة ، عندها يقف نمو جسده حتى يكون طوله ثلاثة أقدام .

وتعطيه أمه طبلة من الصفيح ليتسلى بها ، فتبرز موهبته بحيث يكون قادراً على أن يفعل المعجب والمذهل والخارق للعادة في ضربه طبلته .

وتسير القصة لتصور انتقال بطلها (أوسكار) من مغامرة إلى أخرى . وعندما هاجم النازيون بولونيا وقع والداه قتيلين . وعلى ضريح والديه ألقى بطبلته فإذا به يأخذ حالاً في النمو من جديد . وبعد أن يكمل الدكتور السمره تلخيص هذه القصة يوضح رمزها بقوله : « وفي القصة مواقف مثيرة للاشمئزاز تصدم ذوي الأحاسيس المرهفة . من ذلك وصفه لثعابين البحر وهي تجوس خلال رأس حصان قد غرق ، ومنظر طير النورس على الشاطئ وهو يأكل قيء امرأة ، وظهر إصبع مقطوعة ، ومثل هذه المناظر الباعثة على الغثيان كثير . ولعل (جنتر جراس) يريد بتصويره هذه المناظر أن يفتح عيوننا على حقيقة الحياة ومافيها من مناظر مؤذية للأحاسيس ، صادمة للذوق » .

وأعتقد أن من حق القارئ العربي أن يتساءل بالحاح عن أسباب هذا الغضب القوي لدى شعوب متقدمة بكل شيء ، ويأتي الجواب من المؤلف . إن ذلك يعود إلى ضياع شديد ملأ نفوس تلك الشعوب بسبب فقدها لتلك الأيام الزاهرة ، حيث الطمأنينة وراحة النفس ، والايمان العميق بقيم ثابتة لم يكن يخطر ببال أنها ستكون في يوم من الأيام موضوعاً للشك والتساؤل .

وقد دفعت هذه الحالة علماء الاجتماع لدراسة هذه الظاهرة . وانتهى العالم الاجتماعي (ملز) في كتابه « الصفوة الحاكمة » سنة ١٩٥٦ إلى أن السبب في هذا كله يعود إلى أن أمريكا خرجت من الحرب العالمية الثانية منتصرة ، لتقع في قبضة حفنة من رجال المال ، وكبار العسكريين . وقد تحالفت هاتان الفئتان من أجل تكريس المجتمع الأمريكي لخدمة مصالحها . وماهذه الحروب التي تشنها الولايات المتحدة سوى نتيجة لهذا التحالف . وليس لهذا السلوك معنى إلا أن كل ما شرع من قوانين تشيد بحقوق الانسان ليست إلا حبراً على ورق مما يجعل الفرد لايؤمن بشيء ، وبهذا يصبح لقمة سائغة للذين يريدون أن يشكلوا تفكيره حسب أهوائهم ، كما يصبح في كثير من الأحيان وليس له من أرب في هذه الحياة إلا طلب اللذة بأي وسيلة كانت والإيمان بالقوة . وهذا يوضح مانشاهده من قلق يساور نفوس الكثيرين .

والحق أني لا أرى مخطئاً ذلك الذي يتصور أن وطننا العربي تسير معظم أقطاره في هذا الطريق المخيف . ذلك أن ماتذيعه وسائل الأعلام عندنا من أن كل شيء على ما يرام يناقض كل المناقضة ما نشاهده في واقع الحال ، وعلى كل حال فإن مصطلح الضياع يعني الثورة للجيل الحاضر على كل ما في مجتمعه ، وهو جيل برز بعد الحرب العالمية الثانية وهو يحس بالهزيمة في أعماقه والمرارة في نفسه ، إنه جيل يحس بالضياع وانعدام القيم والكفر بكل شئ وباشتداد أزمة أفراده النفسية أخذوا يبحثون عن قيم جديدة يؤمنون بها .

ولقد فصل المؤلف هذا التوجه عندما تحدث عن الكاتب الأمريكي « كرواك » وعرضه لقصة « على الطريق » تلك القصة التي استقبلها الناس في أمريكا بتلهف شديد بعد أن لم يلتفت إليها أحد في أول ظهورها وقد عقب المؤلف على تلهف الناس لآثار الجيل الثائر بقوله : وهكذا برز أدباء الجيل الضائع فجأة بروزاً مدوياً وكأنهم البركان في ثورانه ، وأخذت حركتهم منذ هذا التاريخ تقوى وتتسع ، ويشمل نشاطها البيئات الجامعية والشوارع المكتظة بالناس ، وشاشات التلفاز والسينما وصفحات المجلات المعروفة . وتسابقت دور النشر لإصدار مختارات من كتاباتهم ، وهرع علماء الاجتماع لكتابة الدراسات عنهم ، حتى أن حركة الجيل الضائع الثائر على القيم كادت أن تصبح هي المعبرة عن الطابع العام للمجتمع الامريكي .

وهكذا يجري أسلوب المؤلف على هذا النسق ، في جميع دراساته لأدباء الغرب . على أن هذه الدراسات ينتظمها خط عام واحد يقصده المؤلف قصداً وهو أن يصور الحالة النفسية التي تعيشها تلك الشعوب . ولابد لي هنا من أن أبين أني قد أوجزت تلخيصات المؤلف إيجازاً شديداً لأشوق القارئ إلى قراءة تلك المؤلفات التي أعتقد أن في الوقوف عليها فوائد كثيرة وإني آمل أن أكون قد وفقت إلى ما قصدت إليه .

تلعب الوراثة دوراً هاماً في الاستعداد للقلق .. فالدراسات تشير إلى أن الجهاز العصبي اللاإرادي في التوائم على قدر كبير من التشابه كما أن استجابته للمؤثرات الخارجية والداخلية تكاد تكون متطابقة . كذلك أوضحت الدراسات أن اخوة وآباء مرضى القلق يعانون من نفس المرض . والنساء أكثر عرضة للقلق من الرجال . ويعتبر القلق من أكثر الأمراض شيوعاً في العالم . ويقال إن ربع سكان الولايات المتحدة الأمريكية يعانون من القلق وهم في حاجة لعلاجه .

ولكن هل للقلق دور في اعتلال صحتنا ؟

وهل هناك علاقة أكيدة بين رصيدنا في بنك القلق وسهولة إصابتنا بالمرض ؟

ماذا تقول الدراسات والأبحاث ؟



بقلم : الدكتور سامي عزيز

تعتبر الدراسة التي قام بها « توماس هلمس » و « ريتشارد راه » من جامعة واشنطن بالولايات المتحدة من أدق هذه الدراسات ، الفكرة كلها تعتمد على المواقف والتغيرات التي تحدث في حياتنا والتي يصاحبها أكبر قدر ممكن من القلق .. والعجيب أنهم لاحظوا وجود علاقة قوية بين الأحداث والتغيرات الهامة في الحياة وحدوث المرض .. واستطاعوا بعد محاولات متعددة أن يجمعوا هذه التغيرات ، ورتبوها ترتيباً تنازلياً بحسب شدة القلق الناجم عنها ..

ومن الثابت أن كل حدث أو تغير في حياتنا يحتاج إلى قدر من التكيف أو التوافق حتى تسير بنا الحياة ولا تتوقف .. وكلما زادت الحاجة إلى التكيف أو التوافق ، أو بمعنى آخر كلما تعرضنا إلى تغيرات كبيرة في حياتنا وزادت شدة القلق عندنا ، كلما كنا أكثر عرضة للمرض . والجدول الآتي يلخص دراسة « هلمس وراه » .. وتستطيع أنت أن تستخدمه وتحسب لنفسك كم من الأحداث والتغيرات تعرضت لها خلال الشهور الاثنى عشر الماضية : (جدول رقم ١) .

وتنص القاعدة التي توصل إليها « هلمس وراه » على أن الفرد الذي يصل رصيده إلى ١٥٠ خلال عام ، فإن احتمال اصابته بمرض أو توعك بالصحة يصل إلى ٥٠ بالمائة ، أما الفرد الذي يتعدى رصيده ٣٠٠ فان احتمال إصابته بالمرض يصل إلى ٩٠ بالمائة . وفي دراسة أجراها « هلمس وراه » على أربعة وثمانين متطوعا تبين أن أعلى نسبة للاصابة بالمرض كانت في المجموعة التي وصل نصيبها إلى ٣٠٠ (بلغت نسبة من مرض منهم ٦٠بالمائة) ، والذين حصلوا على ٢٠٠ ــ ٢٥٠ مرض منهم ٢٥ بالمائة ، أما الذين حصلوا على ١٠٠ فما دون فلم يمرض منهم إلا ٩ بالمائة فقط .

ضغوط الحياة البسيطة

ضغوط الحياة اليومية ... هل لها أثر على صحتنا ؟

هناك دراسة موسعة أجراها مؤخراً البروفيسور « ريتشارد لازرز » من جامعة متشجن بالولايات

المتحدة .. وهي تدور حول موضوع واحد وبغرض الاجابة عن سؤال محدد ... هل المشاحنات والمشاكل البسيطة التي نواجهها كل صباح .. تؤثر على صفاء حياتنا ؟ وهل لها دور حيوي في زيادة رصيدنا في بنك القلق ؟

السفر يومياً مثلاً في قطار مزدحم .. العمل مع رئيس غضوب لا تعرف أوامره نهاية .. الحياة مع زوج مدقق يهتم أكثر مما ينبغي بالتفاصيل الصغيرة .. الزوجة المسيطرة التي لا ترحم زوجها من كثرة مطالبها وأوامرها .. لاشك أن هذه المنغصات البسيطة لا تحدث تغيرات مفاجئة في حياتنا مثلما يحدث مثلاً عند موت الزوج أو الزوجة أو الحكم بالسجن مثلاً لعدة سنوات .. إلا أن « ريتشارد لازنر » يؤكد بأن هذه المنغصات رغم بساطتها يبقى أثرها في نفوسنا أكثر بكثير من الصدمات التي اهتم بها « توماس هلمس » « وريتشارد راه » ، والتي تم ذكرها في الجدول السابق .

والدراسة التي قام بها « لازنر » على أكثر من ١٠٠٠ مواطن أمريكي (ما بين سن ٤٥ ــ ٦٠ سنة) تؤكد أن التعرض المستمر لضغوط الحياة اليومية ومنغصاتها التي قد لا نهتم بها ... تجعلنا أكثر عرضة للمرض ؛ لذلك يمكن اعتبارها مقياساً أكثر دقة لرصيدنا في بنك القلق بالمقارنة إلى الصدمات الشديدة التي ذكرها « هلمس راه » .

وضغوط الحياة اليومية قد تكون سريعة الزوال .. وقد تنغص علينا بصورة متكررة وربما تكون جزءاً من عملنا اليومي الذي نمارسه ، رضينا بها أم لم نرض ... لذلك فالتعرض المستمر لها مع مرور الوقت يضعف مقاومتنا ويجعلنا نسقط فريسة سهلة للمرض .

ولها وجه طيب أيضاً

يؤكد « هانز سلي » أن ضغوط الحياة ليست كلها سوداء .. فهي رغم كل ما وجهنا من اتهامات لها أيضا الجانب الطيب . « وهانزسلي » هو أول من استخدم المصطلح العلمي أو « الضغوط المتعادلة » ويقصد بها الجانب البناء والممتع الذي قد يتبع ضغوط الحياة . ويمكن تلخيص هذا الجانب الطيب لضغوط الحياة في الآتي :

- تصاحب ضغوط الحياة شحنة وجدانية تزيد من تحملنا ، وتزودنا بدوافع ورغبة في مواصلة العمل حتى نحقق أهدافنا .
- لضغوط الحياة قيمة اجتماعية إذ أن التغيرات المصاحبة لها تزيد من ترابط الأشخاص ، وتزيد من فهمهم لبعضهم البعض من الناحية الشعورية .
- لا شك أن ضغوط الحياة ، من خلال تنبيهها للجهاز العصبي اللاإرادي ، تزيد من خبرتنا وقدرتنا على مواجهة المصاعب .
- قد تكون ضغوط الحياة من مصادر سرورنا .. لا شك أن إنجاز أعمالنا بنجاح رغم

جدول رقم (١) ــ الجزء الأول من دراسة « هلمس وراه »

الحدث	رصيدك إثر الصدمة بالأرقام
• موت الزوج أو الزوجة	١٠٠
• الطلاق	٧٣
• افتراق الزوجين	٦٥
• الحكم بالسجن	٦٣
• موت قريب من الدرجة الأولى	٦٣
• التعرض لاصابة أو مرض	٥٣
• الزواج	٥٠
• الطرد من العمل أو الفصل	٤٧
• إنهاء خلاف شديد بين الزوجين	٤٥
• التقاعد عن العمل	٤٥
اضطراب صحة أحد أفراد الأسرة	٤٤
• الحمل	٤٠
• المشكلات الجنسية	٣٩
• دخول فرد جديد في الأسرة	٣٩
• استعادة خسارة تجارية	٣٩
• تغير الأحوال المالية	٣٨
• موت صديق عزيز	٣٧
• تغير طبيعة العمل	٣٦
• تغير مرات الخلاف بين الزوجين	٣٥

تابع جدول رقم (١) ــ الجزء المتمم لدراسة « هلمس وراه »

الحدث	رصيدك إثر الصدمة بالأرقام
• رهن عقار	٣١
• حبس الرهن	٣٠
• تغير المسئوليات في العمل	٢٩
• ترك الابن أو الابنة للبيت	٢٩
• اضطراب العلاقات مع حماتك	٢٩
• تحقيق انجاز أو نجاح شخصي	٢٨
• بداية الزوجة للعمل أو توقفها عن العمل.	٢٦
• بداية أو نهاية العام الدراسي	٢٦
• تغير أحوال المعيشة	٢٥
• تغير العادات	٢٤
• اضطراب العلاقات مع رئيسك في العمل	٢٣
• تغير ساعات العمل	٢٠
• الانتقال إلى مسكن آخر	٢٠
• الانتقال إلى مدرسة أخرى	٢٠
• تغير الأنشطة الاجتماعية	١٨
• تغير عادات النوم	١٦
• تغير عادات الأكل	١٥
• الاجازات السنوية	١٣
• بداية عام جديد	١٢

رصيدك في بنك القلق.. هل هو سبب مرضك؟

المصاعب والضغوط التي تواجهنا يضفي علينا نوعا من السرور والفرح ويجعل لعملنا قيمة نفتخر بها .

عمليات حسابية

يؤكد البروفيسور « لازرس » من جامعة كاليفورنيا ، والذي يعتبر بحق أحد الرواد المعاصرين في الطب النفسي وخاصة في دراسة أثر ضغوط الحياة على فسيولوجيا الجسم ... يؤكد على وجود ما سماه « بالتقييم الادراكي » كنوع من العمليات الحسابية التي تقوم بها أمخاخنا عند مواجهة ضغوط وتهديدات خارجية .. وتشمل عملية التقييم مرحلتين .. المرحلة الأولى تختص بتقييم سريع للموقف .. هل هو تهديد أم لا .. والمرحلة الثانية تختص بترجيح حلول بديلة للتعامل مع الموقف .

والتعامل مع الموقف يتم أيضاً في مرحلتين « إما بالتعامل المباشر الفوري بالهجوم أو الهروب » أو باعادة تقييم الموقف ودراسته وادراكه على أنه دون مستوى التهديد . لذلك فهناك علاقة واضحة بين « التقييم الادراكي » و« الانفعال النفسي » . ونقصد بالادراك كل العمليات الحسابية من ملاحظة ، وتذكر ، وتقييم ، وتصور ، وسببية الخ .. ولا شك أن الحكم والأمثال التي نحفظها ، والعادات والتقاليد التي ولدنا بها ، تؤثر إلى حد بعيد في هذه العمليات الحسابية ، وفي مدى ادراكنا للأمور وتفاعلنا معها .

ضغوط الحياة ...
هل تقلقنا حقاً ؟

« هانز سالي » .. أحد رواد الطب النفسي وخاصة في الأمراض السيكوسوماتية « النفسية الجسمية » يصف التغيرات الفسيولوجية التي تتبع تعرضنا لأزمات الحياةفي ثلاث مراحل وهي كلها تشمل ما سماه « بالتكيف العام المتعدد الاتجاهات » وتلخص نظرية « سالي » خلاصة ما قام به من تجارب متعددة على حيوانات مختلفة بعد أن عرضها لظروف قاسية مثل : الحرمان من الطعام لفترات طويلة ... التعرض لدرجات شديدة الحرارة أو قاسية البرودة ... فقدان كمية كبيرة من الدم .. التعرض لعمليات جراحية مختلفة وغيرها .. واتضح له أن الاستجابة للظروف السيئة تكاد تكون واحدة مهما اختلف المؤثر .

(١) مرحلة الهجوم :

في هذه المرحلة يقوم الهيبوثلاموس (المهاد التحتاني) ـ الذي يعتبر المركز الرئيسي لتنظيم الجهاز العصبي اللارادي ، وهو في نفس الوقت مركز التعبير عن الانفعالات ، بارسال سيالات وشحنات كهربائية وكيمائية ، وذلك من خلال دائرة عصبية مستمرة بين قشرة المخ والهيبوثلاموس والمخ الحشوي ... وتصل بعض هذه السيالات إلى الغدة النخامية التي تقع أسفل الهيبوثلاموس ، ونتيجة لذلك تقوم الغدة النخامية بافراز هرمون الكورتيكوتروفين في الدم ، وتستجيب الغدة فوق الكلوية لهذا الهرمون الأخير ، وتقوم قشرتها بافراز كمية كبيرة من مركبات الكورتيزون التي تحدث العديد من التغيرات في أجهزة الجسم المختلفة وتهدف هذه التغيرات إلى إعداد الجسم وتزويده بمزيد من الحركة والنشاط لمواجهة الأزمة التي يواجهها ـ لذلك تزيد ضربات القلب بغرض تزويد المخ والعضلات بالمزيد من الدم المؤكسج ، وتزيد حركات التنفس بغرض تزويد الدم بأكبر كمية ممكنة من الأوكسجين ، وتنقبض الأوعية الدموية القريبة من سطح الجلد بغرض إعادة توزيع الدم في الدورة الدموية .. وتزويد أجهزة الجسم الحيوية كالمخ والعضلات بالمزيد من الدم .وتزويد قدرة الدم على التجلط لمواجهة أي نزيف .. أما العضلات فتبدو في وضع منقبض . وتهدف هذه التغيرات إلى إعداد الجسم وتحفيزه للهجوم .

(٢) مرحلة المقاومة :

عندما يتكون بالجسم قدر كاف من المقاومة تبدأ أعراض المرحلة السابقة في التلاشي . والواقع أن التغيرات المصاحبة للمرحلة الأولى تتطلب المزيد من الطاقة يستنفدها الجسم بدون طيب خاطر على حساب عمليات فسيولوجية أخرى ، لذلك نجد الجسم يلجأ إلى إيقاف هذه التغيرات في أسرع وقت ممكن .

(٣) مرحلة الإنهاك :

تشير التجارب التي أجراها « سالي » إلى أن تكرار التعرض للظروف القاسية وتكرار ظهور أعراض الهجوم والتحفز قد ينتهي بالإنهاك العام وفشل المقاومة ، لأن كمية الهرمونات التي تنسكب من الغدة النخامية وقشرة الغدة فوق الكلوية وغيرها قد تكون في النهاية غير كافية وأقل من متطلبات الموقف ، كما أن استمرار الظرف القاسي لفترات طويلة غالباً ما ينتهي بضمور عام في الغدد الصم وبالتالي الموت .

والأبحاث التي أجراها « هانز سالي » تؤكد أن تعرض الجسم البشري لضغوط الحياة اليومية تصاحبه تغيرات فسيولوجية مماثلة كانخفاض مقاومة الجلد للمؤثرات الكهربائية ، وزيادة نشاط موجات المخ ، وزيادة ضربات القلب وحركات التنفس .

ولكن إلى أي حد تساهم فسيولوجيا الضغوط في قتلنا ؟ وهل تعرضنا لضغوط الحياة وما يصاحبه من تغيرات فسيولوجية يؤثر فينا بنفس القدر ؟

وإلى أي مدى يؤثر التغيير النفسي المصاحب للقلق في قتلنا ؟

من أحدث ما نشر في هذا الموضوع ما جاء في مجلة « لانست » الطبية الصادرة في شهر فبراير الماضي عن وجود علاقة بين ضغوط الحياة التي نتعرض لها وزيادة افراز مادة « البيتا اندروفين » في الفص الأمامي للغدة النخامية . والمعروف أن « البيتا اندروفين » هي أحد المورفينات الطبيعية التي يكونها الجسم ، والتي لها تأثير مهدئ ومخفف لضغوط الحياة النفسية والجسدية بمعدل يفوق ٥٠ بالمائة مفعول أقوى العقاقير المخدرة والمهدئة ، وهذا الاكتشاف الأخير يفسر لنا بوضوح السبب في حدوث الأزمات النفسية والجسدية عند تعرضنا لضغوط الحياة المختلفة وعندما تفشل أجسادنا في تجهيز كميات كافية من المورفينات الطبيعية لمواجهة الموقف . ولا شك أننا بذلك وجدنا إجابة صريحة للسبب في اختلاف الاستجابة للألم من شخص إلى شخص ؛ كما أن اكتشاف المورفينات الطبيعية بالجسم يؤكد على أن رصيدنا في بنك القلق يختلف باختلاف ما نملك من مورفينات طبيعية في مواقف الحياة وتحدياتها المختلفة .

سامي عزيز

قليلا قليلا وأمشي

شعر: محمد القيسي

قليلاً مِنَ اللَوزِ هَذا المساءْ
قليلاً لأنسى
قليلاً قليلا
فقد أوجَعَتني يداها ، وأوجَعَني صَمتُها
في الغيابِ طويلا
قليلاً قليلا
قليلاً مِنَ العُزلةِ الباردةْ
قليلاً لأشربَ نخبَ دمي المستباحِ على مائدةْ
وأبكي وأضحكَ مما أرى
و يحاكْ
هنا وهناكْ
قليلاً مِنَ الأُفقِ أحمر في غرفتي ، وقليلاً مِنَ الياسمينْ
قليلاً مِنَ العشبِ والماء بين يديَّ ،
قليلاً مِنَ الراحلينْ
قليلا من الصمت والصلوات
قليلاً مِنَ الضوءِ يرشحُ من هذه النافذةْ
قليلاً مِنَ الوردِ والآنيةْ
لأجمعها ثانيةْ
وألقطَ أعضاءها من فيافي يدي ،
وأحكَّ الجراحا
قليلاً لأكسو الرياحَ نواحا
وأصحو
نشيداً وموتا
قليلاً لأرفعَ بيتا
وأهوي كما ناطحةْ
فقد يبستْ صورتي الواضحة
قليلاً قليلا

قليلاً سأسكبُ منْ وحشتي كي تُفيقْ
كثيراً سأسكبُ روحي
وَأمنحُ هذا الحصادَ الغزيرَ وثوبي لها
لتنهضَ فيَّ ،
وَتحضنَني يافعاً وقتيلا
قليلاً
قليلا
فليس لنا غيرُ هذا الطريقْ
قليلاً مِنَ الدعَواتْ
قليلاً لأغفرَ ماكان من طَعَناتْ
قليلاً ونخطو معاً ،
ونُسمّي الضلوعْ
قليلاً ونهمي إلى ضاحيةْ
قليلاً نُسوّي حديقةْ
ومقهىً ، ونهراً نحيلا
قليلاً قليلا
نصوغُ العناقيدَ والداليةْ
قليلاً يكونُ لنا
رصيفٌ ،
وكرمٌ يُراودنا أنْ نقولا
قليلاً
قليلا
قليلاً ونمشي نخيلا
ونمشي ينابيع ظمآنةً وهديلا
قليلاً
قليلا !

• عمّان

بقلم: جمال قطب

الفارسة

جلس فناننا روبنز فى أحد أركان القصر الملكى البريطانى الفسيح ، وقد انهمك فى إبداع إحدى روائعه الفنية .. ومرت الساعات الطوال دون أن يشعر بمن حوله من رجال القصر وحاشية الملك شارل الأول ، الذين التفوا حوله وهم فى دهشة من أمره : كيف ينشغل هذا السفير الجليل الذى أرسله فيليب الرابع ملك أسبانيا ، إلى ملكهم ، بممارسة فن الرسم ، وكأنه فنان محترف ؟ !

فتقدم أحدهم إليه وسأله فى أدب : هل سيدى السفير يتسلى أحياناً بممارسة الفن ؟ فضحك روبنز من قلبه وقال له : بل إن الفنان يتسلى أحياناً بالسياسة !

وما أن عرف رجال شارل الأول ملك انجلترا قصة روبنز ـ فنان الشمال الأوروبى الكبير ـ حتى زاد عجبهم ، إذ كيف يجمع هذا العبقرى بين كل هذه الملكات فى وقت واحد ! ولكنه روبنز .. الفنان الفلمنكي الشهير ، وأسطورة ممالك الشمال فى القرنين السادس عشر والسابع عشر .. وتعرف هذه الممالك (هولندا وبلجيكا) باسم الأراضى المنخفضة نظراً لانخفاض أرضها عن سطح البحر ، كما يطلق عليها اسم بلاد الفلمنك ، وتعرف نهضتها الفنية التاريخية باسم : الفن الفلمنكى .

• • عاش (السير بيتر بول روبنز ١٥٧٧ ـ ١٦٤٠) حياة خصبة مترفة مثيرة ، لا يتسع المجال لسرد دقائقها ووقائعها .. وتنقل بين (أنفرس) مسقط رأسه ، والبندقية ومانتوا وروما ومدريد ولندن وباريس . ولكن صلته الوثيقة بحاكم مانتوا (أحد الأقاليم الإيطالية) كانت السبب فى تألق الفنان فى أوروبا كلها كشخصية فذة فى مجال الفن ومناورات السياسة وصناعة الحرب والسلام ! فقد أوفده الحاكم ـ محملاً بالهدايا ـ إلى فيليب الثالث ملك أسبانيا فى مهمة سياسية وفى مدريد أقام عاماً كاملا يدرس الفنون الأسبانية ، ويرسم اللوحات لقصورها ورجالاتها . حيث طارت شهرته الفنية إلى كل البلاد الأوروبية آنذاك . وتوالت عليه الدعوات الرسمية من ايطاليا وفرنسا .. وكانت روائع عصر النهضة الايطالية تثير فضوله منذ طفولته ، فذهب إلى روما وفلورنسا وغيرهما من المدن الايطالية .. ودرس فنون المدارس المختلفة ، ينقل منها ويستوعب أسرارها .. ولكنه ظل فلمنكياً على الدوام .. مستقلاً بأسلوبه الذي عرف به طوال حياته الجادة المثمرة .

وعاد إلى وطنه .. وكان دوق المقاطعات البلجيكية الهولندية وزوجتها يعرفان قيمة فنانهم الذي تألق اسمه في أوروبا كلها ، فعيناه مصورا خاصا للقصر ، محاطاً بأسباب الترف والنعيم ودفعه هذا التقدير إلى العمل الدءوب : وازدحم مرسمه بعشرات الفنانين المبهورين بفنه متتلمذين على يديه ..

وفيما بين عامي ١٦٢١ ، ١٦٢٥ كان روبنز كثير التردد على باريس لتزيين قصر لوكسمبورج بأمر من الملكة ماري دي مديتشي ، زوجة هنري الرابع ، التي كانت ترغب في تسجيل تاريخ حياتها في إحدى وعشرين لوحة تزين أبهاء القصر الكبير . وكانت مهمة روبنز صعبة للغاية فلم تكن ماري بالملكة الجميلة الرشيقة التي تستولي على إلهام ومشاعر الفنان .. كما أن حياتها ضحلة مكتظة بالمشاكل ! ولم يجد روبنز أمامه إلا أن يمزج الحقيقة بالخيال فلجأ إلى الرمزية والشاعرية والأساطير الاغريقية .. ورسم الملكة سابحة فى تلك الأجواء الرومانسية بعد أن أضفى عليها قسمات الحسن ولمسات الجمال بكرم فني وفير ! لقد تفهم الملكة ودرس نفسيتها ورغباتها الطموحة ، وها هو ذا يرسم ما يحلو لها وما يثير إعجابها . ويرضي خياله الفني في الوقت ذاته .

وبعد أن أتم مهمته في باريس استدعي إلى وطنه في الشمال ليقوم بمهمة سياسية جديدة : لقد مات الحاكم ، وانتهت بموته الهدنة ما بين أسبانيا والممالك المنخفضة وكان لابد من تجديدها .. ونجح روبنز في ذلك بأكثر مما كان يتوقع .. بل وشجعه هذا النجاح في السعي لعقد معاهدة بين أسبانيا وانجلترا .. واستقبله كل من فيليب الرابع ملك أسبانيا وشارل الأول ملك انجلترا أحسن استقبال .. وكانت هداياه لهما هي لوحاته الرائعة التي تتناول موضوع السلام والحب والرخاء ، وتنفر من العداوة والحرب والبغضاء ! وفى أثناء تلك المهام السياسية الخطيرة ، كان يركن إلى لوحاته التى لم تفارقه أبداً فى حله وترحاله حتى فى بلاط ملك انجلترا ، حيث كان يمارس فنه وهو مهمته الحقيقية التى خلق لها .. ولذلك أجاب على تساؤلات رجال الحاشية الملكية بعد أن ظنوه سفيرا يتسلى بالفن : ... « بل إن الفنان يتسلى أحياناً بالسياسة » !

وعلى الصفحة المقابلة نرى قطاعاً صغيراً من إحدى اللوحات العملاقة التى رسمها روبنز فيما بين عامى ١٦٢١ ـ ١٦٢٥ لملكة فرنسا مارى دى مديتشى ، وهنا تبدو الملكة وهى تمتطى صهوة جوادها الأبيض وتضع على رأسها خوذة الحرب المذهبة فى طريقها لهزيمة أعدائها .. أما باقى أجزاء اللوحة فتزخر بالأطياف الأسطورية والرموز الإغريقية وحشود جيشها الجرار الذى تحميه القلاع الحصينة . وهذه اللوحة هى الثالثة عشرة من سلسلة اللوحات الإحدى والعشرين التى تناولت حياة الملكة الفرنسية . وربما كان هذا الإنجاز الفنى الرائع هو أثمن تراث خلفته الملكة التى لم يحدثنا التاريخ عن شىء فى حياتها يستحق التنويه أو الفخار . بل كانت فترة حكمها مشحونة بالمكائد والتناحر ، حتى أن ابنها لويس الثالث عشر قد اضطر يوماً إلى نفيها من فرنسا كلها !

وهكذا يطوى التاريخ صفحاته بما فيها ومن فيها .. ولا تبقى إلا إبداعات روبنز وغيره من العباقرة العظام .. خالدة فى وجدان الزمان .



نحو مسرح عربي جديد

● النص هو العمود الفقري للعمل المسرحي
● التواضع والإخلاص والتماسك أهم صفات العاملين في البيت المسرحي

بقلم: حافظ أمين

ثلاث حقائق، إن أدركناها ادراكا عميقاً شاملا، فهمنا طبيعة الفن المسرحي ومشكلاته، وعرفنا أسباب نهضاته وانتكاساته، ووضعنا أيدينا على الحلول الناجحة لأزماته.

الحقيقة الأولى هي أن النص هو العمود الفقرى للعرض المسرحي، أى أنه لا أمل فى اقامة عرض مسرحى ناجح مالم نحسن ـ منذ البداية ـ اختيار النص الذى يحوى مقومات النجاح، وأن الإخراج والتمثيل وباقي عناصر العرض المسرحى ـ رغم أهميتها ـ لا تستطيع انجاح نص فاشل.

هذه الحقيقة الأولى تعنى أن أى جهد لإصلاح المسرح، لابد أن يبدأ بهؤلاء الذين يقومون باختيار النصوص، بل يبدأ باختيار الأفراد الذين يقومون بالاختيار، إذ لا شيء يقتل الحركة المسرحية كالاختيار الخاطىء للأفراد الذين يختارون النصوص.

وهناك أربعة أنواع من الأخطاء يمكن أن نقع فيها عند اختيار أعضاء لجان القراءة:

الخطأ الأول: أن يكون عضو اللجنة من بين هؤلاء الذين يعتبرون المسرح فناً للهو والعبث، فيختار النصوص التي تحتوى على الهزل والإثارة والمجون، معتقداً أن جماهير المسرح تضم ـ في الأغلب ـ هؤلاء الذين تتدفق الأموال إلى جيوبهم بغير حساب، وهؤلاء ـ في أيامنا ـ هم الذين لا قيم لهم ولا ثقافة لأن معظمهم من المهنيين غير المتعلمين، والخطأ فى هذا الاعتقاد يتلخص في أن طالبي اللهو والعبث أصبحوا في وقتنا هذا، يجدونهما فى أماكن ووسائل أخرى غير المسارح، وبأشكال أشد إثارة، وأكثر مجوناً، وربما أقل تكلفة.

الخطأ الثاني: أن يكون عضو اللجنة من بين هؤلاء الذين يعتبرون المسرح فناً أدبياً رفيعاً، فيختار النصوص المتقعرة المتفيقهة، معتقداً أن جماهير المسرح أتت إليه بغرض التعلم والتثقف، والخطأ فى هذا الاعتقاد يتلخص فى أن المسرح له وظيفة أكبر وأعمق من وظيفة الأدب، وأن الأدب الصرف مكانه الكتاب والمجلة والبرامج الإذاعية الجادة، وهذه الوسائل تقدم الأدب المسرحى ـ لعشاق الأدب الرفيع ـ بطريقة أسهل وأرخص، فلماذا إذن المشقة والتكاليف بالانتقال إلى المسرح.

الخطأ الثالث: أن يكون عضو اللجنة من بين هؤلاء الذين لا مقياس لهم ـ عند إجازة النصوص ـ إلا مقياس المنفعة الخاصة، معتقداً أن القيمة الوحيدة فى الحياة هى قيمة (يا بخت من نفع واستنفع)، فيختار النصوص المقدمة من أصحاب المراكز الكبيرة، والمناصب المرموقة، ومن أعضاء الشلل ذات النفوذ. أما احتمالات نجاح العرض أو فشله، وأما قيمة النص وجودته، فهى أمور بعيدة جداً عن تفكيره، والخطأ في هذه الطريقة ـ طريقة الاختيار على أساس الوساطة والمصالح الشخصية ـ أنها تنتهى دائماً بنكسة الجميع.

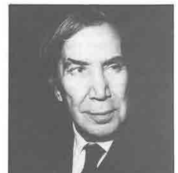
الخطأ الرابع: أن يكون عضو اللجنة من بين هؤلاء الذين لا يعرفون معنى قراءة نص مسرحى، ولا يفقهون شيئاً في أصول المسرح، ولا يستطيعون تصور الكلمات فى أذهانهم وقد أصبحت مشاهد حية، ولعل هذا الجهل بقواعد الفن المسرحى أخطر على المسرح من الأخطاء الأولى: التفاهة والتقعر وسوء الخلق.

وقد يتساءل القارىء ـ بعد هذه المقدمة ـ «فإذا كان اختيار النصوص الناجحة يحتاج إلى أفراد منزهين عن هذه الأخطاء الأربعة، وإلى خبرات نادرة أشد الندرة، فكيف اذن يتم ضمان اجازة عدد كاف من النصوص التي تستطيع اقامة نهضة مسرحية، تحقق النجاح الفنى والنجاح التجارى معاً؟».

الرد على هذا السؤال بسيط غاية البساطة، هو أن نشرك الجماهير فى هذا الاختيار، والمسرح هو الفن الوحيد الذى نستطيع أن نحقق فيه هذه الفكرة بتكاليف زهيدة جداً.

نعم، الحل هو أن يتم اختيار النص على أكثر من مرحلة واحدة، المرحلة الأولى هو أن تجيز لجنة القراءة كل النصوص التي تحتمل النجاح، وترشحها لفرق الهواة فى الجامعات والشركات وقصور الثقافة، وفرق فى هيئة المسرح تتكون من الممثلين والمخرجين المبتدئين، ثم يتم متابعة هذه العروض البسيطة، قليلة التكاليف، ورصد كيفية استقبال الجماهير لها، حتى اذا ما ظهرت بوادر النجاح علي بعضها، رشحنا هذا البعض لفرق أكبر وبإخراج أفخم، ولجماهير أوسع ... وهكذا.

واختيار النصوص على مراحل، له فوائد عديدة: ـ فهو يمنع ـ إلى حد بعيد ـ المجاملات والمحسوبية ـ كما يمنع فرض نص فاشل على فريق



يوسف وهبي



زكى طليمات

حسين رياض



نجيب الريحاني

كبير ، فيؤدى هذا الفرض إلى ضياع الميزانية فى أجور المؤلف والمخرج والممثلين وتكاليف الديكورات والدعاية وغيرها ، ثم نكتشف بعد ذلك أن الدعم كله قد ضاع فى مسرحية سمجة تافهة ، لا يشاهدها إلا بضع مئات من المتفرجين ، اذ لم تعرض إلا لأيام قلائل ، هرب بعدها ممثلوها إلى ما هو أنفع وأنجح .

* * *

ولكن ، هل غاب هذا الحل البسيط على أذهان القائمين على المسرح العربي ؟ طبعاً لا ، وانما السبب فى عدم العمل به هو أن مصالحهم تتعارض مع تنفيذه ... هنا نأتى للحقيقة الثانية :

والحقيقة الثانية مبدأ معروف فى علم الادارة ، ملخصه أنك إذا أردت أن تنهض بمنشأة من المنشآت فلابد أن تضع فيها نظاماً يربط مصلحة العاملين فيها بتحقيق أهدافها ، فلا شيء يحقق نجاح مؤسسة قدر احساس الناس فيها بأن انتعاشهم يعنى انتعاشها ، وانتعاشها يعنى انتعاشهم ، والعكس مع العكس .

ولعل من أهم أسباب نكسة المسرح العربى فى السبعينيات هو احساس جميع العاملين فى مجال المسرح فى ذلك الوقت ، بأن انتعاشهم لن يتم الا بكساده ، فالبطالة فى هيئة المسرح تسمح للممثلين والمخرجين بالعمل فى مجالات أخرى أكثر كرماً فى إغداق المال ، واغلاق المسارح أو احراقها يوفر ميزانية العروض ، فتتحول إلى أجور ومكافآت لجيش من الإداريين فى الهيئة ... وهكذا جميع من يعمل فى هيئة المسرح منتفع من كساده .

الحل اذن بسيط غاية البساطة : يتلخص فى وضع نظام جديد يحول العاملين فى هيئة المسرح من فئات تنتفع من نكسته إلى فئات تنتفع من ازدهاره ، ويتم ذلك بوضع قواعد مالية تربط أجور العاملين بمقدار النجاح الفنى والتجارى للعروض ، على أن يطبق هذا النظام على جميع العاملين فى المسرح ، من أول المؤلف وعضو لجنة القراءة والمدير ، إلى عامل الديكور وأصغر موظف فى المسرح .

إن مجرد ربط أجور العاملين وحوافزهم بمدى نجاح العروض ، كفيل بأن يقف الجميع بإيجابية وشجاعة مع كل ما يخدم النهضة المسرحية ، كما أنه كفيل بالقضاء على كل مظاهر الهدم والتخريب ، من أول حرق المسارح ، واهدار الميزانية فى عرض أو عرضين تافهين ، إلى إيقاف العروض الناجحة ، ومد العروض الفاشلة .. الخ .

* * *

الحقيقة الثالثة أنه لا نهضة مسرحية بغير « البيوت » التى يقيمها ويرعاها أربابها ، لتلبية رغبات جماهير محددة . وقد يكون رب البيت المسرحى ممثلا كبيراً مثل نجيب الريحانى ، أو مخرجاً عظيماً مثل زكى طليمات ، أو مديراً ناجحاً مثل أحمد حمروش ، ولكنه فى جميع الحالات شخصية محبوبة ضخمة ، يلتف حوله الفريق ، ليخلقوا عروضاً تروق جمهورهم ، هذا الجمهور الذى تم تحديده منذ البداية تحديداً دقيقاً واضحاً ، بحيث يتم التأليف والإخراج والتمثيل وجميع عناصر العمل من أجل إرضائه .

إن من أهم مقومات النجاح لأى فريق مسرحى ، التعاون الوثيق بين كل من المؤلف والمخرج والممثل ، ونسيان كل منهم أنه صاحب الفضل الأول فى النجاح ، فالنجاح لا يتم إلا إذا عمل كل هؤلاء فى جو ملىء بالحب والتواضع والاخلاص ، تماماً كما يعمل كل عضو من أعضاء جسم الانسان لصالح الجسم كله ، وهذا لا يتم إلا داخل بيت مسرحى ، تديره شخصية محبوبة حازمة .

وقد كانت البيوت المسرحية فى الماضى تضم مؤلفها ومخرجها بجانب ممثليها ، بل لقد كان الجميع يشتركون فى عمليات التأليف والاخراج ، اذ كان كل عضو من أعضاء الفريق يحس بأنه رجل مسرح ، مسئول عن العروض بكل أبعادها ، كان يوسف وهبى ونجيب الريحانى وسليمان نجيب وعبد العزيز أحمد واستيفان روستى وبشارة واكيم يشتركون فى عملية التأليف ، وكان يوسف وهبى ومنسى فهمى وحسين رياض وأحمد علام يشتركون فى عملية الإخراج ، وهكذا ، وكانت كل من عملية التأليف وعملية الإخراج تظل مفتوحة بعد عرض المسرحية على الجمهور حيث تستمر عمليات الحذف والإضافة والتعديل حسب ما يرونه من ردود أفعال المتفرج ، فلم نكن نسمع — كما يحدث الآن — عن تعنت المؤلفين ، ودكتاتورية المخرجين ، وغرور الممثلين ، وإنما كان التواضع والتماسك والإخلاص أهم صفات العاملين فى البيت المسرحى ، لا غرض لهم إلا إسعاد جمهورهم ، وإنجاح العرض بكل عناصره .

ولكن ، إذا كان حل أزمة المسرح فى إيجاد البيوت المسرحية ، فما الذى يمنع من انشائها ؟

الإجابة — فى رأيى — هى أن البيت المسرحى لا يصنعه قرار من الوزير ، ولكن يصنعه رجل مسرح عظيم بشرط ألا يتعرض له الوزير .

النخلة

شجرة العرب المباركة وسيدة الشجر

تحقيق: بسام طالب



النخيل من أقدم الشجر الذي عرفه الانسان وثمرة النخيل تحتوى على ٤٨ مادة غذائية ودوائية ومعدنية.

كن كالنخيل عن الأحقاد مرتفعا
بالطوب يرمى فيلقي أطيب الثمر

إنه النخل ، هذه الشجرة المباركة ، التى أكرمها الله سبحانه فذكرها فى قرآنه المجيد فى أكثر من موضع ، انها الشجرة الطيبة التى تنبت طيبا فقد ثبت فى الصحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله (من تصبح بسبع تمرات ، لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر) زاد المعاد ج ٣/ص ١٥٩ . وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : (بيت لا تمر فيه ، جياع أهله) رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه .

النخلة رمز من رموز الاباء العربي ، ورمز الأصالة العربية بل قل إنها الفطرة العربية نفسها ، فمنذ أن عرف العرب والنخلة شجرة طيبة مباركة مرتبطة بهم . سكن العرب ناطحات السحاب ، لكن حنينهم إلى النخل كان أقوى وأعمق من كل بنيان العالم .

ها هو ذا جذع النخلة يتطاول باسقا فى زرقة السماء العربية ، يقول الله تعالى : « والنخل باسقات لها طلع نضيد » ق ١٠ .

وها هو ذا سعف النخل يتشكل أطباقا ليظلل الصحراء العربية بأحلى الألوان وأرق الطيوف .

النخلة أمن وأمان ، معطاءة كريمة كالكرم العربى نفسه .

وقد جاء فى الأثر (ان ليس من الشجر أكرم على الله من شجرة ولدت تحتها مريم ابنة عمران)

وقد ورد فى حديث عن الرسول قوله : (اكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من الطين الذى خلق منه ادم)

النخلة والنخيل

النخلة شجرة التمر ، وسيدة الشجر ، والجمع نخل ونخيل ويقال ثلاث نخلات ، والنخل اسم يذكر ويؤنث فنقول هو النخل وهى النخل ، أما النخيل فمؤنثة .

« وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره ، اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » صدق الله العظيم « الأنعام/ ١٤١ .

والنخيل من أقدم الشجر الذى عرفه الانسان ، ويقال بأن عمر شجرة النخيل يربو على أربعة آلاف عام ، وأن الخليج العربى موطنها الأصلى ومنه انتقلت إلى بابل ، وقد أدخل العرب هذه الشجرة إلى اسبانيا .

ويقول ابن وحشيه أقدم مؤرخى العرب فى علوم الزراعة : « وانه يحتمل أن تكون جزيرة حرقان ، الواقعة على الخليج العربى بالبحرين هى الوطن الأصلى الذى نشأت فيه نخلة البلح ومنها انتقلت إلى بابل » .

النخل والشعر

تاريخ مشترك بين العرب والنخل ، بل كما تغنى العربى فى ناقته وفى صحرائه تغنى بنخله ونخيله ، تغنى بها طلعاً وهو أول التمر ، ثم غناها وهى خلال وهو ما اخضر من التمر ثم شدا بها بسر ثم رطب ثم تمر . يقول امرؤ القيس واصفا شعر المرأة :

وفرع يَزين المتن أسودَ فاحم
أثيث كقنو النخلة المتعثكل

أما زهير بن أبى سلمى فيقول :
وهل ينبت الخطي الا وشيجه
وتغرس إلا فى منابتها النخل
ويقول الرفاء :
فالنخل من باسق فيه وباسقه
يضاحك الطلع فى قنواته الرطبا

وواكب النخل مسيرة الابداع الشعرى ، فمن بطون الجاهلية حتى عصرنا الحاضر والنخل مادة أثيرة عند شعراء العربية يقول شوقى :
أهذا هو النخل ملك الرياض
أمير الحقول عروس العزب
طعام الفقير وحلوى الغنى

• النخلة رمز الايثار والعطاء ... ورمز الإباء العربي .

• دعوة خاصة لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية للاهتمام بها وإعطائها ما تستحق .

وزاد المسافر والمغترب
فيا نخلة الرمل لم تبخلى
ولا قصرت نخلات الترب
أما شاعر البحرين فيقول :
مرآك يا نخل يشجيني يعذبني
ولعل من أجمل ما قيل فى النخل وفى ما عاناه من هجمة العصر النفطى عليه قول الشاعر عبد الرحمن محمد رفيع فى قصيدة من الشعر الشعبى تحت عنوان مات النخل يا كنكرى . ويقصد طغيان البناء الأسمنتي على مزارع النخل الجميلة . يقول الشاعر :
حتى النخل مات النخل
وانقطعت عروقه
وارطبنا ذله الكنكرى
وببلاش طاح سوقه
باجر اذا تم الامر
ما يفيد أسف يازين
الجاز خلص والفنر
ما يشب بدمع العين
بيعونى فى سوق الحراج
بارخيص ولو فلسين
بيعونى بس يبقى النخل
ويبقى البحر بحرين
ويدعوالشاعر عبدالرحمن رفيع فى قصيدة أخرى إلى الزراعة وإلى كون النفط مادة ناضبة ولابد


مرآك يانخل يشجيني يعذبني


واكبت النخلة مسيرة الابداع الشعري


تغنى العربي بنخلته وبجميع مراحل تحول ثمرها .

النخلة

شجرة العرب المباركة وسيدة الشجر

أن نتمسك بنخلنا الغالى ، ويقول فى ختام قصيدة له تحت عنوان زرعوا البحرين :

ما فى أحلى من النخيل
ولا أكرم منها شىء كان
والنخلة تطلع وتقوم
وعودها دوم عود ريان
تنبت فى الأرض السبخه
وفى الرمله ام الصبان
وفى ساعه الجود مثل الخود
تعطينا اللولو والدان
سلمى وخلاو واخنيزى
اغلى من الدر والمرجان
اهى الأم واهى الوالد
وفى ساعة الشدة والاخوان
وهى المستقبل لين شح
الزاد فى كل البلدان
باجر لين صاحت لبطون
يتذكر خيرها اليوعان
وان شاء الله تدوم الخيرات
ويعلى فى بلادنا البنيان

أما الشاعر القطرى مبارك بن سيف آل ثانى فيقول فى قصيدة له تحت عنوان : أمام نخلة ، من ديوانه الليل والضفاف :

يا نخلة فوق الكثيب
مهجورة الأصحاب يحجبها الغروب
معقوفة السعف
تناوشها الخطوب
ووحيدة خلف الرمال الحمر
يدميها الهبوب
فى القيظ يحرقها السموم
وفى صقيع البرد يبرحها الجنوب
وكأن همس حفيفها
« ويح لنفس لا يطاوعها الهروب »

النخلة شجرة العرب المباركة

عن سلمة بنت قيس قالت (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعموا نساءكم فى نفاسهن التمر فإنه من كان طعامها فى نفاسها التمر خرج ولدها حليماً ، فإنه كان طعام مريم حين ولدت ولو علم الله طعاماً خيراً من التمر لأطعمها إياه) .

ويقول الدكتور مصطفى محمود فى مجلة العلم والايمان العدد/٣٠/ ان أحدث بحث علمى عن الرطب يقول إن فيه مادة قابضة للرحم تساعد على الولادة وتساعد على منع النزيف بعد الولادة وان فيه مادة ملينة ، ومعلوم طبيا أن الملينات النباتية تفيد فى تسهيل وتأمين عملية الولادة بتنظيفها للقولون .

إنها شجرة العرب المباركة ، جريدها عرائش وسقوف، وجذوعها أعمدة وخوصها بسط ومكاحل وأثاث ، وليفها حبال وحشو للوسائد وللمكاءات ، والنوى غذاء الأبل والدواب .

إن زراعة النخيل فى أرض ما يعنى استصلاح هذه الأرض للعديد من أنواع الزراعة حيث أن ارتفاع شجرة النخل على ساق واحدة متوجة بمجموعة من الأوراق (السعف) يجعلها مظلة طبيعية تفوق البيوت المحمية التى تغطيها رقائق البلاستيك والنخل باسقات جميلات لها طلع نضيد ، ولا تتخذ حيزا أو مسافة كبيرة من الأرض .

والتمور غذاء كامل يحتوى على نسبة تتراح بين ٧٠ و ٨٠ بالمئة من السكريات ، كما تحتوى على كميات مهمة من الأملاح المعدنية كالحديد والبوتاسيوم والمنجنيز والكالسيوم والكلورين والمغنيسيوم

ويعتبر النخل مدخلا اساسيا للعديد من الصناعات سواء كان ذلك من ثمرة أو كربه أو سعفه أو ليفه ، وهو مادة أولية لصناعة السكر السائل والدبس والخل والكحول والخمائر وصناعة العلف الحيوانى .

والتمر غذاء صحى سهل الهضم وتضم مكوناته :

٧٤,٦ كربوهيدرات
١٥,٤ ماء
٢,١ مواد زلالية
٢,٣ مواد دهنية
٣,٨ سليولوز
ــ بقايا

ويمكن القول باختصار أن ثمرة النخيل تحتوى على ٤٨ مادة غذائية ودوائية ومعدنية ، وقد أثبت المعهد البكتريولوجى العراقى بالتعاون مع منظمة الصحة العلمية أن التمور لا تنقل الجراثيم المرضية .

ويمتلك العرب أكثر من ٧٠٪ من مجموع أشجار النخيل فى العالم وينتجون أكثر من ٨٠ بالمائة من الانتاج العالمى للتمور . وجاء فى كتاب النخيل لعبد اللطيف واكد بأن عدد نخيل العالم ٨٨,٥ مليون نخلة موزعة على الشكل التالى :

٣٢ مليون نخلة فى العراق
١٠,٥ مليون نخلة فى الجزائر
١٠,٥ مليون نخلة فى ايران
٩,٥ مليون نخلة فى السعودية



هذه الثمار ثروة قومية علينا الحفاظ عليها ورعايتها وتطويرها واستخدامها .

٩ مليون نخلة فى ليبيا
٨ مليون نخلة فى مصر
٢ مليون نخلة فى تونس
٢ مليون نخلة فى السودان
٢ مليون نخلة فى الهند
٢ مليون نخلة فى بلوخستان
١ مليون نخلة فى المغرب
٠,٥ مليون نخلة فى أمريكا
٠,٥ مليون نخلة فى أفريقيا

ويزيد عدد مصانع التمور فى العالم العربى عن ٤٠ مصنعاً .

ولقد أوصى المؤتمر العربى الأول للنخيل والتمور الذى عقد ببغداد عام ١٩٨١ باعتماد يوم ١٥ سبتمبر من كل عام يوما للنخيل والتمور فى الدول العربية ، وقد أقرت جامعة الدول العربية هذه التوصية وكلفت الأمانة العام للإتحاد العربى للصناعات الغذائية وهى الجهة التى دعت للمؤتمر لتوجيه مزيد من العناية للحفاظ على هذه الثروة القومية وتطويرها . ووضعت مشروعا لدراسة الجدوى الاقتصادية لمشروع التمور المقترح فى امارة رأس الخيمة .

النخيل فى دول مجلس التعاون

وقد حظيت شجرة النخيل فى الكويت باهتمام الكويتيين ، ويقال إن الفحيحيل سميت بهذا الاسم نسبة إلى فحل النخل .

وقد أسس حوالى ١٤٠٠ مواطن فى منتصف عام ١٩٨٢ أول شركة كويتية لزراعة النخيل .



كانت ومازالت للانسان العربي ظـلاً وفيئاً وملاذاً من لهيب الصحراء.

وهناك تخطيط خليجي لمشروع ثلاث ملايين نخلة منها ٢ مليون في دولة الامارات ومليون في الكويت.

وقامت دولة قطر باقامة العديد من أشجار النخل سواء على طول شاطىء مدينة الدوحة الغربي أو في متنزهات جديدة أقامتها.

وكانت النخلة وما تزال هي الشجرة الأولى التي تنتج الغذاء للمواطن السعودي، وتحتل زراعة النخيل مكانة مرموقة بين المحاصيل الزراعية في المملكة، (حيث تقدر المساحة المزروعة بـ٥٧ ألف هكتار حيث يزرع فيها حوالي تسع ملايين نخلة) وتقدم الحكومة العديد من الحوافز سواء لزراعة الفسائل أو تنمية النخيل القائم أو تشجيع الصناعات القائمة على التمور، وغير ذلك.

ولعل من أبرز ما تم على صعيد الاهتمام بالنخيل هو ندوة النخيل الأولى التي عقدت في رحاب واحة الاحساء، وذلك بهدف ايجاد الحلول التي قد تواجه زراعة هذه الشجرة وزيادة الرقعة المزروعة بها، والتعرف على ما توصل إليه الخبراء والمعنيون في كل ما من شأنه المحافظة عليها، وتصنيع منتجاتها والإستفادة المثلى من خيراتها وبحث اقتصادياتها وتسويقها. وعقدت هذه الندوة في الثلاثين من جمادى الأول عام ١٤٠٢هـ) وطرح فيها / ١٢٨ / بحثاً من ٢٢ دولة وانتهت الندوة إلى توصيات عديدة هامة.

إن التراجع في الدخول النفطية وضرورات الأمن الغذائي تتطلبان تنسيقا وتخطيطا خليجيا متكاملا على صعيد إعادة الشباب إلى النخيل.

ولقد جاء قيام مجلس التعاون لدول الخليج العربية ليخطو خطوة كبيرة جدا على طريق حل العقبات التنظيمية والتنسيقية في مجال الاهتمام بهذه الثروة الكبيرة، لذا يجب أن يولى المجلس جانبا من اهتمامه لهذه المسألة، سيما وان الظروف مواتية تماما لايلاء هذه المسألة جل الاهتمام، ويشير إلى ذلك السيد حسين ميازارد، العضو المنتدب بالشركة الكويتية للنخيل، بقوله إن الحاجة ماسة لتنظيم عملية تصدير الفسائل بين دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية بما يضمن إستمرارها. ويضيف بأن الأولوية يجب أن تعطى الآن لقيام مختبر حديث يشرف على عملية تطوير زراعة النخيل خاصة وأن العلم قد تقدم بشكل كبير في هذا المجال.

ذكور النخيل واناثها وتكاثرها

يشبه كمال الدين القاهري صاحب كتاب النبات والحيوان النخلة بالانسان فيقول: هي ذات جذع منتصب ومنها الذكر والأنثى، وانها لاتثمر إلا اذا لقحت، واذ قطع رأسها ماتت، واذا تعرض قلبها لصدمة قوية هلكت، واذا قطع سعفها لا تستطيع تعويضه من محله كما لا يستطيع الإنسان تعويض مفاصله، والنخلة مغشاة بالليف الشبيه بشعر الجسم في الانسان أيضا. ونوجز عن الدكتور عبد الله عبد الرزاق السعيد في كتابه الرطب والنخلة أنواع النخيل وكيف يلقح:

هناك نخلة تحمل أزهارا ذكرية وتسمى النخلة الذكر أو الفحل، ونخلة أخرى تحمل ازهاراً أنثوية وتسمى النخلة الأنثى وهي التي تثمر.

فشجرة النخل صنوان، ولقد وجد بالملاحظة أن رأس الشجرة الفحل يكون عادة كبيرا، وكثيف السعف، أما كربها فتكون عريضة وجذعها غليظاً. أما الشجرة الأنثى فيكون رأسها في الأغلب صغيراً ومتناسقاً وجذع الأنثى رشيقاً باسقا.

ولكي تثمر الشجرة الأنثى يجب تلقيح أزهارها الأنثوية بحبوب اللقاح الموجودة في الأزهار الذكرية عندما تتفتح الأكمام وينشق غلافه الخارجي. وهناك طرق مختلفة لإجراء عملية التلقيح، إما صناعية أو طبيعية:

ومن الطرق الطبيعية للتلقيح نقل حبوب اللقاح بواسطة الرياح، قوله تعالى «وأرسلنا الرياح لواقح» الحجر ٢٢.

وكذلك نقل حبوب اللقاح بواسطة الحشرات كالنحل وغيره. أما التلقيح الجيد فيتم بواسطة الانسان وبطرق صناعية مبتكرة وتتطور باستمرار.

ويتكاثر النخيل إما:

١ ـ بطريقة النوى (زرع البذور، وهي طريقة غير جيدة وتتأخر من ١٢ ـ ١٥ سنة)

٢ ـ بطريقة الفسائل، والفسيلة هي خلفة تكونها شجرة النخيل الصغيرة في العمر وتكون قرب جذع النخيل أو حوله، والنخلة تنتج تلك الفسائل أو الفراخ عندما يكون سنها ما بين ٦ ـ ١٢ سنة.

٣ ـ طريقة التكاثر الخضرى.

لقد أثبتت التجارب أن زراعة سعف من شجرة النخيل البالغة في وسط غذائي معين وتحت ظروف مناسبة يمكن أن تساعد على نمو حبيبات كروية داخل أنسجة السعفة، وعند بلوغ تلك الحبيبات صفات معينة وحجما مناسبا تنقل إلى وسط غذائي مناسب فتنتج بعضها ما يسمى كنباً Callas ثم تزرع تلك الكنب في وسط غذائي مناسب فتنمو، وبعد بلوغها صفات معينة تنقل إلى التربة فتنمو وتصبح فيما بعد شجرة نخيل.

شجرة أرضنا ومناخنا وتاريخنا

حقا إنها شجرة أرضنا ومناخنا وتاريخنا كما قال الشيخ ابراهيم الدعيج، وعلينا أن نعيد لشجرة النخيل أمجادها كما قال صاحب السمو الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير دولة الكويت.

فالنخلة رمز الايثار والعطاء والاستمرارية، إنها تمثل عطاء جيل لآخر، إنها الروح، والوعد، والعطاء.

إنها فاكهة وغذاء ودواء وشراب وحلوى، إنها خير البلاد ومادة الحياة وعماد التجارة كما قيل، فعلينا أن نهتم بها لأنها جزء من نفسنا، واهتمامنا بها اهتمام بماضينا وحاضرنا ومستقبلنا.

بسام طالب

التعرض الزائد لأشعة الشمس خطر على الإنسان ــ الشيخوخة المبكرة للجسم البشرى نتيجة من نتائج عدم الاقتصاد فى التعرض لأشعة الشمس ــ من النتائج الخطيرة أيضا تعرض العين لمرض « الماء الأبيض » ــ ما هى حقيقة العلاقة بين سرطان الجلد وأشعة الشمس ؟

جلودنا وأشعة الشمس

بقلم : الدكتور عبد الله الباكر

في كل صباح تشرق فيه الشمس ، تدب الحياة على وجه الأرض ، ويسعى الناس لمزاولة مختلف الأنشطة ، إذ أن لمشرق الشمس ، الذي يحمل لنا الضوء والدفء والحرارة تأثيراً فعالاً على فسيولوجية أجسامنا وسلوكنا ونفسياتنا ، إننا بمزاولتنا حياتنا اليومية من عمل خارج بيوتنا ، ورياضة من أجل المنافسات أو للحفاظ على صحتنا ، أو بانتقالنا في مجموعات إلى الشواطئ السياحية ، نتعرض لأشعة الشمس . وتواجه جلودنا بصفتها خط الدفاع الأول عن أجسامنا هذه الأشعة وخطرها .

ولما كان من الصعب أن نقطع علاقتنا بأشعة الشمس ، أو ننصح من حزموا أمتعتهم للتمتع بالشواطئ الجميلة بعيداً عن عناء العمل بالعدول عن ذلك ، يصبح لزاماً علينا إلقاء الضوء على تأثير أشعتها على جلودنا .

تتكون الحزمة الشمسية من مجموعة من الأشعة المنظورة « ألوان الطيف » والأشعة غير المنظورة « أنواع الأشعة الأخرى » . وتصطف هذه الأشعة بانتظام في الحزمة الضوئية بحسب طول موجتها التي تتراوح ما بين جزء من النانوميتر « نم » والمتر « م » . ونرى في الشكل (١) أماكنها في الحزمة الشمسية .

ويستطيع جلد الانسان أن يتكيف ويستعمل جزءاً من الطاقة الشمسية التي يستفيد منها ، وخاصة الأشعة فوق البنفسجية ، وهي أشعة غير منظورة إذا تعرض لها بشكل منتظم وعلى فترات قصيرة . ولكن لهذه الأشعة مفعولاً ضاراً ومؤثراً على خلايا الجلد وتكوينه ، يعتمد على طول الموجة التي تقع فيها . وهي تتكون من :

• الأشعة فوق البنفسجية (جـ) ، وهي قصيرة الموجة (بين ٢٠٠ ــ ٢٨٠ نم) ، وتسمى « الأشعة المبيدة للجراثيم » ، ويظهر تأثيرها على الجلد والعيون في شكل احمرار ، وينحصر في الطبقة السطحية من الجلد . ويتم امتصاص هذه الأشعة في الجو بواسطة طبقة الأوزون ، مما جعل علماء البيئة يهتمون بهذه الطبقة ، حيث أن التلوث قد يؤثر عليها .

• الأشعة فوق البنفسجية (ب) ، وتعرف بأشعة حروق الشمس ، وهي متوسطة الموجة (٢٩٠ ــ ٣٢٠ نم) وتشكل ٣ بالمائة من الأشعة فوق البنفسجية . هذه الأشعة هي التي تحدث التأثيرات المختلفة ، الحادة والمزمنة منها ، إذ أنها تخترق الجلد ، فيتم امتصاص بعضها في الطبقة الكيراتنية ، وينفذ البعض إلى خلايا الجلد لاحداث التغييرات فيها .

• الأشعة فوق البنفسجية (أ) ، وتعرف باسم الضوء الأسود ، وهي طويلة الموجة « ٣٢٠ ــ ٤٠٠ نم » ، ومعظم الأشعة فوق البنفسجية من هذا النوع ، ولها دور في احداث السفعة أو السمرة عند التعرض للشمس . لكن الأبحاث الأخيرة ، وخاصة بعد استعمال هذه الأشعة في العلاج وفي بيوت التجميل ، بينت أن لها أثراً على الجلد يقوي ويضاعف أثر الأشعة فوق البنفسجية « ب » .

تأثير الأشعة فوق البنفسجية على الجلد

يتخذ تأثير الأشعة على الجلد أشكالاً مختلفة ، وقد بينت الدراسات أن خطراً فعلياً يكمن في التعرض الزائد لها ، هذا التأثير يحدث في الجميع ، ولكنه أكثر خطراً ووضوحاً في الناس البيض ، ومن لديهم حساسية للأشعة الشمسية ، ويقل هذا الخطر تدريجياً كلما غمق لون الجلد حتى السواد . ولحسن الحظ أن ثلثي سكان العالم والفقراء بالذات ، والذين تستدعي ظروفهم المعيشية العمل تحت الشم هم من الملونين .

ومن أنواع التأثير الحاد أو السريع :

أ ــ حرق الشمس Sun Burn ، ويظهر في درجات مختلفة ، حسب قوة الأشعة ومدة التعرض لها ، ومكان حدوثها بالجسم ، حيث الجلد أكثر رقة وانفعالاً بها . ويحدث حرق الشمس بعد تعرض للأشعة يتراوح بين ١ ــ ١٢ ساعة . ويبدأ على شكل احمرار في الجلد فقط بعد التعرض القليل ، ولا تصاحبه أية عوارض أخرى ، ويغيب بعد ٢٤ ساعة إذا لم يحدث تعرض آخر للشمس . ويزداد الإحمرار مع تهيج في الجلد ، وينتهي في ظرف يومين أو ثلاثة ، وقد يأخذ الاحمرار شكل الالتهاب ويتورم الجلد ، مع ارتفاع حرارته ، ويصاحبه ألم ، خاصة إذا حدث بقرب المفاصل . ويستمر هذا لمدة اسبوع حتى يختفي .

ويظهر الحرق في صورة كاملة مع ظهور بثور جلدية تحتوي على سائل البلازما ، التي قد تصاب بالميكروبات وتؤدي إلى زيادة عمق الحرق إذا لم يتم علاجها . أما إذا حدث حرق الشمس في منطقة كبيرة من الجسم ، فان تجمع كمية من السوائل تحت الجلد في بعض الناس قد يؤدي إلى الغثيان المصاحب بارتفاع في درجة الحرارة ، وربما إلى فقدان الوعي والقدرة على الحركة .

ونتنبه إلى أن هذا النوع من الحرق قد يحدث أيضاً من جراء التعرض للاشعة فوق البنفسجية الاصطناعية المستخدمة في بعض بيوت التجميل والصناعة وغيرها .

ب ــ زيادة سمك الجلد : بسبب الضرر الذي تحدثه الأشعة في الخلايا السطحية ، يزداد انتاج الجديد من الخلايا لتحل محلها ، فتزيد من سمك الجلد ، الذي يعتبر جزءاً من الوقاية ضد الأشعة . وقد يستمر ذلك لشهور ، يظهر الجلد فيها بملمس خشن وجاف .

(جـ) التقشر : ويحدث هذا عندما ينحسر الاحمرار ، وهو عبارة عن عملية تخلص الجلد من الخلايا الميتة ، وهي طبيعية ، لكنها تصبح سريعة في هذه الحالة . وهي تقلل من مقاومة الجلد التي اكتسبها بزيادة السمك . وتعتمد كمية التقشر على درجة حرق الشمس .

(د) السفعة أوالسمرة : وهي نوعان : السمرة المباشرة ، والسمرة المتأخرة أو الحقيقية . ويحدث النوع الأول مباشرة بمجرد التعرض للشمس ولو لبضع دقائق في وسط نهار يوم صيفي ، وتصبح سمرة متكاملة بعد ساعة لو استمر التعرض ، لكنها

قد تختفي بعد أربع ساعات من عدم التعرض . وهي غالباً ما تكون بسبب الأشعة ف ب (أ) ، وربما يكون للضوء المرئي دور فيها . وهذه الظاهرة ناتجة عن الأكسدة الضوئية ، والتغير اللوني لمادة « الملانين » الموجودة في الجلد سلفاً .

أما السمرة المتأخرة أو الحقيقية فهي بسبب الزيادة في انتاج مادة « الملانين » . وهي عملية بطيئة ، قد تستغرق عدة أيام لتصبح واضحة تماماً ، وتصل ذروتها في ٢ ـ ٣ أسابيع ثم تخبو إذاتوقف التعرض للأشعة . وتشترك في هذه العملية الكيمائية خلايا الملانين التي تصنعه ؛ ويتم نقله إلى طبقات الجلد السطحية عن طريق خلايا « القرتين » لتكون منه حاجز السمرة الجميل .

وغالباً ماتحدث هذه السمرة بسبب التأثر بأشعة « ب » ، وإلى حد ما بأشعة « أ » ، والأشعة المرئية . و « النمش » الذي يتكون نتيجة للتعرض لأشعة الشمس في الوجه وعلى الأنف والخدين ، يحدث بنفس الطريقة والترتيب الزمني .

(هـ) زيادة نشاط بعض الأمراض بالتعرض لأشعة الشمس : هناك مجموعة من الأمراض الجلدية تزداد أعراضها فاعلية بالتعرض لأشعة الشمس ، ومنها البلاجرا « الحصاف » والتقرن الحرابي Keratosis Follicularis ، الذي قد يتحول إلى السرطان ، ويختفي في الشتاء أحياناً . والذئبة الاحمرارية Lupus Ery Thematosis مرض له علاقة بالأشعة فوق البنفسجية ، والصدفية أيضاً ، رغم أن كثيراً من المرضى تتحسن أحوالهم في الصيف ، وتستعمل الأشعة فوق البنفسجية « أ » في علاجهم بطريقة « Puva » ، إلا أن ٢٠ بالمائة تزداد أحوالهم سوءا بالتعرض لأشعة الشمس .

(و) الحساسية الضوئية والتسمم الضوئي : وهما حالتان من الأصابة متشابهتان ، إلا أن الأولى ، وهي قليلة الحدوث ، يحدث فيها التفاعل عن طريق المناعة وتفاعلاتها . ومن أمثلتها الشرى الشمسي Solar Urticaria والطفح الضوئي المتعدد الأشكال PMLE .

وهذا النوع يستغرق مدة طويلة حتى يشفى ، أما النوع الثاني فهو نوع من التفاعل الكيميائي ، وغالباً ما يحدث باستعمال أساليب علاجية مثل « Puva » ، ويظهر في شكل احتراق شمسي حاد جدا ، لأنه تصميم للتفاعل العلاجي المطلوب وزيادة في حدته ، ولذلك فهو أكثر حدوثاً .

الشكل (١)

التأثير على العيون

تتأثر العيون بالأشعة فوق البنفسجية ، ويظهر ذلك في شكل احمرار حاد ، أو الظفرة والماء الأبيض على المدى البعيد . ولذلك ينصح بلبس النظارات الواقية في أماكن التلج .

تأثير التعرض المزمن للأشعة

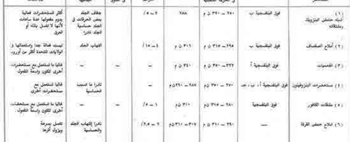
يؤدي التعرض المزمن الزائد غير الواعي لأشعة الشمس ، وخاصة بالنسبة للبيض وذوي الحساسية وذوي الاستعداد الوراثي ، إلى احداث أضرار كبيرة تراكمية غير راجعة لمختلف مكونات وخلايا الجلد . وتؤدي كل هذه التغيرات والأضرار أخيراً إلى ظواهر الشيخوخة المبكرة ، وسرطان الجلد ، ويتضح أن الأثنين لهما علاقة ببعضهما في حالات التعرض للشمس ، ويرتبطان بالمناعة وتأثرها بأشعة الشمس أيضاً .

ظواهر الشيخوخة المبكرة

يؤدي تأثير أشعة الشمس على الخلايا والأنسجة إلى تغيرات بيوكيميائية على مستوى الخلية ، تظهر في شكل جفاف الجلد وتشققه بسبب نقص الرطوبة فيه ، وإلى نقص مطاطية الجلد ، وظهور تغيرات لونية في الجلد في شكل بقع لونية غامقة أحياناً ، وفاتحة أحياناً أخرى ، ولزيادة في عدد وعمق التجاعيد ، وتغيرات في الأوعية الدموية تؤدي إلى اتساع كبير في الأوعية ، مع ظهور بقع تجمعات دموية بسبب تمزقات في الأوعية الصغيرة ، وظهور بقع وأورام صفراء أحياناً .

وجميع هذه التغيرات تظهر واضحة في ظهر اليد والوجه وخلف الرقبة وأيضاً في الأذن والشفة السفلى في الرجال بشكل أوضح . ويزداد حدوثها في العاملين في العراء والمزارعين والبحارة ، وتحدث بصورة أوضح في ذوي الجلد الباهت والشعر الأشقر أو الأحمر والعيون الزرقاء أو الرمادية ، والذين بهم « نمش » ، ولديهم الاستعداد للاحتراق بسهولة عند التعرض لأشعة الشمس .

وكل هذه العلامات والاستعدادات تعرف مجتمعة بالتقرن الأكتيني Actinic Keratosis (أو التقرن الشمسي ، التقرن الشيخوخي) وتعتبر هذه الاصابة حالة ما قبل الخبيث أو السرطان في الجلد ، وهي ، عموماً ، شائعة في الأشخاص الكبار ، لكنها يمكن أن تحدث في البالغين الذين يتعرضون لكمية كبيرة من أشعة الشمس . ولقد تبين أن الاصابة الحرارية وابتلاع الزرنيخ ور (Puva) ربما تؤدي إلى نفس الاصابة . والأمر الذي يقلق السلطات الصحية هو انتشار موضة التلون « السمرة » الاصطناعية عن



المستحضر	القدرة على الامتصاص	طول موجات الأشعة في الحزمة الشمسية		التركيز	المستحضرات في السوق	الأعراض الجانبية	ملاحظات
(١) شبيه حامض البنزويك ومشتقاته	فوق البنفسجية ب	٢٦٠ ــ ٣٢٠ ن م	٢٨٨	٢ ــ ٥ ٪		جفاف الجلد بعض الحرقات في الجلد حساسية الجلد نادرا	أكثر المستحضرات فعالية يدوم مفعولها عدة ساعات لأنها لا تغسل بالماء أو العرق
(٢) أملاح الصفصاف	فوق البنفسجية ب	٢٩٥ ــ ٣١٥ ن م	٣٠٦ ن م	٤ ــ ١٥ ٪		التهاب الجلد	ليست فعالة جدا وتستعملها في الولايات المتحدة أكثر من أوروبا
(٣) الفحميات	فوق البنفسجية أ	٣٢٢ ــ ٣٨٠ ن م	٣٤٠ ن م	ـ	ـ	ـ	غالبا ما تستعمل مع مستحضرات أخرى لتكون واسعة المفعول
(٤) مستحضرات البنزوفينون	فوق البنفسجية أ ، ب ، جـ	٢٧٠ ــ ٣٥٠ ن م	٢٨٧ ــ ٢٩٠ ن م	ـ		نادرا ما تسبب الحساسية	غالبا تستعمل مع مستحضرات أخرى
(٥) مشتقات الكافور	فوق البنفسجية	٢٨٠ ــ ٣١٥ ن م	٣١٠ ن م	١ ــ ٥ ٪	ـ	ـ	غالبا ما تستعمل مع مستحضرات أخرى لتكون واسعة المفعول
(٦) املاح حمض القرفة	ـــ	٢٩٠ ــ ٣١٠ ن م	٣٠٧ ــ ٣١٠ ن م	٢ ــ ٢,٥ ٪		نادرا إلتهاب الجلد والحساسية	تغسل بسرعة ويزول أثرها



جدول رقم (١) يوضح المواد الكيمائية في الكريمات وتركيزها وقدرتها على الحماية

جدول رقم (٢)

مقارنة بين المستحضرات الواقية من الشمس

المستحضر الواقي	عامل الوقاية من الشمس المكتوب على ورقة المستحضر	العامل الحقيقي للوقاية من الشمس
كوبرتون ٤	٤	٤
سن داون الترا بروتكشن	٦	٦,٩
سوبر شيد ١٥	١٥	١٧,٤
الكيز ١٥	١٥	١٥,٢
بلوك أوت ١٥	١٥	١٥,٩
بين دي سولبل ١٥	١٥	٢٣,٩

جدول رقم (٢) يوضح المقارنة بين المستحضرات الواقية من الشمس

جلودنا وأشعة الشمس

طريق استعمال الأشعة فوق البنفسجية التي تحمل خطر حدوث هذه الاصابة .

سرطان الجلد

منذ أواخر القرن التاسع عشر ظهرت أهمية العلاقة بين أشعة الشمس وحدوث سرطان الجلد ، ولقد بينت الدراسات بعد ذلك حقيقة هذه هذه العلاقة ، مما جعل الوقاية منه أمراً واضحاً ومتيسراً .

ومثل أكثر أنواع السرطان ، يزداد سرطان الجلد بتقدم العمر ، إلا أنه في الأساس بسبب التعرض للأشعة الشمسية . وتبين من الدراسات والبحوث المتوفرة الآن أن الأشعة فوق البنفسجية (ب) هي أكثر الأشعة قدرة على إحداث السرطان ، وأن الأشعة ف ب « أ » تزيد من حدة ضرر الأشعة (ب) ودورها المسرطن ، وأن الاشعة تحت الحمراء قد تسرع هذه العملية ، وأن الحرارة وسرعة الرياح وزيادة الرطوبة قد تزيد من سرعة تأثير الأشعة فوق البنفسجية المسرطن ، كما أن بعض المواد الكيمائية التي تعتبر ذات دور مسرطن تؤدي إلى تأثير تجمعي مسرطن مع الأشعة فوق البنفسجية . ولقد تركز البحث على هذا التأثير أخيراً ، وخاصة بعد استعمال بعض المواد الكيميائية مع الأشعة في علاج الصدفية ف ب « أ » مع دواء Psoralens ، وف ب « ب » ، مع القطران .

كما تبين أن الاصابات المزمنة نتيجة للتعرض الزمن والتي تؤدي إلى تغيرات في الجلد وتؤدي إلى سرطان الجلد سببها الأصابة والضرر الشمسي ، وأن الأشخاص الذين لديهم الاستعداد لحدوث السرطان هم نفس الأشخاص المذكورين أعلاه ، وأن الجماعات الملونة والسود خاصة ، نادراً ما يصابون به .

وتتم هذه العملية بشكلها المبسط على النحو التالي : فالأشعة فوق البنفسجية تحدث الضرر في بروتين الخلية الوراثي DNA ، فاذا لم يحدث اصلاح الضرر أو العطب ، ادى ذلك إلى حدوث السرطان . وهناك اتجاه في الوسط العلمي لتفسير عملية الشيخوخة المبكرة على هذا الأساس ، وربطها بالتالي بالسرطان .

وهناك عدد من أنواع سرطان الجلد المعروفة بعلاقتها بأشعة الشمس ، ومنها القرحة القارضة ، وهو أكثر أنواع سرطان الجلد شيوعاً ، وغالباً ما يوجد في الرأس والرقبة ، وقد يصيب الظهر والسواعد والأيدي ، أحياناً . وهو لحسن الحظ يحدث في الأماكن الظاهرة ولا ينتشر بالانبثاث إلا نادراً ، إلا أنه لو ترك يحدث أضراراً بالانتشار المحلي . وقابليته للشفاء بعد العلاج عالية جداً ، ونسبة عودته بين ٥ ــ ١٠ بالمائة .

أما السرطان الظهاري Epithelioma فهو عامة أقل شيوعاً ، لكنه أكثر شيوعاً بين الملونين من النوع الأول ، بالرغم من عدم اصابتهم به إلا قليلاً . والدلائل على علاقته بالشمس أكثر إقناعاً ، وهو ينتشر بالانبثاث في الغدد الليمفاوية ، ولذلك من المهم التأكد من ذلك . والنتائج العامة للعلاج جيدة عموماً ، وإن كانت أقل من النوع الأول .

أما الورم القتامي الخبيث Malignant Melanoma

فيعتبر ثالث سرطان جلدي من حيث الانتشار في الجنس الأبيض ، ولكنه من أخطر الأورام وأسرعها للموت ، حيث أن نصف المرضى يتوفون خلال سنة من حدوثه . وهو يحدث في صغار البالغين ، وبينت الاحصائيات في المملكة المتحدة أن ألفي حالة جديدة تحدث سنوياً . ولا يوجد شك في علاقته بأشعة الشمس ، وإن لم تكن مباشرة كالأنواع الأخرى ، حيث أن التاريخ المرضي يبين حدوثه في الأشخاص الذين يحترقون بشكل واضح عند تعرضهم للشمس بدل تلونهم . ويعتقد البعض أن هناك عاملاً كيميائياً مسئولاً عن إحداث هذا السرطان ، حيث أنه يحدث أحياناً في مناطق في الجسم ليست معرضة مباشرة لأشعة الشمس .

وهناك محاولات كبيرة لعلاج هذا السرطان في استراليا وكندا وأمريكا . إلا أن أحسن النتائج التي أدت إلى حياة المصابين لمدة خمس سنوات هي تلك التي يتراوح سمك السرطان فيها بين نصف إلى واحد سم . وفي أماكن في الأطراف .

المناعة وعلاقتها بأشعة الشمس

يعتبر الجلد خط الحماية الأول للجسم ، وهو بهذا ليس حاجزاً سلبياً ، بل عضو للمناعة في حالة دائمة من الحركة والعمل . ولذا كانت معرفة هذا الدور ، وإلقاء الضوء من خلاله على علاقة البيولوجيا الضوئية ، بالمناعة ، وبينت احدى الدراسات المنتظمة على مرضى الكلى المزروعة أن حدوث سرطان الجلد فيهم يعتبر مرتفعاً بالمقارنة إلى الناس العاديين . ويعتقد أن تعرضهم للأشعة فوق البنفسجية من العوامل الهامة في إحداث ذلك . ولذا ينصح هؤلاء المرضى بعدم التعرض لأشعة الشمس ، ويتم الفحص عليهم دورياً لاكتشاف المرض مبكراً .

وقد أكدت الدراسات المخبرية هذه العلاقة بمختلف التجارب . وتبين النتائج التي توصل إليها أن الأشعة فوق البنفسجية « ب » تؤدي إلى استنفاد خلايا « لنجرهان » واختفائها ، وهي خلايا تقوم بدور هام في المناعة هو تقديم منتج المضاد Antigen وحين يستنفد ، يؤدي ذلك إلى منع حدوث فرط الحساسية التماس ، وإلى إحداث زيادة في خلايا « ت » القمعية Suppressor T Cells ، ونقصان في خلايا « ت » المساعدة .

وظهور هذه المعلومات هو الذي دعا إلى الحذر في استعمال بعض العلاجات ، وبعض أليب التلوين والسمرة التي تدخل فيها الاشعة فوق البنفسجية « أ » و « ب » ، مع استعمال بعض الأدوية التي لها دور في الحساسية الضوئية ، إذ أن هذه المعلومات قد استخلصت من تجارب على متطوعين بشر .

الحماية من أشعة الشمس

هناك الحماية الطبيعية ، التي تأخذ أشكالاً مختلفة ، إذ أن الجلد مصمم بدقة متناهية لكي يتعامل بطريقة دفاعية مع المحيط الخارجي ، ويتم ذلك مكوناته وعملياته الفيزيوكيميائية .

فعندما تسقط أشعة الشمس على جلودنا ينعكس جزء منها بعيداً عنا ، وخاصة الأشعة المرئية ، وتحت الحمراء ، ويعتمد هذا الانعكاس على لون البشرة ، فهو في البيض أعلى منه في السود . أما الأشعة فوق البنفسجية فان جزءاً منها ينعكس عنا ، وهو في السود أعلى منه في البيض . وللجلد الإنسان خاصية احداث تبعثر للأشعة ، وله دور كبير في الحماية من ضرر الأشعة الكونية ، وخاصة فوق البنفسجية . كما أن الجلد يمتص جزءاً كبيراً من الأشعة فوق البنفسجية ذات الموجات القصيرة الأقل من ٣٢٠ نم . وتتم في الجلد أيضاً عملية إرسال داخلي ، حيث يمتص الطاقة الشعاعية بنشرها في الداخل . وربما لهذه العملية ، إذا كانت الطاقة المتبقية كبيرة ، دور في احداث الضرر في الأنسجة .

ويشترك في هذه العمليات التماسك الفيزيائي للطبقة القرنية والمكونات الكيماوية للأنسجة من بروتين وكراتين الجلد والملانين وبعض مشتقات الأحماض الأمينية مثل « حمض اليوراسنك » والكروتين والدهون والبروتينات الدهنية .

ومن العوامل الطبيعية الأخرى الدهون التي بالسطح الخارجي للجلد ، والتي يعتقد أنها تلعب دوراً هاماً في الحماية من السرطان ، إلا أنها في نفس الوقت تقلل من انتاج فيتامين (د) . وتأتي هذه الدهون من افراز الغدد الدهنية غالباً وكذلك من الطبقة القرنية ، ولذا فان للبشرة الدهنية دوراً في الحماية .

وتعتبر السمرة أو السفعة من أهم العوامل الطبيعية في الحماية ، والذين يحرمون منها لأسباب وراثية أو مرضية ، أو لا تحدث لهم إلا بعد عناء طويل من التعرض للشمس ، أو لسبب الحساسية الضوئية ، يواجهون صعوبات جمة في تعرضهم للشمس .

عوامل بيئية للحماية

وتلعب هذه العوامل دوراً هاماً في الوقاية أو الضرر من أشعة الشمس . ومنها تلوث البيئة الذي يؤدي إلى تقليل الأكسجين ، والتأثير على طبقة

الأوزون الهامة في إمتصاص الأشعة . ومنها قرب كان التعرض للأشعة من خط الاستواء . حيث يزيد التأثير القوي للأشعة ، لأنها تسقط بشكل عمودي أكثر . والعكس صحيح بالنسبة لبعد المكان عن خط الاستواء . كما أن الارتفاع يزيد من تأثير أشعة الشمس على الجلد بشكل واضح . وقد تم تقدير ذلك بزيادة ٤ بالمائة من كمية الأشعة فوق البنفسجية لكل ١٠٠٠ متر ارتفاع . وللفصول أيضاً دور إذ أن الأشعة أقوى وأكثر حرارة في الربيع والصيف . وتعتبر الفترة من ١١ صباحا إلى ٣ بعد الظهر أكثر خطراً من بقية الأوقات ، وخاصة في منتصف الصيف . أما بعد أو قبل ذلك ، فان نسبة الأشعة وحرارتها تقل ، حيث يزداد ميلان سقوطها . ولذلك فان المصطافين الذين يعرفو هذه المعلومات يبدأون يومهم من الصباح الباكر حتى منتصف النهار .

ويعمل الماء ، سواء على هيئة سائل أو بخار في السحب ، كمصفاة للأشعة فوق البنفسجية ، حيث أن السماء المغطاة بطبقةمن السحاب ربما تنفذ ٦٠ ــ ٨٠ بالمائة من الأشعة ، وبنفس الدرجة التي تنفذها ١٢ بوصة من الماء المقطر ، مما يبين أن وجودنا في الماء تحت أشعة الشمس له أثر ضار إن استمر فترة طويلة ، لأن الماء يشعرنا بالبرودة ، ولكن الأشعة تنفذ إلى جلودنا .

وللقدرة العاكسة للموادالمختلفة أثر في تأثير الأشعة ، إذ أن الأشعة المنعكسة منها تسقط علينا أيضاً . فالجليد يعكس ٨٥ بالمائة من الأشعة وربما ١٠٠ بالمائة عندما تكون الشمس عمودية ، والرمل الجاف يعكس ٢٠ بالمائة تقريباً بينما تعكس الخضرة ٢,٥ بالمائة فقط .

وتلعب الملابس دوراً هاماً في الوقاية ، فكلما ازدادت طبقاتها ، قل نفاذ الأشعة ، وكلما زاد بياضها ، أدى ذلك إلى انعكاس الأشعة منها . ويعتمد ذلك على نوع المواد المصنوعة منه ، وأقلها حماية هي الملابس القطنية الخفيفة .

إن معظم الزجاج لايمرر الأشعة فوق البنفسجية (ب) ، حيث يتم امتصاصها . أما الأشعة (أ) فهي تنفذ من غالبية أنواع الزجاج ، الأمر الذي يجب أن يوضع في الحسبان بالنسبة للمرضى الحساسين للأشعة (أ) .

الحواجز الشمسية Sun Screens

مع توفر المعلومات عن تأثير الأشعة فوق البنفسجية واكتظاظ المصايف والشواطئ السياحية بالسواح واندفاعهم لقضاء اجازاتهم تحت الشمس المكشوفة ، اتجهت دوائر التجميل ومصانع الأدوية إلى صنع مختلف المواد الواقية من أشعة الشمس . وهي ، حسب مفعولها ، نوعان : حواجز شمسية تعمل كمصفاة ، ونوع آخر يعمل كعائق أو سد شمسي .

والمواد الحاجزة للشمس تمتص جزءاً كبيراً من الأشعة فوق البنفسجية (ب) ، والبعض منها يمتص ، حسب التركيز ، جزءاً من الأشعة (أ) ، والفكرة الأساسية لهذا النوع من « الكريم » تعتمد على أنه بامتصاص للأشعة « ب » سيمنع عملية الاحتراق الشمسي والاحمرار ، وبسماحه بالنفاذ للأشعة (أ) سيؤدي إلى حدوث السمرة أو اللون البرونزي الجميل ، وبدون ضرر .

وتأخذ هذه « الكريمات » أسماء تجارية مختلفة ، إلا أن مكوناتها الكيميائية تنحصر في مواد معروفة محددة ، وغالباًما تكتب على العلبة أو الزجاجة . والجدول (١) ــ يبين هذه المواد ، وتركيزها وقدرتها على حماية الجلد . وكذلك نجد أرقاماً على هذه المستحضرات تصل حتى رقم ١٥ ، وهو ما تعترف بفاعليته غالبية المنظمات الصحية ومنها منظمة الأدوية والأغذية الأمريكية FDA وهذا الرقم هو عامل الحماية الشمسي SPF وهو نسبة التعرض المطلوبة لاحداث أقل درجه من الاحمرار في الجلد المحمي بالحاجز الشمسي ، مقارنة بأقل درجة من الاحمرار للجلد غير المحمي .وعامل الحماية الشمسي في بعض هذه المستحضرات أعلى مما هو مكتوب على العلبة ، وليس في ذلك ضرر .. انظر الجدول (٢) .

أما العائق أو السد الشمسي فهو نوع حديث من المستحضرات ، التي تمنع نفاذ الأشعة (أ) ، (ب) ، استحدثت بعد توفر المعلومات عن الأشعة وتأثيرها على مستوى أعمق من البشرة . وهي لاستعمال الأشخاص ذوي الحساسية من الشمس ، ولا تتحمل جلودهم أشعتها ، وهامة لبعض المرضى بالأمراض الجلدية ، وينصح الناس في الحالات العادية باستعمالها في الوجه ، وخاصة منطقة الأنف والخدود ، حيث رقة الجلد ، وتعرضهم الدائم للأشعة العمودية .

ومن أشهر هذه المواد الكيميائية المستعملة أكسيد الزنك ، ويباع في مستحضر باسم روك Roc . فقد تبين من الدراسات أن هذه المادة من أقوى المواد الواقية من أشعة الشمس ، وتمنع أي خلل في انتاج المادة البروتينية الوراثية . وكذلك استعمال ثاني أكسيد التتانيوم شائع ، وهناك مجموعات أخرى من المستحضرات في الأسواق ، وكل يدعي ميزات وصفات تفوق الآخر . كزيادة التلون أو سرعته أو جعل الجلد رطباً وناعم الملمس ، أو يعطي الوقاية الحقيقية من الشمس . وليس لهذه المستحضرات سند علمي ، ولا ينصح باستعمال أي منها خارج المواد المذكورة . أعلاه ، في الوقت الحاضر على الأقل .

وأود أن أضيف هذه المعلومات بالنسبة لمن سيقضون أجازاتهم على الشواطئ ويستعملون هذه المستحضرات :

• رقم العامل الشمسي مأخوذ من تجارب بالداخل ، ولذا فهو إذا استعمل في الخارج ، قلت حمايتة ربما بنسبة ٢٠ ــ ٣٠ بالمائة .

• العرق والنزول إلى الماء يؤثران على عامل الحماية ، إلا إذا كان بالمستحضر مواد أخرى لمقاومتهما . لذلك ينصح بأن يعمل حساب لذلك ، وخاصة بالنسبة للأطفال الذين يقضون يومهم في الدخول والخروج من البحر .

• بعض المستحضرات تزيد من حساسية الأفراد للأشعة ، ولذا يجب أن يكون « الكريم » المستعمل أكثر قوة ، للوقاية من الأشعة .

• يجب اختيار الكريم المناسب من الخبرة وعلى الذين يحترقون بسرعة البدء بالرقم ٧ أو ٨ وربما أكثر حسب حساسيتهم أما المبتدئون فيفضل ٥ أو ٦ ، والتعرض للشمس قليلاً قليلاً ، والذين يتلونون بسرعة ، يمكنهم استعمال الأرقام من ٢ إلى ٤ ، مع العلم بأن الكريم والسمرة لا يستطيعان حماية أنسجتهم من ضرر التعرض الدائم الطويل .

• من الأفضل وضع الكريم على الجلد الجاف قبل ١٥ ــ ٣٠ دقيقة من النزول إلى الماء ، وتكرار ذلك بعد النزول والخروج من الماء ، وهنا يفضل استعمال الأرقام المتوسطة وتكرارها ، بدلا من الاطمئنان إلى طبقة رقيقة من المستحضرات ذات الأرقام العالية .

• استعمال المستحضرات ذات الأرقام العالية ، وتكرارها ، في الجو الرطب والحار والمناطق العالية .

وهناك مستحضرات ما بعد الشمس ، التي تحتوي على ملطفات للجلد لمنع جفافه وتشققه ، وبعضها يقوم بتبريد وتحسين المناطق المحمرة من الجلد ، ولاضرر في استعمالها . أما إذا حدث الاحتراق وكان في الدرجات الأولى وفي مناطق صغيرة ، ودون فقاعات كثيرة ، فان هناك كثيراً من المستحضرات التي تباع بدون وصفة طبية أما إذا كان الحرق كبيراً ، فان استشارة الطبيب ضرورية .

أخيراً ظهرت شارة صغيرة على شكل شريط لقياس الأشعة فوق البنفسجية بنوعيها ، ويمكن إعادة استعمالها مرات عديدة ، وبذا يستطيع الانسان قياس قوة الاشعة ومدى التعرض لها . وقد تكون هذه الشارة ذات فائدة لبعض المصطافين ، ولكنها مهمة جداً للمصابين بالحساسية الضوئية والمرضى وذوي البشرة البيضاء الحساسة . وهي لاتتأثر بالحرارة والريح والرطوبة .

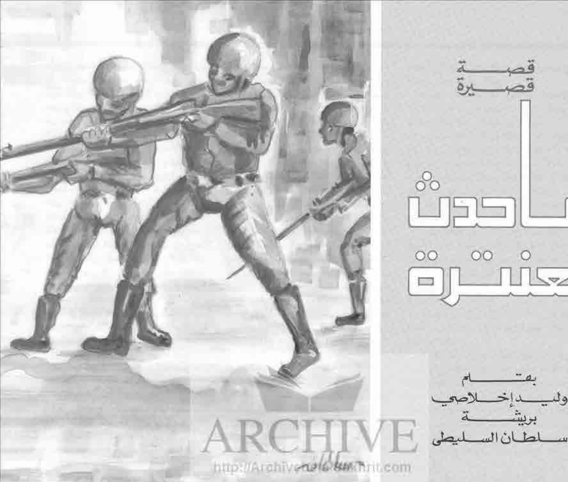
الشمس نعمة وذات فوائد جمة ، إن أحسن استعمالها ، فمنها يصنع الجلد فيتامين « د » الذي يلعب دوراً في تقوية عظامنا ، وهي تقضي على الميكروبات على سطح جلودنا ، ونستعمل أشعتها طبيعياً أو صناعياً في علاج مجموعة من الأمراض الجلدية . لكن الشمس نقمة عندما يساء استعمالها . فالزيادات الواضحة لمرضى سرطان الجلد في العالم ، والمشاكل الجلدية الأخرى ، والأضرار التي تحدثها حتى على مستوى التفاعلات البيوكيميائية في الخلية ، يدعو السلطات الصحية إلى البحث عن وسائل متعددة للوقاية منها . إلا أن الحل الأمثل والطريق الأسلم هو في حسن استعمالها ، والاعتدال في ذلك .

عبد الله الباكر

قصة قصيرة

ما حدث لعنترة

بقلم وليد إخلاصي
بريشة سلطان السليطي



وهكذ كانت حصيلة اليوم قاسية . أن تخسر وتعيش لحظاتك مرتعشاً خوف عقاب .

كنت أعلم أن عقابي سيكون قاسياً لا ينسى . بعد أن تمزق القميص الملون ، وكنت قد استعرته دون إذن من خزانة أخي الكبير التي اكتشفت فيها صوراً لنساء مختلفات لصقت بعناية على الخشب ، وليس فيهن واحدة تشبه صبية من الأقارب أو الجيران ، ولكني لم أشغل فكري في البحث عن حقيقة تلك الصور كفضولي يقع على سر بين ملابس قديمة ليس فيها سوى ذلك القميص الجديد الذي وقر في ذهني أنه سيمنح منظري قوة ، فجاء فضفاضاً على جسدي ، ومنحني راحة وحرية في الحركة . وخيل إلي أنني سأثير حسد أولاد حارة (العينين) ، وهم الفقراء الذين كانوا ينظرون أصلا إلى البنطلون بريبة . فكيف بذلك القميص الملون ! إلا أن الأمور لم تكن لتجري كما توقعت .

وجاءت الصفعة التي تلقيتها على قفاي ، أهون من آثار الأظافر الطويلة التي خلفها الصراع الدامي على ذراعي . وفاجأني أخي بعد عودته من مباراة كرة القدم ظافراً ، وقد علم بكل ما جرى لي ، بقوله : « وهل انتقمت من الوحش ؟ » فلم أجب بكلمة . بل ظل رأسي مطرقاً إلى الأرض أتحاشى نظراته المتفجرة بالغضب .

كنت قد أخفيت نتوي . وبعد عودتي متسللاً إلى الدار ، القميص الممزق في عقر سلة الغسيل . وعندما علم أخي ما حل بقميصه ، الذي كنت أعلم أنه يحتفظ به لمناسبات عاطفية أخفى عن الجميع أسرارها وتفاصيلها . لوح بيده في وجهي مهدداً :

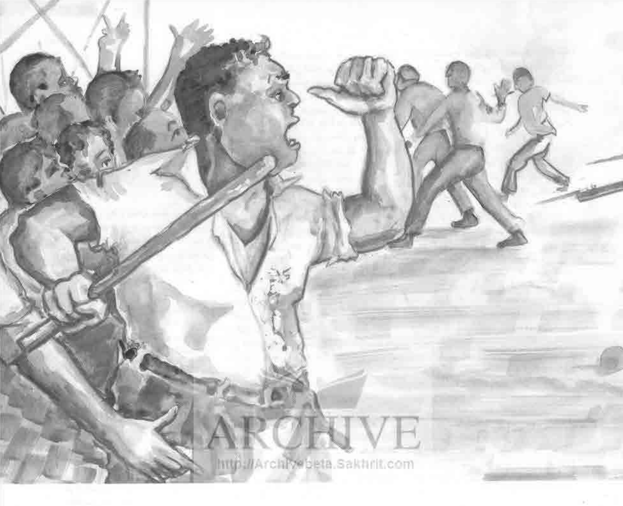
« أيها الجبان ، وتتركه يمزق ذراعك ولا تفعل أي شيء ؟ »

ومع أن غضبه كان حاسماً ، إلا أنه أخرج القميص من السلة ولوح به ثم رماه باستعلاء دون ان يشفق عليه بنظرة ، بل ظل يحدجني بنظرات غاضبة ويتمتم :

« يتغلب عليك .. ولا ترد له الأذى .. »

فأحسست أني أحبه في تلك اللحظات أكثر . وبالرغم من أن أخي كان يلعب دور الأب في توجيهاته الصارمة ومراقبته الدائبة لدراستي وسلوكي ، إلا أنه لم يبخل علي مرة بالمال الذي كان يكسب شيئاً منه بالعمل كميكانيكي إلى جانب دراسته ، فيدعم ميزانية العائلة التي تدهورت مع اشتداد الغلاء في أيام الحرب . وأقسمت أن أنتقم لنفسي ولقميص أخي الملون .

كانت المعركة غير متكافئة . ولكني خرجت منها بأخف الأضرار . وبالرغم من أن (عنتر) كان في الرابعة عشرة من عمره ، ويماثلني تقريباً في السن . إلا أنه كان يختزن في جسده ما لا يقل عن السبعين كيلوغرام لحماً وشحماً وغلظة . وبينما يتكور ثدياه تحت القميص القطني الملتصق أبداً بالعرق الذي ينضح به جسده فيبدو كصبية مسترجلة بليدة ، فإن بشرته السمراء التي تميل إلى الدكنة أعطت عينيه المحمرتين برقاً يلهب الذعر في النفوس . كانت ابتسامة عنتر التي لا تفارقه وهو يمضغ أي شيء يقع عليه ، تثير غيظ الكبار والصغار ، ولكن أحداً لم يجرؤ على الدخول في معركة معه . فبات سيد الحي دون منازع يجول فيه ويصول ، ويتقي شره الناس . فإذا مد يده إلى حمولة حمار ليأخذ خيارة مثلاً فإن صاحب الحمار كان يقول له : بالشفا يا عنتر . ومثل ذلك التنازل



للفتى لم يخطر ببالي . فكانت المعركة .

كنت صغير الحجم . ولكن خفة وزني ساعدتني على الحركة كقط . فكان عنتر يصرخ كالهمجي غاضباً اذ لا يستطيع أن يمسك بي . وهكذا صدق من لقبني بـ (الكل) (١) . كان أول من أطلق علي هذا اللقب اثنان من رفاق أخي وهما يتقاذفانني بين سواعدهما الرياضية ككرة صغيرة تشبه (الدحل) الزجاجي الذي أغرمت باللعب به . وكنت الأمهر في تصويبه حتى بت بطلاً في لعبة الدحل في حي العينين . وفي بداية المعركة كنت أقذف بنفسي في كل اتجاه . فلا تنالني أصابع عنتر الذي فرض لقبه على صبيان الحارات المجاورة أيضاً . فنسي الناس اسمه الحقيقي .

ويبدو أن قوته الهائلة ساعدته على فرض الأتاوات . فما ترك طفلاً أو صبياً يمر في مملكته إلا وجرده من قروشه أو من الحلوى التي يحملها بيده أو يحتفظ بها في جيبه وربما في فمه . فينتزعها عنتر بسبابته التي تصبح كالكلابة الحديدية وهي تمتد في الفم المفزوع . واذ يحصل عنتر على الغنيمة ينظر إليها بفرح وحشي ويقهقه كالجني يقول :

« من فم لفم تموت الأم » .

وكان هذا المثل السائر . بمثابة تحذير لنا من عدوى الأمراض التي كانت في تلك الأيام تستفحل . بينما الدواء عزيز ..

ونظرت أمي في وجهي متفحصة بعتبها الصامت أبداً . وهي تداوي جروحي بالمرهم الأسود الذي لم ينقطع يوماً عن دارنا التي تعج بالأولاد . الذين شقوا الأرض وخرجوا منها كالجان . كما تصفنا بذلك جدتي التي أقامت بيننا بعد ترملها فكان والدي الموظف يشعرها دوماً أنها جزء من العائلة وأنها لا تشكل عبئاً عليه بالرغم من قسوة الحياة . وقالت جدتي وهي تصغي باحترام العارف إلى نشرة أخبار إذاعة كانت محرمة آنذاك على أهل البلد ، وتهز برأسها لأقوال المذيع وهو يعلق على أخبار الحركة الوطنية الملتهبة . تؤيده وتتمتم :

« منصورين بإذن الله »

ثم إلي بتأنيب :

« يلزمكم ممرضة لا أم »

ثم بحنان المستضعف وهي تبتسم لأمي تخفض صوت المذياع . خوفاً من جارنا الذي طالما سمعنا أنه يتعاون مع الفرنسيين المستعمرين :

« ارحموا اباكم الموظف . فهو لا يقدر على شراء قميص جديد كل يوم »

آنذاك تدحرجت دمعتان من عيني . فصاحت بي أمي وقد استبد بها العطف :

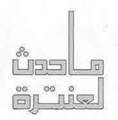
« ما أرقك يا ولدي . تفكر دوماً بحالة والدك »

وفي الحقيقة . كنت أكابد ألم الأظافر التي انغرست في لحمي ولم أستطع أن أفعل مثلها في خصمي .

في البداية . صاح عنتر بي وأنا أمر في الزقاق الضيق متجهاً إلى التل الترابي حيث يتجمع الأولاد حول لعبة الدحل . كنت أظن أن قميصي يحميني من تحرش عنتر الذي لم أكن قد حادثته أو جابهته من قبل . فلم أعر صياحه أي اهتمام . ولكنه هتف حانقاً :

« انت يا ولد .. صاحب القميص الفرنساوي »

آنذاك بانت الاهانة مباشرة . وما عاد الأمر بحاجة إلى تجاهل . فغلى الدم في رأسي . فرشقت المعتدي ببصقة استقرت بين قدميه فلبث صامتاً في



ذهول لم يطل ، وكأنه يجابه تحدياً لم يألفه من قبل ، إلا أن شفته السفلى تدلت فظهر نابان يلمعان في ضوء الشمس القوي وساهما مع ابتسامة بلهاء في تقويض الشجاعة التي أظهرتها في ردي الفاجئ على اهانته ، ولكني تماسكت بالرغم من كل شيء أراقب ما يمكن أن يحدث .

في لحظات ، خلتها وكأنها دبابة عدوة انطلقت فجأة ، اقترب عنتر خطوة واحدة ثم توقف .كان الأولاد من خلفه تتطاير من عيونهم شفقة علي أو ربما شماتة من الولد الجديد على الحارة ، أو أنهم وجدوا في شجاعة لم يألفوها من قبل ، فازددت تماسكاً . انذاك صاح عنتر بصوت فولاذي يثير الفزع :

« عنتر يأمر .. عنتر يطاع »

وكان رد فعلي أسرع من تفكيري ، فهتفت وقد بات الموقف واضحاً فهو قادر على التهامي دون ريب :

« أنا لا أخافك »

ثم أردفت وقد تقدمت منه خطوة واحدة :

« وقميصي ليس فرنساوياً »

ولم يكن هناك من كلام آخر قاله الوحش . كانت يده هي التي تتكلم ، فقد طارت كفه الثقيلة في الهواء لتهوي علي ، فتفاديته متراجعاً ، وكانت المعركة .

كنت مطارداً ، ولكن خطواتي السريعة انقذتني في البداية من براثنه . وكنت كلما تخلصت من قبضته التي تحاول الامساك بي ، ازداد هياجاً تضعفه شتائمه التي تخرج من فمه المزبد

« يا ابن الحرام »

فلا أجيب بكلمة ، وأراقب إفلاتي منه .

« يا مقلد الكفرة »

وهكذا كان القميص الملون مثار نقمته ، فلم يسلم من أظافره التي أمسكت بي أخيراً ، كما أن ذراعي التي سال منها الدم وضعت حداً للمعركة الوحشية ، اذ يوقفها شيخ معمم فصل بيننا وكان خارجاً من المسجد فقادني من يدي إلى مخرج الحارة ، لأركض لا ألوي على شيء وقد استبدت بي رغبة الانتقام التي كانت تتزايد لحظة فلحظة .

كانت أيام الحرب قاسية ، فلم أسمح لنفسي بمزيد من الطعام التي قننته أمي ، وكنت أتصور أني بوزن أكبر أستطيع كسب الجولة الثانية ، وهكذا فكرت في حمل الاثقال لاكتساب القوة ، ولكن أخي اكتشف تدريباتي التي أتابعها على السطح ، فمنعني من ذلك خوفاً على قامتي من أن تظل قصيرة ، وشد على كتفي بحنان وهو يقول :

« لا بأس من أن تكون أضعف من خصمك ، ولكن عليك أن تكون أكثر ذكاء منه ، لتربح »

وكانت عيناي تتساءلان بصمت « كيف .. كيف ؟ » ، فهمس أخي وهو يغادرني إلى عمله الليلي :

« العقل أقوى نقطة في الانسان » .

علمت بعد ذلك أن الفتى عنتر يعيش مع أمه في غرفة من غرف خان قديم تحول جزء منه إلى اسطبل للحيوانات ، واحتلت البقية منه أسر معدمة ، احتمت بجدران الخان المتشققة . لم يعرف أحد من كان والد عنتر ، فتوقد ذهني عن فكرة أن أمه التي كانت تخدم في بيوت الضباط الفرنسيين قد حملت من جندي افريقي من الذين رافقوا أولئك الضباط ، واشتهروا باغتصابهم للنساء في لحظات السكر الشديد . وهكذا بت على يقين من أن الفتى الشرير عنتر ما هو إلا ابن حرام ، وأن في عروقه تجري دماء الأعداء . وقررت أن أرمي بالتهمة المشينة في وجهه لحظة نلتقي من جديد ، وسنرى كيف سيتألب عليه الآخرون . وكنت أردد لنفسي دوماً

« سأرى كيف يجرؤ هذا الوحش الضاري أن يكشر عن أنيابه في وجهي بعد اليوم » .

وبات الحديث عن عنتر وأصله المشكوك به ، قضية أكررها طالما استطعت ذلك ، في المدرسة وفي الحي . وفي الدار قالت أمي وهي تعيد حياكة صوف قديم على أسياخها التي دفأتنا في السنين الماضية :

« حرام يا ولدي اتهام الناس في أنسابهم أو أعراضهم »

فهتفت ببسالة ، وقد بات نسب عنتر أمراً مسلماً به :

« لو رأيت لون بشرته وسلوكه الحيواني ، لقلت معي انه ابن حرام حقاً ، وإن والده من جنوب افريقيا دون شك »

وقررت باصرار :

« هو عدو لنا » .

فكررت أمي تحذيرها فيما تتبادل النظرات مع جدتي التي كانت تصغي الينا دون تعليق . ثم توقف الحوار تماماً عندما دخل والدي ليعلن بفرح مكبوت :

« لقد ابتدأت المدينة تتحرك ، والمظاهرات تتجمع في كل مكان »

وبالرغم من تعليمات أمي في أن نعود من المدرسة حالما تسود الفوضى ، فنحن صغار على المشاركة في أي تظاهرة تقوم ضد الجنود المسلحين كما ألمحت دوماً ، فقد كانت المظاهرة التي انطلقت من مدرسة (السلطاني) عارمة ، اختلط فيها الطلاب الصغار بالكبار برجال وأولاد من أحياء بعيدة جعلوا يرددون الهتاف ضد الفرنسيين ، ويلوحون بالسكاكين والعصي يطالبون بالحرية والاستقلال ، وكنت آنذاك أنسى تماماً معنى أن يعصى الصبي أمه .

كانت المدينة شبه مقفلة ، فانهالت حجارة المتظاهرين على الدكاكين التي لم تلتزم بنداء الاضراب العام ، فتطاير الزجاج وتساقطت اللافتات ، ولعلع الرصاص الذي خرج علينا فجأة من خلف الجسر ، ثم بات يأتينا من كل جهة ، فتشتت شمل المتظاهرين وهرعوا إلى الاختباء في مدخل عمارة أو خلف سيارة متوقفة ، أو أنهم ارتموا على وجوههم يتفادون الرصاص الذي بات يصوب مباشرة على الناس .

وكانت المفاجأة التي أوقفتني عن الهرب فلبثت ساكناً لا أصدق ما تراه عيناي وأنا أشاهد بهما الفتى الشرير عنتر وهو يتقدم مع عدد قليل من الرجال من صف من الجنود الذين كانوا يصوبون الرصاص في كل اتجاه ، عنتر نفسه يتقدم وقد تمزق قميصه ليكشف عن صدره وهو يصرخ « يسقط .. يسقط » .

تراجعت جموع المتظاهرين ، ولم يبق في الساحة سوى ثلاثة يقودهم عنتر الذي سقطت العصا من يده وقد اصطبغ صدره الأسمر بالدم المتفجر ، ولكنه ظل هائجا كالثور يركض نحو مجموعة من الجنود الذين كانوا من الأفارقة السود تلمع وجوههم وأسنانهم في وهج الشمس ، حتى تعثرت قدماه فانكفأ على وجهه وسقط كتلة واحدة على الأرض لا تتحرك . آنذاك أحسست بالخطر ، فارتميت على وجهي أخفيه في التراب ، ولم أكن في تلك اللحظات لأميز بين الأسى الذي دمعت به عيناي ، إن كان حزناً على الفتى الذي بقر صدره رصاص (الدمدم) ، أم أنه الندم .

وقد ظل مثل هذا الشعور المختلط ملازماً لي عمراً ، لا أعرف كيف يمكن له أن يكون واضحاً . وإذ أزور الخان القديم بعد سنين طويلة لأغراض سياحية ، كان الفضول يدفعني للتعرف على المكان الذي كان وطناً للحيوانات والمعدمين ، ومن المؤسف حقاً أني لم أستطع أن أعثر على أحد من بين سكانه الجدد الذين ما زال الفقر صديقاً لهم في الأمسيات ، يمكن له أن يتعرف على فتى قوي كان اسمه عنتره .

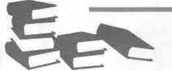
ولقد علمت بعد ذلك أن مشاعري ستظل لا تميز الحزن من الندم في أمور كثيرة ..

وليد اخلاصي

حلب

هامش : ____________

(١) الكل : تلفظ الكاف كالجيم المصرية وهو الكرة الزجاجية التي يلعب بها الاطفال .



بقلم : الدكتور محمد البهي

الحق

• مفهوم : « الحق » ـ حسبما ورد استعماله في كثير من آيات القرآن الكريم ـ يراد به : ما ينبغي ، ويجب أن يتحقق ، ويجب أن يكون في واقع الأمر . لأنه في وقوعه ترتبط به مصلحة عامة .

فاذا أطلق على نفسه : الحق ، في قول الله تعالى : « فذلكم الله ، ربكم الحق » (يونس : ٣١) : فإنه يقصد بالحق في وصفه سبحانه ما ينبغي ويجب أن يتحقق من ربوبيته وحده . وإذا استطردت الآية فذكرت : « فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ » فانها تعني : ليس هناك : بعد ما ينبغي أن يتحقق من ربوبية الله وحده .. إلا الضلال . وهو ما لا ينبغي أن يكون ويتحقق من ربوبية موجود آخر عداه .

وكذلك ـ في مجال إقامة الحجة على المشركين الماديين ـ إذ قال القرآن مستفهماً على سبيل الانكار : « هل من شركائكم من يهدي إلى الحق » (يونس : ٣٥) .. فالمعنى : من يهدي الى ما ينبغي أن يتحقق ، من صراط سوى في السلوك ، ودليل صدق على الاعتقاد . ثم إذا جاء أثر هذا الاستفهام الانكاري الذي يتضمن نفي : أن يكون أحد من الشركاء لله على استطاعة : من هداية من يعبده .. قوله تعالى : « قل الله يهدي إلى الحق » ..

فالمقصود أمر الرسول عليه الصلاة والسلام ، أن يعلن : أن الله وحده ـ دون الشركاء له والأنداد التي يعتقد فيها المعارضون ـ هو الذي يملك الهداية لعباده . والنتيجة الآن بعد إعلان : أن الشركاء الذين يتوجه اليهم بالعبادة أولئكم المعارضون الماديون .. لا يستطيعون هداية من يعبدونهم ، وبعد الاعلان كذلك : أن الله وحده هو الذي يملك الهداية لمن يعبده .. النتيجة هي : أن الذي يملك الهداية ينبغي أن تتحقق العبادة له ، دون ما سواه ممن لا يقدر عليها ، وهو أولى بأن يتبع من غيره . وقد عبرت آية أخرى عن هذه النتيجة بقوله تعالى : « أفمن يهدي إلى الحق (أي إلى ما ينبغي من الهداية) أحق أن يتبع ، أم من لا يهدي (أي لا يملك بذاته الهداية) إلا أن يهدي (أي يهدي من غيره) ؟ وهذا استفهام أريد به إثبات التبعية لمن يملك الهداية ، ونفيها عمن ليست باستطاعته وفي مقدوره .

فكلمة : « الحق » في هذه الآيات ـ وأمثالها كثير ـ تعطي أن المعنى منها : هو ما ينبغي أن يقع ويتحقق . وتترتب على وقوعه وتحققه مصلحة عامة . والمصلحة العامة التي تترتب هنا على وصف الله لنفسه بالحق ، في قوله : « فذلكم الله ربكم الحق » .. هي أن قصر العبادة على الله وحده الذي ينبغي أن تتحقق ربوبيته ، دون غيره ممن يدعي : أنهم أنداد له .. يحفظ على الناس كراماتهم ، فلا يذلون لمخلوق : كائن من كان ـ فضلاً عن أن يذلوا لما هو دون الإنسان ـ في العبادة والطاعة . والإنسان بإنسانيته لا يوجد على هذه الأرض ليأكل ، وينسل ، كما هو شأن الحيوان : وإنما وجد ليؤمن بكرامته التي تتمثل في الايمان بالله وحده ، وليدافع عن هذه الكرامة في مواجهة محاولة غيره .. استعباده ، وجعله تابعاً طيعاً لظله .

وهذه هي عينها ، المصلحة العامة التي تتوخى من التعبير بالحق ـ بمعنى ما ينبغي أن يتحقق ـ في الآيات الأخرى هنا التي تقصر إمكان الهداية للبشر على الله وحده ، دون ما يدعى له من أنداد . وهى قوله تعالى : « قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل : الله يهدي إلى الحق . أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي الا أن يهدي ؟ ـ هذه المصلحة العامة التي تترتب على وقوع مايجب هنا أن يقع ، وعلى تحقق ما ينبغي أن يتحقق : من التبعية والعبادة لله وحده ، دون الشركاء والأنداد تكمن في محافظة الناس على مستواهم الانساني ، وعلى تميزهم في الخلق عما سواهم . ذلك التمييز الذي يتمثل في عقل : الانسان ، وقلبه ، وعبادة الأصنام ، وعبادة ما دون الله في أية صورة تعبر عن سخرية بالعقل ، والقلب في الانسان العابد لما سواه جل جلاله .

• ومع بقاء مفهوم « الحق » في القرآن على معنى : ما ينبغي ويجب أن يتحقق فقد يقصد به ، وبما ينبغي أن يتحقق .. القرآن نفسه خاصة . كما جاء في قوله تعالى : « ولما جاءهم الحق (أي ما ينبغي أن يتحقق كسبيل للهداية وهو القرآن) قالوا : هذا سحر وإنا به كافرون . وقالوا : لولا (أي هلا) أنزل هذا القرآن (وهو الحق في قوله : ولما جاءهم الحق) على رجل من القريتين (مكة ـ والطائف) عظيم (الزخرف : ٣٠ : ٣١) وكما ذكر أيضاً في قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم ، أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق (وهو القرآن) (الممتحنة) .

فما جاء في الموضعين هنا ، من : إنكار المنكرين لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولما نزل عليه من وحي .. يوجه : أن المعنى .. بالحق هو القرآن ولكن مع استصحاب المعنى الأصيل للحق ، وهو : ما ينبغي أن يتحقق ويجب أن يقع لا ما سواه .

رسم توضيحي لانتقال عناصر الوراثة من الأبوين

التركيب الداخلي للخلية الحيوانية .



وراثة النبوغ وتحسين النسل

عالم الغد لامكان فيه إلا للأذكياء والأقوياء

بقلم : الدكتور عزالدين فراج

أثبتت المشاهدات والاحصاءات أن للوراثة تأثيراً لاريب فيه على النسل . وليست هذه الحقيقة قاصرة على بنى الانسان فحسب بل تسرى أيضاً على فصائل الحيوانات والنباتات . والدليل على ذلك أن الاخصائيين فى تربية الحيوانات وزراعة النباتات فى جميع أنحاء العالم توصلوا الى تنويع أشكال بعض الحيوانات وتغيير بعض طبائعها بواسطة تنويع الأصول التى يتفرع منها .



جورج واشنطن

■ الوراثة لها تأثير كبير في حياة السياسيين العظماء ومشاهير الفنانين

■ الزواج من الأقارب يؤدي إلى إضعاف النسل

■ قوة الأمة ليست في كثرة العدد، بل في إنتشار الصحة والعافية بين الأفراد

وكذلك ترى المزارعين وعلماء النباتات يستنبطون من وقت لآخر أنواعاً جديدة من الفواكه والزهور والاقطان والبذور وما إليها بتلقيح بعض الأنواع بأنواع أخرى بطرق فنية يصلون إليها بعد تجارب كثيرة. ومن السهل الاطلاع على نتائج تجاربهم المدهشة مما يعرضونه فى شتى البلاد من معارض محلية أو دولية. ولا يزال الاخصائيون فى جميع تلك الفروع يعملون على توسيع دائرة مباحثهم المرتكزة على قواعد علمية وتجارب عملية تثير الاعجاب فضلا عن نتائجها الاقتصادية فى زيادة الانتاج وتحسين أنواعه.

فاذا علمنا ذلك سهل علينا فهم تأثير الوراثة على الجنين من بنى الانسان ووجوب وقاية النسل البشرى من شرور الأمراض التى يمكن أن تنتقل من آباء وأمهات مصابين بها الى أولادهم الأبرياء بطريق الوراثة فيولد الطفل ضعيفاً ملوثاً بأمراض لاذنب له فيها ولسان حاله يقول: «هذا جناه أبي علي وما جنيت على أحد»، ومن أشد الأمراض خطراً وأسهلها انتقالا من الآباء الى نسلهم أمراض الزهرى والتدرن، خصوصاً بعد ميلاد الأطفال ووجودهم فى بيئة ملوثة بجراثيم المرض، والأمراض العقلية اذا كان أحد الوالدين مصاباً بمرض منها أو كان من المدمنين على المسكرات والمخدرات.

ونظراً للكارثة الفادحة التى تصيب الأمة مادياً ومعنوياً بسبب كثرة عدد الأطفال المصابين بأمراض وعاهات غير قابلة للشفاء من طريق الوراثة عن آبائهم أو أمهاتهم اهتم أولو الأمر وقادة الرأى فى الأمم المتمدينة بدراسة الطرق الواجب اتخاذها لوقاية الأبناء من الأمراض الوراثية.

وراثة النبوغ والعبقرية

قامت جمعية اليوجينا للمباحث، فى أمريكا بالبحث فى حياة عدد من العظماء، وعلى الخصوص أولئك الذين برزوا فى تاريخ أمريكا وغيرها فخرجت من مباحثها بتأكيد تأثير الوراثة فى حياة العظماء.

وفى مقدمة الذين استقصت تلك الجمعية أنباء أسلافه الرئيس ابراهام لينكولن بطل الحرب الأهلية الأمريكية. وثبت لتلك الجمعية أن كلا من والدى لينكولن انحدر عن أسرة ذات همة واقدام.

وقد بحثت الجمعية أيضاً فى حياة «بنيامين دزرائيلى» السياسى الذى بلغ القمة فى انجلترا وقاد دفتها مدة من الزمن اذ شغل منصب رئيس الوزراء مرتين وقد اتضح للجمعية ان دزرائيلى كان وهو لا يزال غلاماً صغيراً قوى الارادة مجازفاً ولما بلغ مرحلة الشباب صار يميل الى حسن الهندام وقد فقد فى شبابه مالا كثيراً فى المضاربة وكان منذ صغره قوى البديهة طلق اللسان يخشاه الجميع فى المناقشة وكان أبوه أديباً معروفاً وقد اشتهر بنشاطه وثرثرته، أما والدته فكانت قارصة النكتة قاسية التهكم ذات عقل راجح تقدر الأمور حق قدرها.

ولما أرادت تلك الجمعية الأمريكية البحث فى أسلاف نابليون بونابرت لتتبين أثر الوراثة فى عظمته واجهتها الصعوبة التى لقيها الباحثون فى هذا الموضوع قبلها، فان أسلاف نابليون الأولين ليسوا معروفين وانما جاء نابليون من صلب أسرة فقيرة فى جزيرة كورسيكا بيد أن الباحثين يؤكدون أنه لابد من أن أحد اسلاف نابليون كان جندياً مجازفاً أو قاطع طريق أو غير ذلك، مما يستدعى الحركة والمجازفة وشدة العزيمة، وإلا لما جاء نابليون وله هذه الصفات التى كونت بطولته.

أما تيودور روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الذى يمجد الأمريكيون ذكراه فإن أسلافه معروفون وقد اشتهروا بالهمة والاقدام وكانوا زعماء فى عالم الأعمال الحرة بمدينة نيويورك وكذلك كانت والدة روزفلت ــ واسمها مارتا بلوك ــ من أسرة عرفت فى ولاية جورجيا بالنشاط والهمة وبرزت فى الحياة العامة.

وكذلك جورج واشنطون الزعيم الأمريكى الأكبر انحدر عن أسرة اشتهرت بالبسالة الفائقة، وكان أسلافه من الانجليز الذين استعمروا أمريكا وجازفوا بأنفسهم فى محاربة قبائل الهنود الحمر ومكافحة أنواع المخاطر التى كانت تصادف أولئك المستعمرين الأولين. وسيمون بوليفار بطل أمريكا الجنوبية الذى حررها من نير أسبانيا جاء من أسرة أسبانية تماثل أسرة واشنطون فى المخاطرة والاقدام، وأوليفر كرومويل البطل الانجليزى المعروف اشتهر اسلافه من اشراف الانجليز بالشجاعة وكانوا بارزين فى انجلترا ــ وان عرفوا فى الوقت نفسه بالتبذير.

وليس تأثير الوراثة بقاصر على الساسة العظماء وحدهم بل يبدو أيضاً فى مشاهير الفنانين، فمنهم مثلا الموسيقى الالمانى يوهان سباستيان باخ قد جاء من أسرة كثر فيها النابغون فى الموسيقى. وقد يظهر تأثير الوراثة أيضاً فى عالم التجارة والصناعة فينشأ تاجراً أو بارعاً فى الصناعة بالسليقة تبعاً لأبيه وجده.

والتاريخ العربى حافل بمثل هذه الشواهد الدالة على أن العبقرية تورث ولولا دخول دم غريب فى الأسرة لما كان هناك ما يدعو الى انقراضها.

فقد كان أبو سفيان من سادة العرب المعدودين فظهر ابنه معاوية وساد فى الإسلام. وكان معاوية ينزع الى الأدب، وله شعر مثبت فى الكتب فكان ابنه يزيد شاعراً، وكان الوليد بن يزيد شاعراً آخر. وانقرضت الدولة الأموية ولكن بقى النبوغ الأدبى ظاهراً فيها، فان كتاب الأغانى وهو أكبر الآثار الأدبية للعرب قد وضعه أبو الفرج الاصفهانى وهو من نسل معاوية.

وكانت أسرة المهلب مشهورة بالنجدة والشجاعة تناوىء الخلفاء أحياناً وأحياناً أخرى كانت تمدهم بالقواد العظام من أفرادها لكسر شوكة الخارجين عليها وقد عاشت دهراً طويلا برث أفرادها هذه النزعة حتى أفسدها التسرى وهجن دمها .

وربما كان أهم مثل على وراثة العبقرية أسرة امرىء القيس . فمنها هذا الملك الضليل صاحب « قفانبك » ومنها عدى بن زيد صاحب « ابلغ النعمان عنى مالكا » ومنها الأسود بن يعفر ، ومنها سلامة بن جندل ، ومنها كليب والمهلهل وعمرو بن كلثوم .

ومما يدل على أن العبقرية كانت كثيراً ما تأتى عن طريق الوراثة لا عن طريق الاكتساب ما ذكره الجاحظ عن بعض أدباء الفرس الذين بزوا أقرانهم فى الأدب الفارسى ثم ظهر منهم من امتاز أيضاً فى الأدب العربى بحكم ذلك العرق الذى كان ينزع بهم الى الأدب .

نابليون بونابرت

هل الأمراض العقلية وراثية ؟

قام الدكتور بنروز بدراسة علمية وافية عن الأمراض العقلية ففحص حالات ١٢٨٠ مريضاً فى معهد علمى أنشىء خصيصاً لهذا المرض فى « جلوشستر » ولم يقتصر على فحص المرضى وحدهم ، بل فحص كذلك حالات أكثر من ٢١ ألف شخص من أقاربهم ، لكى يكون رأيه قاطعاً ، ولكى يكون العلاج قائما على أساس علمى ثابت ، فتوصل إلى النتائج التالية :

١) يحدث المرض العقلى من اصابة الطفل بضرر ما نتيجة صدمة أو وقوع أو من ضربة على رأسه ويمكن تلافى ذلك بالعناية التامة بالاطفال .

٢) ينشأ المرض من اصابة الطفل بالزهرى قبل ولادته ، ويمكن تلافى ذلك بمعالجة الأم المصابة بهذا الداء الوبيل ، ومنعها من الحمل قبل أن تشفى تماماً .

٣) وينشأ المرض كذلك من بعض أمراض الطفولة كالتهاب السحايا (غشاء المخ والحبل الشوكى) ويمكن معالجة ذلك بتوفير الغذاء الصحى لهم وبخلاصة افراز الغدة الدرقية . وبذلك يمكن شفاء الآف الحالات ويصبح المرضى أصحاء قادرين على أن يتعلموا القراءة والكتابة والحرف التى تلائمهم ويتحولوا الى أفراد نافعين للمجتمع .

٤) شدة الانفعال النفسانى وغرابته منذ الطفولة وشفاؤهم سهل بطرق علم النفس .

٥) توجد فئة كبيرة مصابة بنوع غريب من البله وهذا راجع الى حالات خاصة قبل الولادة ، وهذا المرض يصيب على الأخص أولاد الأمهات اللاتى يلدن فى سن الأربعين أو بعدها نتيجة الأحوال الاقتصادية التى أخرت سن زواجهن — فالزواج المتأخر — وهذا رأى جديد — يسبب شقاء الأسرة بانتاج نسل ضعيف مصاب بأمراض عقلية .

٦) تحدث اصابات بأمراض عقلية فى دور الشباب أو الرجولة نتيجة قلة افراز بعض الغدد المتصلة بالمخ .

هذه الحالات كانت سبب مرض ربع الأشخاص الذين فحصهم الدكتور بنروز ، أما الباقون فثمانية فى المائة منهم ورثوا النقص العقلى عن أحد الأبوين مباشرة ، والآخرون ورثوا المرض عن غير الآباء المباشرين ، وفى حالات قليلة نشأ المرض من زواج الأقارب ، ولهذا يرى الدكتور بنروز عدم تشجيع مثل هذا الزواج .

وكانت النتيجة المترتبة على هذه الابحاث أن اشتدت الدعوة الى تعقيم كل شخص مصاب بأى مرض عقلى لتنقية الأجيال المقبلة من هذه الحالات .

علم تحسين النسل

ومن أربعة عشر قرناً من الزمان يقول الحديث الشريف « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس » أى يجب على كل رجل أن ينظر الى المرأة التى يرغب فى تزوجها هل هى كفيلة أن تعقب عقباً حسناً أم غير كفيلة بذلك . وهذا هو ما يسمى فى العصر الحديث بالنظر البيوجنى أى جعل الانسان الحسن من أهم الأهداف التى يوجه إليها الزواج .

وقد شاعت لفظة « اليوجنية » قبل نحو ثمانين سنة ، وكان واضعها ومذيعها السير فرنسيس جالتون أحد العلماء الانجليز والمقصود من هذه اللفظة علم يراه بدراسته تحسين النسل حتى يخلو من الشوائب والعيوب الموروثة . وألفت الكتب وأسست المجلات لدراسة هذا الموضوع وتأسست الجمعيات للدعوة إليه والعناية بما يثبت فروضه ونظرياته .

واذا تقرر هذا وجب أن نقر بأن « اليوجنية » علم صحيح يحتاج الى البحث وتدوين الحقائق الخاصة بوراثة الصفات والكفايات وأن الزواج كما يقول جوليان هكسلى من المسائل التى يجب أن يكون من حق الحكومة أن تتدخل فيها . فكلنا نعرف الآن أن من حق كل إنسان أن يكون له أبوان يزودانه بجسم وعقل سليمين ، كما يقول الانجليز ، ولما كانت الحكومة الوصية على الصغار فعليها أن تختار لهم آباء قد استوفوا شروط السلامة والصحة بأن تمنع على الأقل كل زواج يكون فيه أحد الأبوين مصاباً بعاهة تورث فى الأبناء .

وهذه هى اليوجنية السلبية القائمة على ترقية الشعب بمنع العناصر السيئة من أن تتلوث بها الأجيال القادمة . وقد شرعت جملة حكومات تشريعات عدة لتحقيق هذه الغاية منع بها زواج سيؤخر « اليوجنيه » ويصد الجمهور عنها ويجعل القائلين بها عرضة للنقد والتقريع ويميل كثير من اليوجنين الآن الى تحقيق أغراضهم عن طريق الرأى العام بنشر المعارف الخاصة بالوراثة والزواج .

وافتتح جالتون هذا البحث بكتابه المشهور « العبقرية الوراثية » وقد تحرى فيه ذكر الأسر التى أنجبت أكبر عدد من العبقريين لكى يثبت أن كثيراً من الصفات الحسنة — مثل كثير من الصفات السيئة — تورث ، وأننا يجب لهذا السبب أن



تيودور روزفلت



ابراهام لنكولن

● هل من حق الحكومات منع زواج المرضى والضعفاء ؟

● العلمـــاء يبــذلون جهـوداً واســعة لتنميــة المـخ البشري وتوسيع قدراتـه

ندرس قوانين الوراثة لكى نعرف ونميز بين أثر الوراثة وأثر الوسط ونهتدى بالمعارف الجديدة عن الزواج .

وأثر الوسط ونهتدى بالمعارف الجديدة عن الزواج .

وقد قال الأستاذ الدكتور كاريل فى مؤلفه فى سبيل تحسين النسل ان الأطفال صورة تعبر عن الميول الوراثية الكامنة فى جميع أنسجة والديهم ، وليس من الصعب تحويل تلك الميول بالوسائل التى تساعد على تحسين النسل لخير المجتمع ، أما اذا كانت بنية الوالدين غير سليمة أو ملوثة بجراثيم أمراض تفسد أنسجة الجنين بحكم الوراثة فلن ينتجوا الا نسلا ضعيفاً قليل الذكاء تعوزه القوة المعنوية وسلامة التفكير فلا يكون ضاراً لنفسه فحسب بل ضاراً لغيره بسبب ما يقترفه من جرائم تدفع به إلى السجون أو المستشفيات .

وليست قوة الأمة فى كثرة عدد أفرادها اجمالاً بل فى وفرة عدد الأصحاء منهم فى الجسم والعقل ، ولذا لا يصح أن تقتصر مهمة الحكومة الرشيدة والشعوب الراقية على تقليل نسبة وفيات الأطفال ، والاكثار من عدد المواليد أياً كانت حالتهم ، بل يجب أن تكون غايتها أسمى من ذلك فتوجه مجهوداتها الى تقليل الوفيات من جهة واتخاذ الوسائل التى تؤدى بنجاح الى تحسين النسل من جهة أخرى . صحياً وأخلاقياً وبذلك يزداد إنتاج البلاد مادياً ومعنوياً بزيادة ابنائها الأصحاء وتقليل عدد الضعفاء أو المرضى بينهم .

ومن طرق التشريع التى اتخذت للحد من الأمراض الوراثية صدور قانون يقضى بعدم عقد زواج إلا إذا قدم كل من طالبى الزواج شهادة من لجنة طبية حكومية أو من طبيبين تقرر بعد التحقق من شخصية الطالبين واجراء الفحص الطبى الدقيق بالطرق العلمية الحديثة ، أن كل واحد منهما صحيح الجسم والعقل وليس به أعراض أى مرض من الأمراض التى تضر بصحة الزوج الآخر أو تنتقل آثارها الى النسل بطريق الوراثة أو بعد الميلاد ، وقد لجأت كثير من الدول الى هذا التشريع .

واذا حصل الكشف الطبى على طالبى الزواج بمعرفة لجنة حكومية بناء على تشريع يحتم ذلك فلا حرج على الطبيب أن يقرر كتابة صلاحية من كشف عليهم أو عدم صلاحيتهم طبياً للزواج بدون ذكر نوع المرض المانع من الزواج فيكون حكم الطبيب فى هذه الحالة كأطباء شركات التأمين على الحياة وكأطباء القومسيون الطبى الحكومى المختص بالكشف على الموظفين وطالبى الاستخدام لتقرير صلاحيتهم للعمل من عدمه وتقرير ما يحتاجون إليه من اجازات وما الى ذلك من الاختصاصات المخولة للقومسيون .

تطلعات وتصورات العلماء للمستقبل

سئل البرفسور « جان روستان » أستاذ علم الوراثة وعضو أكاديمية العلوم الفرنسية ماذا يحمل المستقبل للانسان فى ضوء التقدم فى ميدان بحوث الوراثة !

فقال : قد تكون العلوم البيولوجية أبعد العلوم تأثيراً فى مستقبل الانسان لأن هذه العلوم لا تكتفى مثل العلوم الأخرى بتغيير الوسط الذى يعيش فيه الانسان أو الأداة أو الآلة التى يستعملها ، علوم البيولوجى تتعدى هذا وذاك ، وتمضى الى الانسان ذاته ، تبحث عن استحداث تغيير فى كيانه .

ويوم نستطيع نحن علماء الوراثة معرفة كل الأساس الكيميائى ودقائقه الخاصة بالوراثة ، تلك العملية الرائعة التى تنتقل بها الصفات من الآباء الى الابناء ، يوم نعرف ذلك . فنحن لابد وأن نصل ذات يوم الى تطوير الانسان .

هذا الأساس الكيميائى الكامل للوراثة ، هو الذى اكتشفناه فى الكروموسومات والذى يعرف بالحامض النووى أو بمعنى أدق حامض الديزوكسى ريبونيوكالييك .

واستطرد « جان روستان » عالم الوراثة الكبير يقول :

« وقد وجدنا من خلال التجارب الدقيقة ، أن البكتيريا أثبتت قدرتها على اعطاء هذا الحامض النووى فى حالات خاصة ، وأن هذا الحامض يمكن تغييره باستخدام حامض نووى مماثل ولكن من مصدر آخر .

وانى آمل — وربما يكون هذا الأمل مجرد حلم قد لا يتحقق أبداً — أنه قد يتأتى فى الغد لعلماء البيولوجى ، وعلماء الوراثة بالذات ما يمكنهم من تحسين النوع الانسانى ، وذلك باستخدام الحامض النووى المأخوذ من « السوبرمان » أو باستخدام حامض نووى صناعى مخلق داخل المعمل الكيماوى ، والذى يراعى عند صنعه ، مواصفات الحامض النووى الذى يحمل أفضل الصفات البشرية .

ويمكننا أن نتطلع الى مستقبل الانسان من زاوية أخرى ، هى زاوية الذكاء .. قد يأتى يوم قريب يستطيع فيه العلماء تنمية المخ البشرى .. فبدلا من أن يضم هذا المخ حوالى عشرة ملايين خلية تتضاعف ثروته الحية فيضم عشرين مليون خلية .. كلها خلايا للفكر والذكاء والمعرفة .

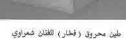
عز الدين فراج

الخزّاف "شعراوي" وكلماته العربيّة المجسّمة

بقلم : صبحي الشاروني

اسمه الكامل « محمد الشعراوى عبد الوهاب » ، لكنه اشتهر باسم « الخزاف شعراوى » ، وهو ابن عم الفنان « محمد عبد الوهاب » ، لكنه يرفض دائماً وباصرار أن يعرف الجمهور هذه القربى لأنه يريد أن يثير اهتمام الناس بفنه وليس بحسبه .





طين محروق (فخار) للفنان شعراوي

اكتشف الانسان الفخار منذ أقدم العصور ، واستخدمه في حياته اليومية ، فصنع منه الأوانى والقدور التي يحفظ فيها طعامه وشرابه . وكانت منطقة الشرق الأوسط هي أقدم مناطق العالم التي توصلت إلى تزجيج الفخار ، وتحويله إلى خزف ، وتطور حتى استوفى جميع أغراضه النفعية فراح يشق طريقا جديدا يهدف إلى الترفيه وتجميل الحياة .

ويعتبر الإناء الذى توضع فيه زهور الزينة قمة الإبداع الذي فتح الطريق أمام الخزافين للإجادة والتنويع ، وأبدعت مصر الاسلامية روائع منه .. خاصة عندما ازدهرت مدرسة « الفسطاط » . لكن هذا الفن اندثر خلال الحكم العثماني لمصر ..

أما المزهرية (إناء الزهور) فقد ظل سجين هذه الوظيفة إلى أن ظهر ما يمكن تسميته « بالنحت الخزفي » ، وهو فن يستفيد بمعطيات الخزف التي تتمثل في الملمس الناعم الزجاجي والألوان المتعددة بالاضافة إلى البريق .. مع قيم جديدة تتمثل في تشكيل الكتل المجسمة ..

وإذا كانت خامة الخزف قد ارتبطت طوال تاريخها بفن الإناء حتى أن اللغات الأوربية تطلق



اسم الجلالة فى أعلى البناء الخزفي

« سلام هي حتى مطلع الفجر »



على « الخزاف » اسم « صانع الأواني » وعلى فن الخزف اسم « فن صناعة الآنية » إلا أن لغتنا العربية تطلق اسم خزاف على كل من يشكل أوانيه أو تماثيله من خامة الخزف .

ويعتبر الخزاف « شعراوى » من أوائل الفنانين العرب الذين اتجهوا إلى تحرير فن الخزف من تبعيته التقليدية لفن الإناء .

نصف قرن مع الخزف

اسمه الكامل « محمد الشعراوي عبد الوهاب » لكنه اشتهر باسم « الخزاف شعراوي » . وهو ابن عم المطرب « محمد عبد الوهاب » ، لكنه يرفض دائما وبإصرار أن يعرف الجمهور هذه القربى لأنه يريد أن يثير اهتمام الناس بفنه وليس بحسبه .

ولد الفنان يوم ٢٢ أكتوبر عام ١٩١٦ بالقاهرة .. وقد اتجه فى دراسته إلى « مدرسة الفنون التطبيقية » حيث تخصص فى دراسة فن الخزف ، وتخرج عام ١٩٣٥ بعد أن حصل على دبلوم التخصص في هذا الفن ، وعمل مدرسا بالتعليم العام حتى تم تأسيس معهد التربية الفنية للمعلمين فالتحق به وحصل على شهادة تربوية ، وتدرج في وظائف التدريس حتى وصل إلى منصب « مفتش التربية الفنية والدراسات العملية لفن الخزف بالتعليم الثانوى » .

وفى عام ١٩٦٤ م أشرف على النشاط الفنى بنادي الطلبة الوافدين الذى يستقبل الطلاب القادمين من أنحاء العالم للدراسة بالقاهرة ، وأسس قسما للخزف ، ثم أقام عددا من المعارض لأعماله وأعمال طلابه القادمين من دول مختلفة معظمها دول آسيوية وأفريقية ، واستمر فى هذا العمل أربع سنوات متتالية .

ثم انتقل للعمل بوزارة الثقافة مشرفاً على المعارض التي تقام بالخارج للفن المصرى ، ومستقبلا المعارض الأجنبية التي تقام بالقاهرة تطبيقا لمعاهدات التبادل الثقافي .. وفي عام ١٩٧٤ م أعير للعمل بجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية حيث تولى في عدن إعداد « إدارة الفنون الجميلة » ، وهناك أعد قاعات العرض المناسبة لتنفيذ اتفاقيات التبادل الثقافي في مجال الفنون الجميلة بين حكومة عدن ومختلفة دول العالم .

يبلغ العمر الفنى للخزاف شعراوي أكثر من نصف قرن ، فمنذ التحاقه بمدرسة الفنون التطبيقية في مطلع الثلاثينيات لم يتوقف عن الانتاج الفنى ، رغم أنه لم يبدأ في تقديم انتاجه للجمهور في المعارض الخاصة إلا فى منتصف الستينيات .

وقد عرضت أعماله في معرض الخزف الدولي الذي يقام سنويا في مدينة « فاينزا » بإيطاليا أربع سنوات متتالية من ١٩٧٠ حتى ١٩٧٣ م ، وحصل عن اشتراكه في هذا المعرض الدولي على عدة شهادات تقديرية .. كما سافرت أعماله ضمن معرض (٥٠٠٠ سنة خزف) الذي قدم تاريخ هذا الفن في مصر منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى الوقت الحاضر .. وتنقل هذا المعرض ليقام في الاتحاد السوفيتي وبولندا وبلغاريا ورومانيا والمجر ويوغوسلافيا وألمانيا الديمقراطية ، وقد رافق الفنان هذا المعرض في جولته الطويلة ، بينما اقتنى متحف برلين جانبا من أعماله .

وقد أقام الفنان معرضا لأعماله الخزفية في باريس عام ١٩٧٩ ثم انتقل إلى بون ، ولقي نجاحا كبيرا في العاصمتين حيث أقبل الأفراد على شراء أعماله ، كما دعي ليحاضر عن فن الخزف المصرى المعاصر في ألمانيا الغربية .



«اسم الجلالة» . وكان هذا العمل غلافا لكتالوج معرض الفنان في مارس عام ١٩٧٩

الخزّاف "شعراوي" وكلمات العربيّة المجسّمة

وتنتشر أعمال الخزاف شعراوي في متاحف الفن الحديث بمصر ومتاحف تشيكوسلوفاكيا والمجر وفي المجموعات الخاصة بمصر وخارجها .

شعراوى بين الخزافين

إن أي محاولة لوضع تاريخ فن الخزف الحديث في مصر لابد أن تتعرض لمجموعة محدودة من الأسماء التي حققت إضافة واضحة : سواء في إعادة الحياة لهذا الفن أو دفعه في طريق التطور إلى الأمام ... كان رائد هذا المجال هو الفنان الراحل محمود صابر باعتباره أول مصرى درس فن الخزف دراسة علمية منظمة في مصانع «سيفر» بفرنسا عام ١٩٢٤ ، موفدا من مصنع الخزف الفني الذي أقامته السيدة «هدى شعراوى» للنهوض بهذا الفن ، وكان يعمل من أجل إحياء التراث الإسلامى العريق .

وقد تلاه في هذا الميدان الخزاف الشهير «سعيد الصدر» الذي واصل المسيرة ووضع إضافته المتميزة من خلال أبحاثه في الطلاءات الخزفية ، ذات البريق المعدنى .

أما الاسم الثالث في هذه السلسلة من الرواد فهو «الخزاف شعراوي» ، الذي ركز تجاربه على الشكل الفني للمنتجات الخزفية دون الاتجاه إلى الانتاج الغزير بمعناه الصناعي أو الانصراف إلى الأبحاث الكيمائية في ميدان الطلاءات .. إن تشكيل طينة الخزف بمفهوم نحتي يراعى الصفات الخاصة لخامة الخزف ذات الوظيفة التجميلية ، هو الإضافة الحقيقية التي حددت المكانة المتميزة للخزاف شعراوى .

استيعاب التجارب العالمية

أتيحت للفنان تجربة فريدة وضعت بين يديه الخبرة العالمية في فن الخزف الشعبي ، عندما أسس قسم الخزف في نادى الطلبة الوافدين . إن تلك السنوات الأربع جعلته يحتك بالفنانين الهواة القادمين من جميع أنحاء أفريقيا وآسيا .. وفي الوقت الذي كان يوجههم ويعلمهم ، كان أيضا يتعلم منهم ؛ فقد كانوا محملين بتجارب شديدة التنوع تمثل التقاليد التشكيلية الشعبية والفطرية ، والرفيعة أيضا ، التي حملوها معهم من بلادهم . وهكذا اتسعت أمام الفنان مجالات الرؤية وآفاق الابتكار . بل وحررته من التقاليد والخبرات المحدودة التي تعلمها ومارسها قبل عام ١٩٦٥ .

وخلال عمله في إدارة العلاقات الثقافية الخارجية بمصر ، تعرف على خبرات جديدة ... كما استوعب التراث الحضارى العريق لهذا الفن عندما تولى إعداد معرض «٥٠٠٠ سنه خزف مصرى» ... وفي عدن أجرى تجاربه على الطينات المحلية وشهد ثقافة عربية في حالتها البكر .

ومن كل هذا توصل شعراوى إلى الأشكال التي أنتجها والابتكارات التي حققها ، والتي تقوم على فلسفة في التشكيل ووجهة نظر يدعو لها ويتبعها في انتاجه .



وهنا يستخدم الفنان شعراوي اسم النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم في تشكيل رائع

من أسماء الله الحسنى : الملك ، القدوس ، السلام

لقد بدأ في مرحلته الأولى ككل الخزافين ، فقام بتشكيل الآنية وتزجيجها ، كانت أشكاله تخضع للشكل الأسطواني الذي يتم تشكيله على عجلة الفخار .. ثم لم يلبث أن تمرد على الأشكال الدائرية المنتظمة ، فمر في مرحلة تالية كان خلالها يشكل الآنية على « دولاب الفخار الدوار » ثم يحدث فيها انبعاجات واضافات تغير الشكل الدائري التقليدي الممل ؛ في هذه المرحلة استوعب الخبرات الأفريقية والآسيوية ، فراح يضيف إلى سطوح الأواني زخارف غائرة وأخرى بارزة ، ثم استخدم الفجوات والتفريغ ، وحقق في تلك المرحلة الثالثة مجموعة مبهرة من الأواني ذات الأشكال المبتكرة والزخارف العجيبة ، التي جمعت بين عراقة التراث وعنف التقاليد الزنجية وسعة الخبرات الآسيوية ، بالاضافة إلى ابتكاراته عندما جمع كل ذلك في انتاجه الذي كانت تتضح فيه تجربته العريضة في الخزف .

لقد استخدم الفنان نفس الأدوات والخامات وطرق التشكيل التقليدية ؛ لكنه تميز بالزخارف والنقوش التي لم تكن تجميلا أو إضافة ، ولا مجرد حلية ، أو استعراض لقدراته التقنية ، لكنها تميزت بالارتباط الوثيق بين الزخارف وأشكال الأواني في انبعاجاتها ، أو تمددها ، طولها أو قصرها .. أي أن العلاقة بين الشكل المجسم للقطعة الخزفية من ناحية والشكل الملون للزخارف التي تغطي سطحها من ناحية أخرى هي علاقة حية ديناميكية ، ولا يمكن فصلها عن بعضها .

لقد استفاد شعراوى من جميع فروع الفنون الجميلة ، فكانت أوانيه كالعمارة في سموها وتنظيمها ، وكالنحت في ديناميكيته الحية ، وكالتصوير في شاعريته وتعبيريته ، وهي في النهاية أعمال تجميلية تبهج المشاهد وتبرز الخصائص النوعية لخامة الخزف التي تتميز بالنبل والأناقة .

هجـــر الإنـــاء

وفجأة أعلن الخزاف شعراوي أن الإناء قد قال كل ما عنده ؛ وأن فن الخزف عليه أن يتخلى عن التقيد بالقيمة التطبيقية الاستخدامية ، ويكفي أن يتوسع في الجانب التجميلي ليحقق اضافة جديدة في الشكل النحتي لقطعة الخزف ؛ ذلك لأن الاستخدام النفعي يقيد الفنان ويحد من آفاق الابتكار .

وراح يبحث عن شكل جديد معاصر ، فركز على القيمة الجمالية للشكل المجسم .. في البداية استلهم المباني والعمائر ، فكانت هي مرحلته الثالثة التي كانت تحتفظ بعلاقة واهية بفن الإناء . وصورت تلك الأعمال البيوت المبنية بالطين مرة ، والحادة الخطوط مرة أخرى .. ثم سافر إلى اليمن ، وبهرته العمارة المحلية وطابعها المميز .. لقد شهد في «حضرموت» العمائر الطينية المتعددة الطوابق والمتساندة بعضها على بعض ، وأثر بشكلها الفريد .. كما أن طينة الفخار هناك تختلف صفاتها عن طينتها في مصر ؛ وهي نفس مادة البناء في تلك المنطقة من العالم العربي .

عمائر فخارية

ويقول الفنان موضحا طريق التطور الذي سار فيه : « لقد بدأت بالاستغناء عن « العجلة الدوارة » التي تحتم الشكل الأسطواني ، وغيرت شكل الإناء



"الوهاب"

« إنه كان توابا »

الخزاف "شعراوي" وكلماته العربيـة المجسّمة

حتى تحول إلى قطعة نحت .. وكانت المرحلة التالية هي التخلى عن القيمة النفعية للعمل الخزفي كإناء ، والتركيز على قيمته الجمالية ، فقط ، وتركز اهتمامى على الكتلة وشكلها المجسم ، وعشت مرحلة معمارية فيها تشابه بين أعمالي الخزفية من ناحية ، والمباني من ناحية أخرى ، ثم خضت في تشكيلات الحروف العربية المجسمة : البسملة ، ولفظ الجلالة ، والآيات القرآنية ، وأسماء الله الحسنى ، ثم أسماء الأعلام ، وأعتقد أنني أسير في طريق مفتوح لتطوير فن الخزف الاسلامي والسير به طفرة تلائم عصرنا الحاضر».

إن أعمال الفنان في مرحلته الرابعة اتجهت إلى تشكيل حروف اللغة العربية وتجسيمها ، وبهذا فتح الفنان طريقاً جديداً لتطوير فن الخزف وتحقيق طفرة جديدة ، إن أعماله خلال السنوات الأخيرة ينتمي معظمها إلى هذه المرحلة ، حيث حقق الفنان

نوعا من الفن التجريدي له قيمة النحت وفيه فخامة الخزف ، وفي نفس الوقت يوحي بالصرحية والشموخ عندما يعبر عن كلمات عربية ذات دلالة متصوفة ولكنها تتلاءم مع روح العصر الحاضر.

وفي جانب من أعماله الأخيرة نجده قد تخلى عن الطلاءات اللامعة وقدم بعض القطع الفخارية ، ليقترب أكثر من فن النحت وليبرز نبل خامة الفخار التي تستخدم في العمارة اليمنية ، فإن الشكل المعماري المستلهم في هذه الأعمال الفخارية هو أهم ما يميزها.

وهكذا كانت القيم البنائية في العمل الفني هي أهم ما يشغل الخزاف . ورغم التخلي عن القيمة النفعية إلا أنه يعوضها بتفوق متفرد في ميدان الشكل النحتي ، وهذه هي الاضافة الحقيقية للخزاف شعراوى . إن العمارة في اليمن ذات أثر عميق على هذه المرحلة الأخيرة . وكلها تقدم

تشكيلات مجسمة لكلمات وحروف عربية وبعض الآيات القرآنية ، حتى أطلق البعض على أعماله اسم « خزف اسلامي معاصر ».

نحن نعرف أن حروف وكلمات اللغة تشكل على مسطح مستو ، وحتى في العمارة الاسلامية كانت تنحت بارزة على سطح الجدار .. وفي عصرنا الحديث عندما استلهم الرسامون

حروف اللغة وكلماتها لم يشاركهم في هذا الاتجاه زملاؤهم من النحاتين .. حتى جاء الخزاف شعراوى ليقتحم هذا الميدان ويجسم الكلمات في تماثيله الخزفية التي يواصل انتاجها والتعمق في

امكاناتها منذ بضع سنوات حتى انبهر الأوربيون بأعماله عندما قدمها عام ١٩٧٩ في معرضه الخاص



تشكيل خزفي آخر لاسم نبينا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم

من آي الذكر الحكيم

بباريس ثم بون . وقد قال عنه أحد النقاد الفرنسيين : « إن الإضافة الحقيقية التي قدمها الفنان في أعمال الخزف هي أنه تجاوز ذلك الاستخدام التقليدي والنفعي المباشر لفن الأواني الخزفية ، لينتقل إلى آفاق التجريد والصياغة المتفردة للحروف والكلمات العربية في أحد الأشكال الجديدة لفن النحت » .

والواقع أن أعماله ذات مذاق محلي ، وتكتنفها صوفية وروحانية محلقة ..

ومن المهم أن نذكر أثر الخزاف شعرواى على الأجيال الجديدة من ممارسي هذا الفن في مصر ، لقد سار عدد كبير من شباب الخزافين في نفس الطريق الذي بدأ شعراوى السير فيه : طريق التخلص من أثر التراث دون أن تنقطع صلته به ، واستفاد من كل جديد ولم ينحرف بعيدا في بحث جمالي محلق .

صبحي الشاروني

المسافر وحيداً

بقلم : جاك دى ريكومون

« منذ سنوات انتحر الأديب الفرنسي الكبير مونترلان بعد أن عاش حياته وحيداً ...
من أقواله : نحن لا نعرف كيف نموت »
ورغم مضي عدة سنوات على انتحار الأديب مونترلان فان تلك الحادثة لا زالت تثير مشاكل وخلافات فكرية عديدة ، ويبدو أن الحكم على مصير فعلته سيكون لمبدع الحياة والموت . تلك الفعلة التي تبدو للبعض شجاعة وكبرياء بينما يراها الآخرون ضرباً من الجبن .

في ١٣ أغسطس سنة ١٩٦٩ قال مونترلان في كتابه « مجئ المساء » الذي بسط فيه ظل نهايته حين قدم اعترافاً جوهرياً بقوله « إن العزلة كانت أعظم تجربة في عمري ، لجأت اليها في الواقع خلال أكبر جزء من حياتي » .

واضح بالطبع أن مأساته الحقيقية لم تكن شيخوخة جسم شبع صاحبه من اللذات والشهوات . ولم تكن بسبب طاعة عمياء لمثل أعلى أو لشخصية صارمة ، ولم تكن بسبب الضجر أو عدم القدرة على تذوق روح العصر أو العمي الكامل عن رؤية « أوجه الجمال في هذا العالم » والتي يصفها ميشيل آنج في أشهر أناشيده كنعمة من نعم السماء . إنها مأساة الوحدة الاختيارية .

إن حالات الانتحار الوحيدة الشائعة هي تلك الحالات التي نرى فيها العاشق يقتل نفسه بدلاً من أن يتعذب برؤية حلمه وهو ينهار بعد أن يدرك استحالة الوصول إلى قمة السعادة . أو ذلك المراهق الذي يدرك بحدسه مستقبل حياته الذليل وأنه لن يستطيع الهرب من دنس الوجود .
إن هنري رينيه يقول « إن هذا المراهق يقتل نفسه وهو يتمثل أنه بطل من أبطال الكاتب كارلو كوكسيولى وذلك ليطمئن إلى أنه سيمثل أمام الله وهو نقي طاهر » .

أما مونترلان فلم يكن سوى ضحية عشق ضد الطبيعة وهو عشق الوحدة . -
يبدو لي أن أكبر خطيئة يمكن أن ترتكب ضد الانسان وبالتالي ضد الطبيعة هي أن يختار الانسان لنفسه تلك الحياة الخاصة والنادرة والتي بطلت منذ زمن ، حياة العزلة المطلقة .

إن هذه اللذة الحزينة هي أولاً إهانة لكل البائسين الذين يتحملون أحياناً هذه العزلة المفجعة كما لو كانت لعنة ، وإن كان أعظم الشعراء قد خرجوا منها بكلمات مؤثرة ومنهم جورج سيفيري في قصيدته المشهورة « الصهريج » :

وحيداً ، وفي قلبه كثير من الأشياء
وحيداً ، وفي قلبه كثير من العذاب
وكثير من الألم ..
وحيداً ، قطرة .. قطرة .

إنه إذن بخل الروح في أقبح أشكاله كالرغبة في الاحساس بعدم المديونية لأحد أو رفض الأخذ خوفاً من العطاء ، أو الخوف من خداع الآخرين أو الحرج أمامهم أو نيل كراهيتهم أو ببساطة تجنب إزعاج الثقلاء . كأن الموهبة تبدد الحاضر من أجل المستقبل لتؤكد حلاوتها وراحتها وفائدتها ، وكما قال السيد المسيح ما معناه « من يفقده سيلقاه » . إنه انعدام « حب الصدقة » الذي كان البابا بول يضعه فوق كل الفضائل ويقول بأنه يجب أن ينسج الصلات بين الفرد وبقية البشرية بحيث يشعر كل إنسان أنه ليس فقط متضامناً وإنما مسئول عن كل خير وشر في هذا العالم .

إن الوحدة امتزاج للرذائل الثلاث المقوتة وهي الأنانية والجبن والتعالي .
وعندما تحدث مونترلان عن تلك الغواية حاول التركيز على أنها أكبر النزعات شيطانية لأنها تتعارض بالطبع مع الأرواح السامية . إنها اللعنة ... ودون مواربة « ويل لمن يعيش وحيداً » . هناك برهان مدهش يقول « إذا نام اثنان معاً فانهما يشعران بالدفء ، أما ذلك الذي ينام وحده فكيف يستدفئ ؟ » .

وأخيراً . كان يكفي مونترلان أن يعيد قراءة عنوان أحد مؤلفاته ليحكم بنفسه على نفسه فهو الذي قال : « المسافر وحده شيطان » .

الحياة البيضاء

بقلم الكاتبة الفرنسية :

فرانسواز بارترييه

كيف نسمي ذلك الخوف الجديد الذي لا يعد جبناً والذي يكبل كثيراً من الناس : خوف من السرعة ، من نزلات البرد ، من الحب ، من القهوة الخالصة ، من الامريكان ، من الروس ، من الصينيين من المازوت ، من اللصوص ، من الزواج ، من اللحم المفروم ، من الأسبرين ، من الكنيسة ،

من شباب الاتو ـ ستوب ، من السمنة ، من النساء ، من الحاجة ، من الوفرة ، من الحرب وحتى من السلام المنتج ، من البطالة ، ومن الأمراض العصبية ؟ إن الناس في هذا العصر يخافون من كل شئ وينزعجون لكل شئ .

إن ذلك القلق ليس هو الاكتئاب الذي يصفه لويس باولز في كتابه « خطاب مفتوح للناس السعداء » لأن الخوف الذي أتكلم عنه هو في اليمين كما هو في اليسار ، إنه يجئ من كل جهة ، إنه يصيب كل طبقات المجتمع ، إنه غاية في البساطة ، ليس ميتافيزيقياً وليس فلسفياً . إنه خوف من الأنباء ، إنه ليس خوفاً من الذكاء . إنه خوف من المعرفة . خوف متصل بدائرة المعارف (انسيكلوبيدي) خوف متفقه . خوف من الممكن . هذا لا يعني أنه خوف زائف . إن الحقيقة يمكن التنبؤ بها جيداً ، ولكنه خوف وهمي ، خوف ذو أبعاد ، خوف يتعلق بما هو آت .

في الغرب لا يتحرك الجسد ، ينتهي الخوف الحيواني ، لكن المخ هو الذي يرتعد . إننا إذن نعاني أكثر بكثير من أسلافنا ، لأنه لا يوجد شخص يمكنه تحمل خطر وهمي فضلاً عن خطر حقيقي .

إن سكان نيويورك مقروحون لأنهم يعتقدون أنهم إذا خرجوا في المساء فانهم سوف يهاجمون . لقد قال لي أحد الأطباء إن ذلك انتهي بأن سبب لهم ألماً أكثر من العدوان الحقيقي . إن انتظار حادث هو غالباً أسوأ من الحادث ذاته . لقد كان ذلك صحيحاً دائماً ولكننا اليوم نعرف كثيراً عن الأخطار التي

ترجمة وتقديم: محمد طنطاوي

تحيط بنا. ومن أجل مصلحتنا يحدثوننا طوال اليوم عما ينتظرنا على الطرق وعند منحنيات الشوارع، في الغابات في مخدعنا، في مكتبنا، في طعامنا وحتى في مليارات الخلايا التي نحملها.

إن معرفتنا بأننا نتكون من ٩٢ بالمائة من الماء يقلقنا. إن كثرة وسائل الإعلام تضاعف مخاوفنا وينمو الحزن في رؤوسنا المنتفخة. تليف حقيقي للارادة، وفي ذعر نتقيأ حضارتنا. نحن في حالة ضيق من كل شئ وأولاً من أنفسنا.

سوف نقف قريباً أمام الحياة، عاجزين كما يقف الكاتب أمام الصفحة البيضاء. عذاب أن نحيا الحياة، إن الحياة الخيالية قد أصبحت بالنسبة لبعض الشبان تجربة رهيبة مما جعلهم يقتلون أنفسهم. إنها الحالة القصوى، وآخرون يتعاطون المخدرات، وآخرون يملؤهم الرعب وبعضهم يهربون.

كثيرون يمشون كمن يمشي على البيض وعندما يصل معظم الناس للشيخوخة فانهم يراوغون، ولكي يهربوا من المخاوف الكبيرة فانهم يلجأون للمخاوف الصغيرة. كم من الرجال والنساء يخشون السمنة أكثر من الموت. إنها ليست نزوة. لقد أجري تحقيق في الولايات المتحدة الأمريكية كشف أن الأمريكيين يعانون من نوعين من المخاوف الكبيرة (فوبيا) وهي الصلع والبدانة، ونوعين من المخاوف الصغيرة وهي السرطان والاتحاد السوفيتي. ولعل ذلك هو أحد أسباب شقاء الشباب الذي لم يعد يخشى شيئاً على قوامه أو شعره، إنه على حافة الحياة البيضاء بلا حاجز أو ستار.

كيف نجد المخرج لذلك؟ ياإلهي.. كما يقول الرومانتيكيون عندما يشعرون في الكتابة. إن الشباب لا يستطيع انقاذ نفسه من خلال الحياة ذاتها. إن أولئك الذين يلقون بأنفسهم في الحياة يشقون بسرعة كما يشعر الكاتب بعد أن يخط في صفحته البيضاء. إن العمل لا يزال عسيراً ولا تزال الحياة خطيرة ومؤلمة ولكن العمل دواء عظيم جداً لكل شئ.

يقولون إن الله يحب الشجعان. نعم وإذا كنا لا نعتبر النجاح دليلاً على العون الالهي فان الشجاعة ـ قبل الذكاء ـ هي دائماً مفتاح الحياة. تلك الشجاعة التي أصبحت حيوية أكثر من أي وقت مضى في عصر يكاد يقتلنا الخوف فيه أسرع من الخطر.

لقاء الغرباء

للكاتبة الإفريقية: آوا آني

١ ـ ليلة حب

ليلة حب، ليلة زرقاء، كلها حنان، ليلة حالمة، ليلة حلوة، ليلة شاعرية ليلة صاخبة. ليلة لا تنسى. لكم تخيل حبيبي تلك الليلة كثيراً بأحلامه. لكم تمناها وتمناها من كل روحه. لأنه كان علي وحدي أن أعد أحلى ما يمكن أن تقدمه زوجة في حياتها. ولكم حاول أكثر من مرة أن يتراجع عن ذلك الحلم المستحيل، وبعدما أوضحت له الأمر تعقل وتراجع. لقد كانت حيوية «آوا» ضرورية ليتحقق هذا الحلم في أبهى صورة، حلمهما المشترك. ألم تضع كل خيالها وأنوثتها في خدمته؟ هل كانت هناك تضحية واحدة لم تقم بها من أجل حبها؟ لا، لم تكن هناك مشكلة. لقد كانت هناك خطة مرسومة في رأسها كبرت وعاشت طوال النهار من أجل مساء الربيع، الربيع الخالد لحبهما.

لقد فكرت آوا فيما يلزمها من طاقة لينتعشا قليلاً فقدمت لمحبوبها طبقاً من بلاده. لقد أملى ذلك كله عليها حبها وقبله هو من جانبه بمنتهى السرور بل وأثنى عليه. أما هي فقد أحست بتواضعها المألوف بالقلق من المديح الزائد وكانت تخفض رأسها عندما تحدق فيها عيناه طويلاً. إنه لم يكن يتعب من النظر إليها والاعجاب بها لأنها عرفت كيف تختار فستانها، لقد حلاها وجعلها جميلة في عينيه فقط. لقد كان ذلك المساء رائعاً حيث كان كل شئ يبدو كحلم. لقد نجحا في أن يخلقا لنفسيهما عالماً خاصاً بهما، بعيداً عن أعين الناس، في جو دافئ وهادئ حيث كان هو الأمير الوسيم وهي الأميرة.

لقد ذاقا في تلك الليلة سعادة لا يتخيلها عقل. حتى سكون الليل والموسيقى كانا نديمين لهما: هدوء سحري، وموسيقى حلوة ودافئة تحتضنك وتلفك في معطفها الوردي لتجعلك تنسى نفسك ثم ترحل حالماً.

لقد عرفا في تلك الحجرة التي شهدت كل أسرار نشوتهما وسعادتهما أروع حب.

٢ ـ الرحيل

منذ بضعة أيام أخذ شكل المنزل الصغير المواجه للشارع في الحي الرئيسي في التغيير. إن الحجرة التي عرفت أعظم عاشقين كانت تخلو يوماً بعد يوم.. لقد انتقل رجال الشركة الذين يفهمون في فن التغليف لمواجهة الموقف. إن أركان المنزل كانت تحس بالرحيل فظهرت عليها امارات الحزن والكآبة.. إن الرجل سيرحل!

هذا الرحيل.. كان قد صمم على موعده منذ مدة، لقد قبله على مضض بتلك اللامبالاة الفلسفية التي لا يعرفها سوى عظماء الرجال. لأنه لكي يكون عظيما فإنه لم يكن يفتقد الموهبة، لقد كان عظيماً بالفعل. ولما أدرك أنه عبد لقدره فقد عرف أنه لا سبيل إلى تغيير مجرى حياته ليحتفظ لنفسه وللأبد بتلك السعادة التي منحها له القدر القاسي. لسوف يرحل ويترك قلبه هنا.

إن قلبه لا يعرف حمى الرحيل الكبير، إنه لا يخفق حتى لمجرد ذكرى اللقاء. فإذا أحس يوماً بالسرور فهو السرور السطحي الذي يعكس التعلق بأرض الوطن... شيء واضح. هل كان صديقنا حراً؟ هل كان بوسعه أن يكون شيئاً آخر؟ لا. إن المسافر لم يكن حراً في أن يتخذ أي تصرف منطلق، لذا فهو بحكم التصاقه بمجرى الحياة يسير في طريقه بلا حراك.

إنه ينظر إليّ بلا ابتسام، إن نظرته قاسية وبائسة. إن عينيه المتعبتين شاردتان وعليهما شواهد من ليالي السهاد. وفي رأسه تتزاحم أمواج من الأفكار الغامضة التي تتقاسم مشاعره. إن الحقيقة تبدو عارية.. واضحة محددة لكي تشل مرة أخرى كل أعضائه عن الحركة. إنه لا يقدر على شئ أبداً ولا يقدر إلا على الرحيل. متعباً من الفكر، مجهداً بالعذاب، ويائساً من الحلم بسعادة لا يمكنه أن ينالها بيديه.

يافا عروس البحر



يلقب الفلسطينيون يافا بـ « عروس البحر » ، لأنها كانت أجمل مدن الوطن الفلسطيني الصغير ، قبل أن يقع هذا الوطن في ظل الاحتلال الصهيوني العابر .. بحساب حركة التاريخ ..

وعلى هذا ، فإن أجدادنا الكنعانيين القدامى قد اختاروا لها اسمها الصحيح تماماً وهو « يافي » بمعنى « الجميلة » أو « الزاهية » بالعربية الكنعانية الغائرة في القدم ، عندما أسسوها على شاطئ المتوسط في الألف الرابعة قبل الميلاد .. أي قبل ما يزيد على ألفين وخمسمائة سنة من أن يكون هناك على سطح الأرض يهود ، أو ديانة يهودية يتبعونها ويتشكلون معها ، بنزول التوراة الحقيقية ، الملموسة ، على النبي موسى في حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد .. وهي قطعاً غير التوراة الوضعية المعتمدة من ثم لدى الكنيسة والكنيس معاً ، من حيث عكف أحبار اليهود على تأليف أسفارها ، وتزييف أخبارها على امتداد ما يقرب من ألف سنة بعد وفاة النبي موسى في صحراء سيناء ..

ولقد تحرّف اسم « يافي » هذا على مر ألوف السنين : إلى « يابو » عند قدماء المصريين على جدران معبد الكرنك .. ثم إلى « يابوأو » عند البابليين في رسائل تل العمارنة .. فإلى « يافو » بالعبرية .. و« جوبي » بالإغريقية و« جافا » على ألسنة الغزاة الصليبيين ..

* * *

يعتبر تاريخ يافا المديد ، منذ ستة آلاف سنة ، من أحفل تواريخ بلدانيات العالم بالأحداث الجسام ، بفعل ما قد تعاقب عليها من عصور الدمار ، وعصور الازدهار ، على حد سواء ، وذلك بحكم موقع المدينة غير الحصين إطلاقاً في منتصف السهل الساحلي المكشوف ، مما جعل منها جوهرة فلسطين في زمن السلم ، ونقطة ضعفها القاتلة في زمن الحرب ، باشتمال مينائها معها على قدم المساواة .. فعلى حين نقرأ في « تقويم البلدان » لصاحب حماة ، من القرن الثامن الهجري :

« مدينة يافا كثيرة الرخاء ، ساحلية ، من الفرض الشهيرة .. كانت حصناً كبيراً فيه أسواق عامرة ، ووكلاء تجار ، وميناء كبير فيه مرسى المراكب الواردة إلى فلسطين ، والمقلعة منها إلى كل بلد » ..

فإننا سنقرأ بعد ذلك بأربعة قرون وصفاً مغايراً للمدينة ومينائها ، بشهادة الرحالة فولني Volney في أواخر القرن الثامن عشر للميلاد :

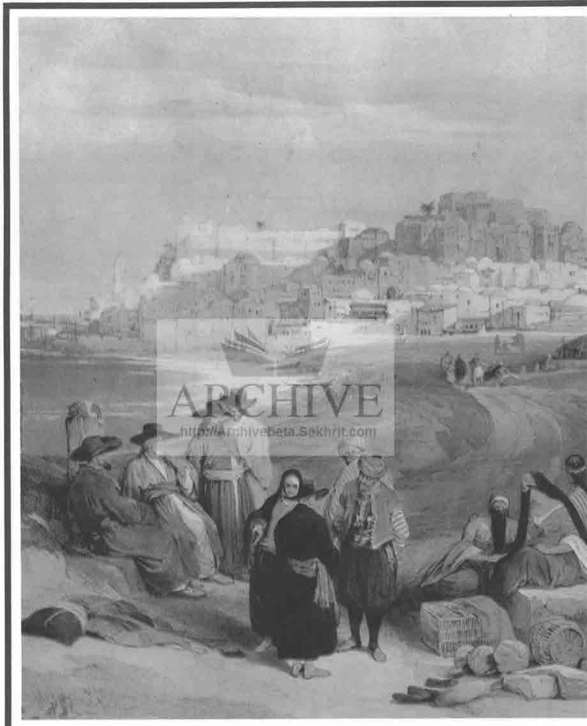
« وهذا الصقع هو الأكثر خراباً من غيره في سوريا بأجمعها ، إذ الإغارة عليه سهلة لكونه مفتوحاً ، ولخلوه من الجبال ... وأما المرفأ فهو أسوأ حالاً بسبب الردم المتراكم فيه . ولأجل ذلك تضطر السفن التي تأتي إليه أن تلقي مراسيها على مسافة فرسخ من الشاطئ ، وهي مع ذلك لا تأمن الخطر » ..

على أن باستطاعتنا أن نفسر تقرير « فولني » السلبي هذا ، باستذكار الحقيقة التاريخية البسيطة في ذلك الزمن القريب نسبياً ، وهي أن مكانة يافا البحرية كانت قد انتقلت إلى ميناء عكا في أقصى الشمال الفلسطيني ، في عهد ظاهر العمر ، ومن بعده أحمد الجزار .. وأما قبل ذلك ـ ولأمد غير قصير بعد ذلك أيضاً ـ فلقد ظلت يافا ثغر فلسطين الأساسي الذي يستقبل أفواج التجار الأوربيين ، والإيطاليين البنادقة والجنويين منهم بوجه خاص ، بقدر ما ظلت محطة الحجاج المسيحيين الفضلى في طريقهم إلى بيت المقدس .. وهذا هو ليثوغراف الرحالة الاسكتلندي الرسام « روبرتس » ـ على الصفحة المقابلة ـ يسجل بين أيدينا لقطة جزئية ، انطباعية ، لشاطئ « ارشيد » على مقربة من ميناء يافا ، عام ١٨٣٩ ..

غير أن أشهر ما يقترن باسم يافا ، عالمياً ، هو برتقالتها الذائعة الصيت التي تعد بحق أطيب برتقالة على سطح الأرض ..

ولكن .. برغم أن « برتقالة يافا » العربية كانت رائجة تماماً في موانئ أوروبا في القرن التاسع عشر .. وبرغم أن العديدين من الرحالة الأوربيين إلى المشرق العربي قد امتدحوا جودتها حتى منذ مطالع القرن الثامن عشر .. (أي قبل أن تكون هناك دولة يهودية ، أو حتى حركة صهيونية) .. فإن هذه البرتقالة ذاتها هي التي تنتشر اليوم في أسواق العالم بلقبها الشهير « Jaffa Orange » على أنها من البدائع الزراعية المتطورة لدولة « اسرائيل » ! هذه الدولة الأعجوبة التي أحالت صحارى فلسطين إلى جنات النعيم ! .. على نحو ما تبرزه فتاة الإعلان اليهودي وهي تمتص ، من خلال برتقالة يافا ، جراح شعب فلسطين !! ..

يوسف الخطيب



يافا عام ١٨٣٩ للرسام روبرتس



جندي

شعر: محمد آدم

يدخلُ الجنديُّ في النادي المكيف
يرتدي الشاراتِ
والأنواطَ
يخلعُ سترةَ الحربِ
القديمةَ
والدماء
ويحتسي الماء المثلجَ
آخرَ الأنباء
هلْ رجعَ المقاتلُ
والمقاولُ...
جامعُ الورقِ المصابِ ؟
فتضحكُ امرأةٌ
ويهزها رجلٌ
وتلتمعُ الأصابعُ باللآلىء
ينتشي الوجهُ المجعدُ
يستريحُ
وتأخذُ الريحُ الصقيلة في التفاوضِ
ثُمَّ
تنتهكُ الموائدَ
والجرائدَ
تكنس الزبدَ التدفقيَّ
المرابطَ
فوقَ قاعِ الكأسِ
تقتلعُ الملامحَ بالبخارِ
الرخوِ
والعشاقُ
يتصرفونَ في الضوءِ البليلِ
وكانَ لونُ البحرِ أبيضَ
والسماء
مليئةٌ بالغيمِ
والقمرُ الرصاصيُّ ـ النبيلُ ـ
يسوحُ
في قلبِ السوادِ المرِّ
هلْ
عادتْ خيولُ الفجرِ؟
ثانيةً
تعودُ الريحُ
والجنديُّ قربَ البابِ
منكفئٌ
يداعبُ طفلةً
ويناوشُ امرأةً
ويركضُ في اتجاهِ البحرِ
والحراسُ
يتسربونَ كالنملِ الحيِّ
على ضفافِ النهرِ
هلْ رجعَ المقاتلُ
آهِ
هلْ رجعَ الـ ..
هلْ ؟



قطر ومسيرة الاستقلال

لتكن مسيرتنا الخيرة مشرقة بنور مبادئنا العربية النبيلة التى نفخر بها ، عامرة بتعاليم عقيدتنا الاسلامية السامية التى نعتز بها ، تلك المبادىء والتعاليم التى تدعو إلى الحق والعدل والمحبة والتعاون والتسامح بين الناس أجمعين ، والتى ليس ثمة أفضل منها مشاعل تضيء لنا طريق العمل المثمر والجهاد القويم فى خدمة وطننا وأمتنا والانسانية جمعاء..

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين » .

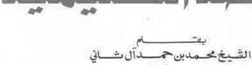
من كلمات سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني (الدوحة : ٢ من ربيع الأول ١٤٠٥ هـ - ٢٤ من نوفمبر ١٩٨٤ م) بمناسبة افتتاح الدور العادى الثالث عشر لمجلس الشورى



حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر



سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي العهد ووزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة



الاستقلال والنهضة التعليمية



بقلم
الشيخ محمد بن حمد آل ثاني
وزير التربية والتعليم

تحتفل دولة قطر في الثالث من سبتمبر بالعيد الرابع عشر لاستقلالها . ولا شك في أن الاستقلال في مفهومه الشامل ، ليس تحررا من التبعية السياسية والعسكرية والاقتصادية فحسب ، بل هو أيضا ، وقبل كل ذلك ، تحرر من التبعية الثقافية والتربوية ، اذا أريد له أن يكون استقلالا حقيقيا كاملا .

ويصدق ذلك أكثر ما يصدق ، على الاستقلال الذى أحرزته دولة قطر ، فتحررت عن طريقه من كل تبعية ، ومارست من خلاله ارادتها الكاملة في كافة المجالات والميادين ، بوصفها دولة حرة ذات سيادة ، بكل مافي ذلك التعبير من معنى .

ويشكل ميدان « التربية والتعليم » واحدا من أهم هذه الميادين والمجالات التي ظفرت في ظل سنوات الاستقلال بجل عناية الدولة وكامل رعايتها .

ولعل نظرة سريعة على بعض الأرقام الاحصائية ، ستكون كفيلة بأن تكشف لنا كشفا بينا ، عن مدى التطور الهائل الذى شهدته العملية التربوية في دولة قطر ، خلال أربعة عشر عاما مجيدة ، هى عمر الاستقلال في دولتنا الفتية .

الوضع قبل الاستقلال

فإذا ما رجعنا الى الوراء قليلا ، وبالتحديد الى ما قبل الاستقلال مباشرة ، وبتحديد أكثر الى العام الدراسي ١٣٩٠ ـ ١٣٩١ هـ (١٩٧٠ ـ ١٩٧١ م) ، فاننا سنجد أن العدد الاجمالي للطلاب في جميع مراحل التعليم المختلفة ، لم يبلغ سوى ١٨٥٣١ طالبا وطالبة ، وقد كان توزيعهم وفق المراحل المختلفة كالتالي :

- المرحلة الابتدائية :

بلغ العدد الاجمالي ١٤٤٧٩ تلميذا وتلميذة . البنون عددهم ٧٩٤٩ تلميذا ، والبنات عددهن ٦٥٣٠ تلميذة .

- المرحلة الاعدادية :

بلغ العدد الاجمالي ٢٥٣٧ تلميذا وتلميذة ، البنون عددهم ١٦٣٨ تلميذا ، والبنات عددهن ٨٩٩ تلميذة .

- المرحلة الثانوية :

بلغ العدد الاجمالي ٩١١ طالبا وطالبة ، البنون عددهم ٦٢٧ طالبا ، والبنات عددهن ٢٨٤ طالبة .

- المعهد الديني :

بلغ العدد الاجمالي لطلاب المعهد في كل الصفوف الدراسية ، وفي الشعبتين الأدبية والعلمية كلتيهما ١٥٨ طالبا .

- دار المعلمين العامة :

بلغ العدد الاجمالي ٢٣٧ طالبا وطالبة ، بينهم ١٢٣ طالبا بدار المعلمين و١١٤ طالبة بدار المعلمات .

- مدرسة التجارة الثانوية :

بلغ العدد الاجمالي في جميع الصفوف ٦٦ طالبا .

- مدرسة الصناعة :

بلغ العدد الاجمالي لجميع الصفوف في كلتا المرحلتين الاعدادية والثانوية ١٤٣ طالبا .

هذا هو الوضع الكمي لحجم العملية التعليمية قبيل الاستقلال مباشرة (١٣٩٠ ـ ١٣٩١ هـ الموافق ١٩٧٠ ـ ١٩٧١م) ، واذا ما قابلنا هذه العينة الاحصائية بمثيلتها بعد أربعة عشر عاما من مسيرة الاستقلال المجيدة ، لاستطعنا أن نقف على البون الشاسع بين مرحلة ما قبل الاستقلال ، وبين ما تم خلال مسيرة الاستقلال المباركة ، ولأمكننا في نفس الوقت ، أن نرصد حجم التطوير الهائل الذى تم احرازه في ميدان التربية والتعليم خلال هذه الأعوام الميمونة ، أعوام السيادة وتحقيق الارادة الحرة .



الاحتفال بيوم العلم

والجدول التالي، يلخص المقارنة بين ماكان عليه الوضع في ميدان التربية والتعليم بالأرقام، وبين مآل إليه خلال سنوات الاستقلال، سنوات العمل الشاق المثمر:

المرحلة التعليمية	١٩٧١/١٩٧٠م	١٩٨٥/١٩٨٤م
عدد طلاب المرحلة الابتدائية	١٤٤٧٩	٣١٨٨٦
عدد طلاب المرحلة الاعدادية	٢٥٣٧	١٢٧٠٣
عدد طلاب المرحلة الثانوية	٩١١	٧٩٧٨
عدد طلاب المعهد الديني	١٥٨	٤١٢
عدد طلاب مدرسة التجارة	٦٦	٩٦
عدد طلاب مدرسة الصناعة	١٤٣	١٥٣
المجموع	١٨٢٩٤	٥٣٢٢٨

ولا نود أن نستخلص دلالة الأرقام، قبل أن نشير الى التطور الكبير في حجم البعثات التعليمية القطرية الى البلاد العربية والآسيوية والأوروبية والأمريكية، حيث بلغ عدد أفراد الطلاب المبعوثين في العام الدراسي المنصرم (١٤٠٤ — ١٤٠٥هـ الموافق ١٩٨٤ — ١٩٨٥م) ١٠٥٠ مبعوثا، من بينهم ١٢٨ طالبا و ١٣٧ طالبة يعدون لدرجة الماجستير، ومن بينهم ٤٠ طالبا و ١٦ طالبة يعدون لدرجة الدكتوراه. أما الجامعيون فقد بلغ عددهم سبعمائة طالب وطالبة، عدا المبعوثين للتعليم الخاص.

وتشير الاحصائيات الى أن الطلبة والطالبات المتوقع تخرجهم من هؤلاء المبعوثين في نهاية العام الدراسي الحالي، يبلغ عددهم ١٤٥ طالبا وطالبة، ويتوزعون كالتالي:

— طلبة الدراسات العليا: عشرة طلاب بينهم ستة بالماجستير وأربعة بالدكتوراه.

— طالبات الدراسات العليا: سبع عشرة طالبة، بينهن احدى عشرة طالبة بالماجستير وست طالبات بالدكتوراه.

— الجامعيون: ثمانية وتسعون طالبا، بينهم سبعون بالتخصصات العلمية وثمانية وعشرون بالتخصصات الأدبية.

— الجامعيات: عشرون طالبة، بينهم ست طالبات بالتخصصات العلمية وأربع عشرة طالبة بالتخصصات الأدبية.

ويظهر من الأرقام، مدى الطفرة التي حدثت في ميدان التربية والتعليم خلال سنوات قلائل هي عمر الاستقلال القطري، مع وعينا ببعض الجوانب التي لا تزال بحاجة الى جهد خاص، لا سيما في مجال التعليم التخصصي، الذى حالت بعض الظروف الاجتماعية دون وصوله الى نفس مستوى التطور الذى نلمسه بسهولة في جميع مراحل التعليم العام.

كما أن هناك بعض المشكلات التربوية الأخرى التي تعمل الوزارة جاهدة على دراستها والوقوف على أسبابها من أجل تجنب حدوثها. مثل مشكلة التسرب التي تظهر واضحة في تعليم البنين خاصة، وغير ذلك من المشكلات التعليمية التي تحرص الوزارة دائما على معالجتها بأسلوب علمي موضوعي، للوصول الى أنجع الحلول وأكثرها مواءمة لواقعنا الاجتماعي ولبيئتنا العربية الاسلامية.

النهضة التعليمية المأمولة

ولم تكن تلك الارقام الا عينة احصائية تشهد على صعود الخط البياني للعملية التربوية في دولة قطر، صعودا يشير الى الخطوات الحثيثة التي قطعتها دولتنا الفتية خلال سنوات الاستقلال الميمونة، تجاه النهضة التعليمية والثقافية والتربوية المأمولة.

ولئن تكن هذه الأرقام مقتصرة بطبيعتها على ايضاح التطور الكمي فحسب، فان الكثير من أوجه التطوير الكيفي في العملية التربوية، قد تم انجازه بحيث يكتمل للنهضة التعليمية جانباها الكمي والكيفي، دون اقتصار على جانب دون الآخر. وتكفي الاشارة في هذا الصدد الى التطوير المستمر للمناهج الدراسية والوسائل التعليمية بحيث تساير أحدث النظريات التربوية وأكثر الطرق ملاءمة للبيئة العربية الخليجية والتقاليد الاسلامية الراسخة، مع الاحتفاظ في الوقت نفسه، بالقدرة على مجاراة روح العصر بكل ماتمثله من تقنية وتقدم نحو الأفضل.

ولا يسعني في النهاية إلا أن أرد الفضل لأصحابه، فأنوه بالرعاية الكريمة والعناية الفائقة، التي أولاها قائد مسيرة الاستقلال المباركة، حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر المفدى، وسمو ولي عهده الأمين، الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، للنهضة التعليمية التربوية في دولتنا الفتية، حيث كان لجهودهما المخلصة، الفضل الأكبر في هذه النهضة الحقيقية، التي نرجو لها مزيدا من الازدهار تحت رعايتهما الكريمة.

محمد بن حمد آل ثاني



سياسة قطر خلال سنوات الاستقلال

بقلم
الشيخ أحمد بن سيف آل ثاني
وزير الدولة للشئون الخارجية

تنتهج قطر منذ استقلالها في الثالث من سبتمبر ١٩٧١ سياسة خارجية متوازنة ، محايدة وواضحة المعالم ، تتخذ من الشريعة الاسلامية السمحة مسلكاً ومن مواثيق الجامعة العربية والأمم المتحدة ومنظمة المؤتمر الإسلامي منهجاً ومن الوحدة العربية هدفاً .

وخلال سنوات الاستقلال القصيرة شقت قطر طريقها إلى المجتمع الدولي وتبوأت مكانة قل أن تصلها دولة في مثل هذه الأعوام المحدودة من الزمن .

وتمت هذه الانطلاقة الرحبة بفضل السياسة الحكيمة التي أرسى قواعدها حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى ورعاية ومتابعة سمو ولي عهده الأمين لهذه السياسة وجهود مجلس الوزراء ومجلس الشورى المخلصة والأمينة في تنفيذ هذه السياسة .

ومنذ البداية وقطر تنشد توطيد الصداقة مع دولنا الخليجية والعربية والاسلامية وتوثيق الروابط مع كافة البلدان والشعوب المحبة للسلام ، وذلك على أساس من الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة ، مساهمة في كل ما من شأنه أن يدعم الأمن والسلم العالميين ويكفل الرفاهية والرخاء للأسرة الدولية .

علاقة التعاون

ويتمثل الهدف الأسمى لهذه السياسة في ترسيخ علاقات التعاون مع دول الخليج العربية ، حيث التزمت قطر بالحرص على تدعيم البنيان الخليجي جاهدة في العمل ضمن هذا المجتمع الواحد ، مساهمة في كل مايحقق رفعة وتقدم وتماسك هذا المجتمع .

وقامت قطر ولا زالت بدورها في تشييد البيت الخليجي وتعاونت مع بقية دول الخليج العربية في تثبيت دعائم هذا البيت وتحقيق آمال وتطلعات شعوب هذه المنطقة في ايجاد كيان خليجي متكامل يكون نواة للوحدة الخليجية الكبرى . وكان من جراء ذلك أن انبثق مجلس التعاون لدول الخليج العربية بوصفه البوتقة التي تتفاعل فيها جهود وأهداف المجتمع الخليجي وشعوبه ، لتنصهر في طاقات جديدة خلاقة يعم خيرها على الجميع .

وقد أكد سمو الأمير المفدى هذه الحقيقة بقوله « نحن هنا في قطر نؤمن بضرورة تضافر جهودنا في المنطقة لتترجم واقع حقيقة تطلعنا المشترك إلى صيغة ملائمة لنا تحقق بها ما نبتغيه من استكمال مسيرتنا نحو توثيق عرى التعاون والترابط بيننا وصولاً إلى تكاملنا في مختلف المجالات الحيوية » .

وقد قرنت قطر القول بالعمل وقامت بدورها كاملاً داخل مجلس التعاون وشاركت في جميع المؤتمرات واللقاءات المنبثقة من المجلس لتساهم في دعم مبادئ التعاون والتكامل الخليجي في شتى نواحيه السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية .

وتؤمن قطر إيماناً راسخاً بأن وحدة المصير والهدف تفرض إيجاد هذا النوع من الترابط والتكامل المنظم والمتين ، حتى يصبح بالامكان خلق القوة التي يمكن الاعتماد عليها في الحفاظ على مكتسبات التعاون ومقدرات هذه المنطقة وضمان أمنها واستقلالها والدفاع عنها في وجه الأخطار . وينطلق هذا الايمان من حقيقة لا مراء فيها وهي أن دول الخليج العربية كل مترابط يتأثر أي جزء منه بما يحدث في الجزء الآخر .

وتمضي قطر في سياستها هذه إلى مجال أوسع هو المجال العربي ، فهي جزء لا يتجزء من الوطن العربي الكبير من مشرقه إلى مغربه ، تشارك هذا الوطن همومه وأفراحه واضعة نصب عينها الهدف العربي الأسمى في الوحدة والتضامن ملتزمة في كل ظرف وزمن بميثاق جامعة الدول العربية وأهدافها . وفي هذا المجال توجه قطر جل اهتمامها إلى تدعيم التضامن العربي بوصفه أمضى أسلحة العرب وأكثرها قدرة وفاعلية في مواجهة الملمات والأخطار والدفاع عن الأرض والحقوق العربية .

ولم تتأخر دولة قطر في سبيل ذلك عن أي مسعى يحقق اعلاء كلمة العرب ولم تقصر في أي



سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، يترأس وفد دولة قطر لاجتماعات مؤتمر القمة العربي الطارىء في الدار البيضاء بالمغرب

جهد يوفر الخير والرفاء للأمة العربية ويصون استقلالها

قضية فلسطين

وتضع قطر قضية العرب الأولى ، قضية فلسطين في مكان الصدارة من اهتماماتها العربية ، ويجسد سمو الأمير هذا المبدأ بالقول : « إن القضية الفلسطينية هي جوهر أزمة الشرق الأوسط وإن حلها حلاً عادلاً وشاملاً يرد للشعب الفلسطيني كامل حقوقه المشروعة هو وحده مفتاح السلام في المنطقة »..

وتطبيقاً لهذه السياسة شاركت قطر في جميع اللقاءات العربية التي استهدفت رفع الظلم عن الشعب الفلسطيني واسترجاع حقوقه السليبة ، وانهاء الاحتلال الاسرائيلي البغيض لأرضه وتخليص مقدسات العرب من يد العدو الباغي.

وإلى جانب ذلك فإن قطر بانتمائها الاسلامي لا تدخر جهداً في سبيل تمتين الروابط الاسلامية وتوحيد العمل الإسلامي وتوجيه هذا العمل الوجهة التي تخدم أمة الاسلام وقضاياها وتحقيق رفعة شأنها . وقد ترجم سمو الأمير هذه الحقيقة قائلاً « إن أمتنا الاسلامية تنعم بحمد الله بوفرة من مقومات القوة الذاتية التي تتمثل فيما تملكه من الطاقات الهائلة ، ولاشك أن في امتلاك هذه الطاقات ما يكفل لها اعتلاء المكان اللائق بها في الصف الأول بين أمم العالم قوة ومنعة وارتقاء »..

ومن هنا كان حرص دولة قطر الدائم والكبير على عدم إهدار طاقات المسلمين ، وقد نادت وسعت باخلاص إلى إدخار الجهد الاسلامي المهدور بسبب الحرب بين ايران والعراق ، وإلى ضرورة توفير هذا الجهد ليؤازر المساعي والأهداف الاسلامية الكبرى في نشر لواء الاسلام وتوحيد كلمة المسلمين والدفاع عن قضاياهم في القدس وأفغانستان وكل مكان . واتخذت قطر من التعاون داخل منظمة المؤتمر الاسلامي هدفاً لتنسيق وتنظيم مختلف الأنشطة والفعاليات الاسلامية ، وأدت دورها بأمانة خلال مختلف اللقاءات الاسلامية مستلهمة قوله تعالى : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ».

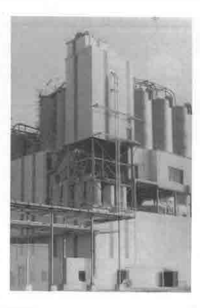
وتواصل قطر عملها على المستوى الدولي من خلال منظمة الأمم المتحدة وهيئاتها المختلفة ملتزمة بمبادئ ميثاقها الداعية إلى إقرار الأمن والسلم الدوليين واحترام حقوق الإنسان ورفع الظلم عن الشعوب وتحقيق الخير والازدهار لجميع أمم العالم .

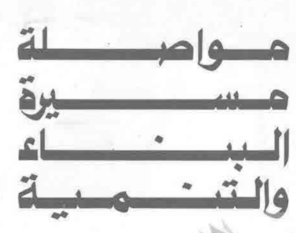
كما تلتزم قطر بمبدأ عدم الانحياز وتدافع عن أهداف هذه الحركة في حل كافة أنواع المشاكل الدولية دون اللجوء إلى القوة ، وتقريب الشعوب من بعضها وتأسيس العلاقات فيما بينها على أساس الاحترام والتعاون المتبادل .

وتبرز خلال هذا المضمار مساهمة قطر في تخفيف التوترات الدولية . وتأييد كفاح الشعوب التي تخضع للاستعمار ووضع حد للتفرقة العنصرية ، ومساندة حقوق الشعوب والدول في السيادة على ثرواتها .

ضمن هذا النطاق العربي والاسلامي والدولي رسمت قطر سياستها خدمة للأهداف الإنسانية النبيلة ، وقامت بما عليها من واجبات وحافظت على مالها من حقوق فكسبت المكان الذى تتربع عليه الآن وحظيت بالاحترام والتقدير الدوليين .

أحمد بن سيف آل ثاني





مواصلة مسيرة البناء والتنمية

لو حاولنا أن نلقى نظرة سريعة على ما تحقق فى مجال الاقتصاد والشئون المالية لواجهتنا علامات مضيئة لا تحصى ولاتعد . أبرز هذه العلامات ما ترتكز عليه السياسة المالية فى دولة قطر . ان الخطط الموضوعة هدفها مضاعفة برامج التنمية وتوزيع مصادر الدخل القومى ، وذلك بالتوظيف الأنسب للعائدات البترولية فى الأنشطة الاقتصادية المتعددة داخل الدولة وخارجها . والهدف من ذلك أن يتحقق مردود أفضل يضع الخطوات التى تخطوها البلاد على سلم الاكتفاء الذاتى ..

والمعروف أن وزارة المالية والبترول تتولى مسئولية الاشراف على السياسة المالية ، وتوجيه الشئون البترولية فى الدولة . وتسهم الوزارة من خلال صلاحياتها الواسعة فى موضوع خطط الانفاق العام وطرق التمويل وبرامج الاستثمار ومراجعة مشروعات الميزانية لوزارات ومؤسسات الدولة ومراقبة تنفيذها وإعداد الحساب الختامى لها . وتنظيم التعاون الفنى مع المنظمات الدولية المتخصصة ، ورعاية الحقوق المترتبة للدولة . وتنفيذ التزاماتها المرتبطة بها فى معاملاتها الدولية ..

وفى ضوء هذا الدور الذى تقوم به وزارة المالية والبترول فقد أصدر معالى وزير المالية والبترول الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثانى فى مناسبة صدور الميزانية العامة للدولة فى ٤ شعبان الماضى ١٤٠٥هـ الموافق ٢٤ أبريل ١٩٨٥م ، بيانا أوضح فيه المرتكزات الأساسية للموازنة العامة . وأشار معاليه الى تأثر دخل الدولة من البترول السلعة الرئيسية التى تعتمد عليها الموازنة العامة وذلك بتباطؤ الاقتصاد العالمى الحالى . وأوضح فى هذا الصدد أنه روعى عند إعداد الموازنة أن يكون تقدير أرقامها على أسس واقعية تقوم على التحفظ فى تقدير الواردات وضغط النفقات وترشيدها ، دون الاخلال بمستوى الخدمات والانتاج ، مع تنشيط القطاع الخاص ، لما لذلك من أهمية قصوى على مسيرة الاقتصاد القطرى .

ولقد بلغت الايرادات الحكومية المقدرة فى الموازنة الأخيرة كما قال معاليه ٩٧٣٧ مليون ريال ، فى حين بلغت المصروفات العامة المقدرة ١٥,٦٠٧ مليون ريال ، يضاف إليها التزامات خارج الموازنة بمبلغ ١٤٤١ مليون ريال ، وبذلك يكون العجز المقدر بمبلغ ٧٣١١ مليون ريال . ولقد أولت الحكومة اهتماما ملحوظا فى الميزانية الجديدة للمشروعات الرئيسية ، انطلاقا من حقيقة أن الانفاق فى هذا القطاع يحقق جملة أهداف رئيسية .

ولقد قال معالى الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثانى فى هذا الصدد إن الحكومة أولت المشروعات الرئيسية العامة عناية خاصة باعتبارها المحرك الرئيسى لعجلة الاقتصاد الوطنى . فقد تم رصد

مبلغ ٣٨٠٠ مليون ريال لهذه المشروعات في ميزانية العام الجديد ، يضاف إليها مشروعات خارج الموازنة قيمتها ١٣٤١ مليون ريال للمؤسسة العامة القطرية للبترول والشركات والمؤسسات المساهمة بها ، وقروض عقارية ، وبذلك يصبح الاجمالي ٥,١٤١ مليون ريال .

وروعي في تحديد مخصصات المشروعات الرئيسية كما قال معاليه توزيعها على عدد كبير من المشروعات التي تخدم البيئة القطرية من ناحية ، وأن تكون عاملا مساعدا على تنشيط الحركة الاقتصادية في البلاد من ناحية أخرى . وأهاب الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثاني في بيانه بجميع المسئولين في الوزارات والادارات الحكومية بالتقيد التام بالاعتمادات المرصودة في الموازنة وعدم تجاوزها مهما كانت الأسباب وضرورة توزيع مخصصات جميع البنود ، بحيث تغطي كامل مدة الموازنة مع اجراء رقابة مستمرة على المصروفات ، حتى نتمكن من التغلب على الآثار المترتبة على انخفاض العائدات البترولية ومواصلة مسيرة البناء والتنمية ..

وما قاله معالي وزير المالية والبترول يعكس هدفا من الأهداف التي يجب أن يسعى اليه الجميع ، كما يعكس أبعاد ذلك الدور الهام الذي تقوم به وزارة المالية والبترول في مسيرة الحياة الاقتصادية في البلاد ، وتجدر الاشارة هنا الى أن الاقتصاد القطري يعتمد أساسا على استغلال البترول والغاز الطبيعي ، وما يدور حول ذلك من صناعات تكميلية ..

والسياسة التي تتبعها البلاد في هذا المجال هي سياسة بترولية وطنية بتوجيه من سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ..

ولقد أدت هذه السياسة فيما أدت إلى أن بسطت الدولة سيطرتها الكاملة على مواردها الهيدروكربونية ، وتملكتها بالكامل . وكان من نتيجة ذلك أن بدأت خطوات تحقيق الاستغلال الأمثل لتلك الموارد ، وتطوير الكوادر الوطنية العامة في هذا الميدان ، وذلك بعد إعطاء وزارة المالية والبترول صلاحيات تنفيذ السياسة البترولية للدولة ..

وأدت هذه السياسة الرشيدة إلى انطلاق انتاج النفط الخام وزيادة الصادرات ، وبرزت الصناعات التكميلية كالتكرير والأسمدة الكيماوية والغاز الطبيعي وتصنيعه ، ومشروع حقل الشمال ، ومجمع البتروكيماويات ..

كما أن المشروعات المستقبلية في دولة قطر تقوم على تطوير مشروع الغاز في حقل الشمال ، ذلك المشروع الذي سيجعلها من الدول الرئيسية المنتجة للغاز ، كما أنه سيؤدي إلى تنمية الموارد الانتاجية



معالي الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثاني وزير المالية والبترول

بشكل ملموس ، حيث أنه يختلف بطبيعته عن المشاريع التنموية الأخرى التي لابد من اخضاعها لسلم أولويات واضح مع مراعاة الموارد المالية المتوقعة . ويتم الآن تطوير الحقل ، خاصة وأن الطلب على الغاز في زيادة مطردة ، ومن المتوقع أن يزداد الطلب عليه بشكل كبير في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات ، وسيصاحب المشروع تطوير عدد من المشاريع الاقتصادية الكبرى التي تعتمد على الغاز من صناعات بتروكيماوية وصناعات أسمدة وصناعات أخرى تعتمد على الطاقة الرخيصة .

وكما نعرف في السنوات الماضية ، وبعد القرار التاريخي بالسيطرة الكاملة على ثروات البلاد عام ١٩٧٤ ، بدأت مرحلة جديدة في تطوير وتوسيع الصناعات القائمة على الطاقة البترولية والاستفادة الكاملة من الغاز الطبيعي واستكمال صرح صناعة ضخمة في منطقة أم سعيد ، تضم العديد من الصناعات الثقيلة وأهمها البتروكيماويات والأسمدة الكيماوية والحديد والصلب والأسمنت وغيره ..

فقد قطعت دولة قطر شوطا كبيرا في طريق التصنيع من أجل التنمية الاقتصادية ، وكان الهدف ولا يزال هو استغلال فترة الرخاء النفطي لمواجهة المستقبل .. ومن هنا كان الحرص على توسيع القاعدة الانتاجية ، وتقليل الاعتماد ــ شبه الكلي ــ على مصدر وحيد للدخل ، وبالتالي بناء اقتصاد متوازن يستطيع مواجهة أية تقلبات جديدة في المستقبل ، ومن ثم ضمان مستقبل أكثر طمأنينة ورخاء للأجيال القادمة .



العمل الاجتماعي
من أجل النهوض بالإنسان القطري

بقلم: علي بن أحمد الأنصاري
وزير العمل والشئون الاجتماعية

مع عمق الانجازات والمكاسب والتحولات الحقيقية التي تمت في عهد الاستقلال داخل دولة قطر الفتية ، وبرعاية سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني قائد نهضتها الحديثة ، كان الجانب الاجتماعي ولا يزال هو أحد أهم الجوانب التي شهدت العديد من الاضافات والاضاءات والعلامات المميزة . وكان الهدف الاجتماعي الدائم والأصيل هو بناء الانسان القطري عماد النهضة ودعامة التطور والنمو ، وتهيئة كل الظروف الممكنة التي تجعل من هذا الهدف حقيقة واقعة ، وتحقق للجميع الاستقرار الاجتماعي المنشود .

ومن هنا وانطلاقاً من هذا المفهوم العام فقد جاء الاصلاح الاجتماعي في مقدمة الأهداف التي تحرص عليها حكومة قطر الرشيدة بقيادة رائد نهضتها حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني وولي عهده الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني . واضطلعت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية بدورها في تحقيق كل مايصل بالبلاد إلى هذه الخطوة البناءة ، والاشتراك الحقيقي والفعلي في عملية التطوير التي تشهدها البلاد . وفي هذا السبيل فقد قطعت الوزارة بكل أجهزتها أشواطاً هائلة ، من أجل توفير كافة الخدمات الاجتماعية ، والوصول بها إلى كل مواطن ومقيم على هذه الأرض الطيبة

عمل قياسي

والمتتبع للخطوات التي خطتها الوزارة في هذا السبيل سوف يرى أن ماتم ، بكل المقاييس يعتبر عملاً قياسياً بالنسبة للسنوات التي شهدت نهضة البلاد . وقد كان هذا ضرورياً حتى نسابق الزمن ، ونعمل على تحقيق كل مايمكن تحقيقه في المجال الاجتماعي ، ليواكب المواطن تطورات العصر ، ويعيش حياة آمنة مستقرة ، هانئة ، تدفعه إلى الانتاج ، وتوفر له كافة الامكانيات والخدمات ..

وكان لزاماً أن تتطور أجهزة الوزارة أولاً ، حتى يمكنها مواكبة هذا التحول الاجتماعي الكبير . وحتى تستطيع أن تلاحق المتطلبات الجديدة في المجال الاجتماعى . وهكذا طورت إداراتها وتعززت الأقسام التابعة لها ، ووضعت الضوابط التي تحكم سير العمل فيها . وكان أن تبلور كل ذلك بصدور القانون رقم ٨ لسنة ١٩٨٢ بتنظيم وزارة العمل والشؤون الاجتماعية ، الذي حدد أهدافها وصلاحياتها ونظامها الداخلي ووحداتها الادارية التي أصبحت تضم الادارات التالية : إدارة العمل ، إدارة الشؤون الاجتماعية ، إدارة الاسكان الشعبى ، إدارة التعاون ، إدارة العلاقات الدولية والشؤون الفنية ، إدارة الشؤون الإدارية والمالية .. الأمر الذي عمل على تأمين سير العمل الإدارى بها وتنسيقه بشكل يكفل لها القيام بمسئولياتها على أكمل وجه .

وفى مجال العمل صدرت العديد من التشريعات التي تعمل على تأمين الحياة المستقرة الكريمة للمواطن القطري . ولقد أولت الحكومة هذا الجانب كل اهتمامها منذ نهاية الخمسينيات . وكان أن أنشئت دائرة للعمل في عام ١٩٥٥ م تهتم بتوفير القوى العاملة في البلاد ، وتدعيم العلاقات الودية بين العمال وأصحاب الأعمال . وعملت هذه الدائرة على اعداد مشروع قانون للعمل ينظم هذه العلاقة بين العامل وصاحب العمل ، وعلى الاشراف على شركات البترول العاملة في البلاد . وصدر أول قانون للعمل في قطر هو القانون رقم ٣ لسنة ١٩٦٢ ، وتلاه القانون رقم ٤ لسنة ١٩٦٢ بانشاء محكمة للعمل للفصل في المعاملات بين العمال وأصحاب الأعمال والناشئة عن تنفيذ أي حكم من أحكام قانون العمل ..

وفي هذا المجال أيضاً حرصت الوزارة على أن تولي تنظيم حركة العمالة في الدولة اهتماماً كبيراً ، وتعاونت في ذلك مع كافة الأجهزة المعنية ، وفي تنظيم استقدام العمالة العربية والأجنبية ، مراعية في ذلك احتياجات البلاد الفعلية من هذه العمالة . وفي هذا الصدد عقدت الوزارة خمس اتفاقيات في اطار التعاون الفعال بين قطر وشقيقاتها العربيات ، وذلك مع مصر وتونس والمغرب والسودان والصومال . ويتعاون قسم الاستخدام في الوزارة مع بقية الأجهزة الأخرى ومع الجهات المختصة بوزارة الداخلية بالعمل على ضبط عملية استقدام العاملين من الخارج ، والنظر في طلبات الباحثين عن العمل أو العمال في داخل البلاد ، واصدار بطاقات العمل اللازمة ، وحفظ كافة السجلات الخاصة بالعمالة الوافدة ..

وكان أن سعت الوزارة كذلك إلى تطوير قسم التفتيش والعلاقات الصناعية ، وهو القسم الذي يقوم بدور هام في حل المشاكل بين العمال وأصحاب الأعمال وفقاً للقانون وبالطرق الودية ، كما أن هذا القسم أصبح يقوم بدور ملموس آخر في التحقق من تطبيق أحكام قانون العمل بالتفتيش على المنشآت والمؤسسات المختلفة . وفي الوقت نفسه فقد قامت الوزارة أيضاً بتدعيم قسم آخر من أقسامها هو الصحة والسلامة المهنية ، بحيث يقوم بدوره الفعال في مراقبة اجراءات السلامة المهنية داخل المؤسسات الصناعية ، بالتعاون مع الجهات المختصة في وزارة الصحة ، وذلك لحماية العمال من أخطار المهنة والتأكد تماماً من مدى ملائمة



مساكن شعبية حديثة

المساكن الخاصة بهم لكافة المواصفات الصحية المطلوبة .

الاصلاح الاجتماعي

وفي مجال الشؤون الاجتماعية فقد ارتفع شعار الاصلاح الاجتماعي الذي جاء في مقدمة الأهداف ، ايماناً منها بأن هذا الاصلاح إنما هو الركيزة التي يعتمد عليها التطور الحضاري للأمة .

وهكذا انطلقت في الواقع مجموعة من المفاهيم والمبادئ الاجتماعية التي تعد وبحق ثورة في التشريع الاجتماعي ، وضعت قطر ولاتزال في مقدمة الدول التي ترعى مواطنيها رعاية اجتماعية على أعلى مستوى من الكفاءة والأداء والسهولة واليسر ..

وحتى يصبح ذلك كله واقعاً ملموساً تدعمت أجهزة الوزارة المختصة بالكوادر المتخصصة ، وانتشر الوعي الاجتماعي وشجعت المشاركة الشعبية في مجال الخدمة الاجتماعية ، وقامت جمعيات ومراكز أهلية للرعاية الاجتماعية منها الجمعية القطرية لرعاية المعوقين التي قامت بجهد ذاتي مشكور وعمل تطوعي انساني .

وفي الوقت نفسه أخذت الوزارة في تقديم المساعدة الاجتماعية لمن يحتاجها ، وقد بلغت جملة المبالغ التي قدمتها الوزارة عام ١٩٨٤ حوالي ٧٧ مليون ريال شملت ٦٨٨٦ حالة ، كما تم افتتاح مكتبين في مدينتي الخور والشمال لتقديم الخدمات الاجتماعية للمواطنين في أماكن إقامتهم ، وقد زود قسم المساعدات الاجتماعية بالمحققين والمحققات ذوي الكفاءة ، وأنشئ مركز التدريب والتأهيل الاجتماعي ، وانتشرت في كافة أنحاء البلاد مكاتب الخدمات الاجتماعية ، ومراكز التدريب على الحرف والمهارات للمرأة القطرية لصقل مواهبها وقدراتها ، وخاصة تلك التي لم تنل حظاً وافراً من التعليم ، للاسهام في رفع المستوى المادي والاجتماعي لعدد كبير من الأسر ، ودفعاً لأفرادها للاشتراك في نهضة المجتمع القطري وتقدمه ..

وبالنسبة لخدمة الرعاية الاجتماعية ، فمن أجل تحسين مستوى الأداء لهذه الخدمة التي تقدمها الدولة للفئات المحتاجة كالأرامل والمطلقات والايتام والمعاقين والعاجزين وغيرهم من أبناء هذا الوطن ، اهتمت الوزارة بتدعيم جهازها الوظيفي والاداري المشرف على عمليات خدمة الرعاية الاجتماعية ، وقد قامت الوزارة بالتعاون مع بعض المواطنين المتطوعين بانشاء جمعية لرعاية المعوقين من أجل توفير أكبر قدر من الرعاية الصحية والاجتماعية والنفسية لهم .

الجمعيات التعاونية والمساكن

وايمانا من الدولة بالحركة التعاونية ودورها في خدمة المواطنين ، فقد قامت الوزارة بتشجيع الجمعيات التعاونية وتقديم المساعدات الممكنة لها ، فانتشرت هذه الجمعيات في كثير من المناطق ، وبلغ عددها حتى الآن تسع جمعيات ، وسوف تزداد في القريب بعد افتتاح عدد آخر في مناطق أخرى من البلاد .

وايماناً من الدولة أيضاً بضرورة توفير المسكن الصحي المناسب للمواطن القطري فقد قامت إدارة الاسكان الشعبي بدورها في هذا المجال الهام ، وذلك بتطبيق قانون الانتفاع بنظام المساكن الشعبية لذوي الدخل المحدود ، وهو نظام فريد في نوعه ، نظراً للتسهيلات والمزايا التي تقدمها الدولة للمواطنين ، وتتمثل في منح المنتفع قطعة أرض بدون مقابل وقرض بدون فوائد يسدد المنتفع ستين في المائة من قيمته على أقساط طويلة الأجل . ويضاف إلى ذلك منحة قدرها عشرون ألف ريال للتأثيث . ومازالت الخطة تسير في تشييد المزيد من المساكن الشعبية العصرية للمواطنين .. وقد بلغت المساكن التي وزعت على أصحابها عام ١٤٠٤ هـ (٨٠٧) مساكن منها ١٥٠ مسكناً شعبياً و ٢٩٧ مسكناً للعجزة ، وسوف توزع خلال هذا العام ١٤٠٥ هـ حوالي ١٢٢٩ مسكناً في مناطق مختلفة من الدولة .

ولقد انضمت دولة قطر إلى العديد من الهيئات والمنظمات العربية والدولية العاملة في المجال الاجتماعي ، وكانت الوزارة ولا تزال حريصة على أن يكون لقطر صوت مسموع داخل هذه الهيئات والمنظمات ، وخلال الندوات والمؤتمرات المختلفة . وقد أتاح هذا في الواقع فرصة التعرف على تجارب الدول الأخرى ، ووضع الخطوات التي خطتها قطر في مكانها الصحيح أمام العالم كله . وفي هذا الصدد تجدر الاشارة إلى أن هناك تعاونا مثمراً ومستمراً بين أجهزة الوزارة المتعددة ، وغيرها من الجهات العالمية بهدف الاطلاع والبحث والمشاورة والدراسة والاستفادة .

وهكذا قامت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية ولا تزال تقوم في ظل الاستقلال وبرعاية قائد المسيرة سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى بدورها وفق المنهج العلمي الحقيقي والثابت . فقد أصبحت الخدمات جادة والمجهودات مخلصة لرفع مستويات المواطنين . وكل هذا ينهض على أساس تخطيط ودراسة جميع السكان في مختلف الفئات والقطاعات في شتى المجالات . والله نسأل أن يوفقنا جميعاً لخدمة هذا البلد الغالي في ظل قائد مسيرته حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني وولي عهده الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ، جعلهما الله عوناً وسنداً لهذا البلد المعطاء ، ولأمتهم العربية والاسلامية جمعاء .

علي بن أحمد الانصاري





عيسى غانم الكوارى
وزير الاعلام



محمد عبد الرحمن الخليفي
وكيل وزارة الاعلام



وزارة
الاعلام القطرية

منذ بدأت دولة قطر خطواتها الأولى على طريق الحداثة بتولى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى مقاليد حكمها ، والاعلام يحظى ببالغ العناية وكثير الاهتمام . وذلك لادراك المسئولين عن الاعلام بأهمية الدور الذى يقوم به الاعلام فى عالم اليوم سواء فى الداخل أو الخارج .

ولقد سار التطور الاعلامى فى قطر بخطوات وئيدة ومحسوبة ، مواكبا بذلك خطوات الدولة فى جميع مجالات الانتاج والعمل ، مشاركاً بكل طاقته فى كل الجهود التى تبذل لرفعة شأن الوطن والارتقاء بمستوى المواطن ، من هنا تعمل وسائله المقروءة والمسموعة والمرئية بدأب على توصيل كلمتها الى هدفها ، كما تعمل أيضا بكل الهمة على تجديد وتحديث وسائلها كى يكون لتلك الكلمة الصدى المرجو والأثر المستهدف .

ولنستعرض بنظرة سريعة عناصر التجدد والتحديث فى وسائل الاعلام المختلفة فى دولة قطر . نقصد بذلك أننا سوف نسوق أمثلة على ذلك التجدد المستمر وذلك التحديث المتواصل .

الدقة والموضوعية فى الاذاعة

تصل ساعات البث الاذاعى الى ما يزيد على أربعين ساعة يوميا باللغات العربية والانجليزية والفرنسية والاوردية .

البرنامج العام لاذاعة قطر يبث تسع ساعات يوميا ويبث البرنامج الانجليزى ثمانى عشرة ساعة ونصف يوميا . ويبث البرنامج الشعبى ثلاث ساعات يوميا ، كما يبث البرنامجان الفرنسى والاوردى ثلاث ساعات يوميا .

وتضم اذاعة قطر أربعة عشر استوديو اضافة الى أستوديو أتوماتيكى لبث الموسيقى الغربية ، ومن بين هذه الاستوديوهات أستوديو كامل التجهيز للاعمال الدرامية وتسجيل الاغانى ويستوعب فرقة أوركسترا كاملة كما يضم مبنى الاذاعة مسرحاً اذاعياً لاقامة الندوات وتسجيل برامج المسابقات .

وتبلغ محطات الارسال فى اذاعة قطر اثنتى عشرة محطة يغطى ارسالها كافة أقطار الوطن وأجزاء من آسيا وأفريقيا وأوربا الغربية .

وتتميز اذاعة قطر بخدمتها الاخبارية الشاملة وتقاريرها السياسية ذات السمة الموضوعية . وقد اعتمدت من أجل ذلك مراسلين لها فى معظم العواصم العربية والاجنبية . وتقدم اذاعة قطر برامج المشاركة الجماهيرية التى تبث على الهواء مباشرة ، كما قامت مؤخرا ببث صوت مجلس التعاون لدول الخليج العربية من الدوحة .

التليفزيون والجديد فى التكنولوجيا

يبث التليفزيون ١٦ ساعة يوميا على القنوات ٩ ، ١١ ، ٣٧ وتشكل البرامج المحلية ٤٥ بالمائة وتبلغ ساعات البث احدى عشرة ساعة على القناتين ٩ ، ١١ أما القناة ٣٧ فعدد ساعات بثها اليومى خمس ساعات وتبث من خلالها البرامج الاجنبية وبرامج التليفزيون التربوى اضافة لنقل المباريات الرياضية على الهواء مباشرة .

ويتبنى التليفزيون خطة طموحة لانتاج المسلسلات المحلية والعربية والتاريخية والتى لاقت نجاحا جماهيريا كبيرا على المستوى المحلى والخارجى . ولقد قفز التليفزيون فى مدارج التطور بخطوات واسعة فى السنوات القليلة منذ انشائه حتى الآن ويضاف الى أجهزته كل جديد فى مجال التكنولوجيا الحديثة . وعلى سبيل المثال فقد تم مؤخرا تركيب محطات تقوية جديدة لارسال قنواته الثلاث كى تغطى مساحة البلاد ومساحة كبيرة من منطقة الخليج العربى .

التعـــــريف بمنجزات الدولة

تقوم ادارة المطبوعات والنشر بدور فعال على الصعيدين الداخلى والخارجى . وهى على المستوى المحلى تقوم بالتعريف بمنجزات الدولة ونهضتها الشاملة من خلال الكلمة المطبوعة والصورة المعبرة ، كما تضطلع بمسئولية تطبيق القوانين والقواعد التنظيمية للنشر والطبع فى عمومه . وهى فى تطبيقها لتلك القوانين والنظم تصدر عن قناعة حفظ التوازن بين حرية الرأى وبين الحفاظ على النظام العام والقيم الاساسية للمجتمع .

وقد صدر لذلك قانون المطبوعات والنشر رقم ٨ لسنة ١٩٧٩ الذى يعتبر دعامة قوية لحرية الصحافة فى البلاد .

وفى المجال الخارجى تقوم الادارة بالتعريف بالنهضة القطرية وهى فى سبيل ذلك تقوم باستضافة رجال الصحافة والاعلام لزيارة البلاد والوقوف على معالم تقدمها فى المجالات المختلفة .

كما وتقوم الادارة فى مجال التعريف بالدولة وأنشطتها المختلفة باصدار العديد من الكتب والصور والخرائط والكتيبات باللغة العربية والانجليزية والفرنسية ولغات أخرى .

قضايا المجتمع فى الصحافة القطرية

كفل قانون المطبوعات والنشر حرية الصحافة فى البلاد ، لذا فان الصحافة القطرية تتعامل مع قضايا المجتمع بالحرية الكافية بهدف ايجاد الحلول للمشاكل التى قد تلوح خلال مسيرته الهادفة الى التقدم ولقد عملت الدولة على مساندة الصحافة القطرية بكافة أساليب الدعم والتشجيع .

وتصدر الصحف فى قطر عن قطاعين ، القطاع الخاص والقطاع الحكومى ، ويبلغ عدد الصحف والمجلات فى قطر ١٨ مطبوعة صحفية منها اليومية والاسبوعية والشهرية والفصلية .

أما الصحف اليومية فهى : جريدة العرب ، والراية ، والجلف تايمز والأخيرة تصدر بالانجليزية .

والمجلات والصحف الاسبوعية هى : العروبة والعهد والصقر وأسواق الخليج الاقتصادية والدورى الرياضية .

والصحف والمجلات الشهرية والفصلية هى مجلة الدوحة التى تصدرها وزارة الاعلام ، ومجلة ديارنا والعالم والمشعل اللتان تصدرهما وزارة المالية والبترول ومجلة الأمة التى تصدرها رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية ، ومجلة التربية الفصلية التى تصدرها اللجنة القطرية للتربية والثقافة والعلوم .

هذا اضافة الى مجلة الجوهرة النسائية الشهرية ومجلة غرفة تجارة قطر والريان التى تصدر عن متحف قطر الوطنى .

وتصدر بعض الهيئات والمؤسسات فى قطر مطبوعات صحفية متخصصة كصوت الجامعة التى تصدرها جامعة قطر . ونشرة حمد التى يصدرها مستشفى حمد العام . وتصدر جمعية الهلال الاحمر القطرى مطبوعة العطاء . كما تصدر وزارة الصحة مجلة قطر الطبية .

التغطية الاخبارية

انشئت وكالة الانباء القطرية فى مايو ١٩٧٥ ، وتعمل على تغطية كافة الأحداث والنشاطات المحلية اضافة للأخبار والاحداث العربية والعالمية ولقد أصبحت أخبارها محل ثقة على جميع المستويات لما تحويه من صدق وموضوعية .

وتصدر الوكالة نشرة يومية باللغة العربية وأخرى باللغة الانجليزية اضافة إلى نشرة اقتصادية أسبوعية وتقارير وتحليلات سياسية .

وتقوم الوكالة بين فترة وأخرى باصدار مجموعة من الكتب الوثائقية التى تسجل أهم الاحداث المحلية والخليجية والشرق أو سطية ، منها كتاب عن رحلة سمو الامير المفدى الآسيوية بعدة لغات . ولقد أدخلت الوكالة ضمن خدماتها الاخبارية نظام خدمة الاخبار المصورة كما ستدخل نظام الخدمة من خلال الهاتف .

تدعيم الثقافة والفنون

تقوم ادارة الثقافة والفنون بدور كبير فى سبيل دفع الحركة الفكرية والثقافية بروافدها المختلفة الى الامام وذلك من أجل الارتقاء بالانسان والسمو به .

وهى فى سبيل هذا الهدف تدعم الحركة المسرحية وتقيم المعارض الفنية وتستضيف الاسابيع الثقافية والأمسيات الموسيقية .

وتشرف الادارة على مسرح قطر الوطنى الذى يتسع لخمسمائة وخمسين مشاهدا ، كما تشرف على المرسم الحر الذى ينمى المواهب فى مجال الفنون التشكيلية . ولقد قامت مؤخرا بتكوين فرقة مسرح قطر الاهلى الذى قدم مسرحية (ياليل ياليل) التى عرضت فى مهرجان دمشق كما عرضت أخيرا فى القاهرة ولاقت استحسانا كبيرا من النقاد والجمهور هناك .

وتهتم ادارة السياحة والآثار بالمجالين السياحى والآثارى كما تقوم بتنفيذ البرامج الترويحية والسياحية وتشرف على المتاحف وتنظيمها وتشترك فى المؤتمرات السياحية وتعد النشرات والبحوث السياحية والاثرية ويتبع ادارة السياحة والآثار متحف قطر الوطنى الذى يمثل سجلا للتراث القطرى .

المعـــاهد والدورات التدريبية

يقوم مركز التدريب الإذاعى والتليفزيونى بتدريب العاملين فى ميدان الاذاعة والتليفزيون فى قطر ومنطقة الخليج العربى على مهارات الانتاج البرامجى والهندسى تشغيلا وارسالا وصيانة .

وقد نظم المركز عديدا من الدورات التدريبية كان آخرها دورة تدريبية للعاملين فى مجال الصحافة .

وأنشىء فى أكتوبر عام ١٩٨٠ معهد الموسيقى لتقديم الدراسات الاكاديمية فى مجال الموسيقى واعداد العازفين فى جميع التخصصات وتنمية وصقل المواهب الشابة فى مجال العزف على الآلات الموسيقية والتلحين والتوزيع الموسيقى . وقد تم تخريج الدفعة الثالثة من حملة الشهادة الثانوية الموسيقية وتم ايفاد عدد من الخريجين لاستكمال دراستهم العليا فى مجال الموسيقى كما يشترك مع وزارة التربية والتعليم فى تدريب الاطفال تدريبا موسيقيا بالمعهد الموسيقى للاطفال ويسعى المعهد الى تكوين فرقة أوركسترا قطرية لتقديم الالحان الخليجية القديمة ومدة الدراسة بالمعهد ثلاث سنوات يمنح الخريج بعدها شهادة الدراسة الثانوية الموسيقية .

إن الاعلام القطرى بروافده التى أشرنا اليها فيما سبق وهو يسابق الزمن انما يصدر عن قناعة واقتناع بأن ما يقوم به إنما هو تحقيق لهدف نبيل يتمثل فى الارتفاع بهذا الوطن والسمو به الى أعلى الآفاق وهو يستحق ذلك لانه هو الوطن الذى وفر لمواطنيه العزة والكرامة ورغد العيش فكان حقا على مواطنيه رد الجميل

عبد الله محمد صادق

على طريق النهضة في قطر

البحث العلمي ودراسة النقوش الصخرية



بقلم: درويش مصطفى الفار

خريطة شبه جزيرة قطر مبين عليها مواقع النقوش الصخرية المعروفة حتى اليوم

في صباح يوم السبت ، غرة جمادى الآخرة سنة ١٤٠٤ (١٩٨٤/٣/٣) كان حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، أمير دولة قطر ، يستقبل بالترحاب ، في مكتبه بقصر الدوحة العاصمة ، عالما شابا من بلاد الدانمارك ، ليشكره بنفسه ، ويثنى على جهده ويقرظ ما أسداه من خدمة للبحث العلمي في مجال دراسة بعض النقوش الصخرية بمنطقة الجساسية بالركن الشمالي الشرقى لشبه جزيرة قطر . وكان لذلك أبلغ الأثر في نفس الدكتور هانز هولجر كابل ، الذي أسر لي إثر انصرافنا معاً من القصر بقوله : « إنني لم أك أتصور أن حاكما عربيا سوف يهتم بتقدير مثل هذا العمل الأكاديمي البحت ، كما لم يخطر ببالي قط أنني سوف أستدعي من جرينلاند لمثل هذا اللقاء الحضاري الكريم » .

وكان الدكتور هانز قد صحب والده الراحل الدكتور هولجر كابل في رحلة علمية أركيولوجية فى أرجاء قطر سنة ١٩٧٤ ، واضطلع معه بأعباء تسجيل النقوش الصخرية في شمال شرق قطر ، تمهيداً لتفسيرها ، واستكناه دلالاتها العلمية في مضمار مسيرة الحياة الإنسانية . ولكن والده قضي نحبه قبل أن يكمل العمل ، فحمل ابنه العبء من بعده بكل أمانة العلماء ، وكان الوالد قد عمل ضمن البعثة الدنماركية التي استطلعت آثار قطر في منتصف الخمسينات ، عندما استرعت انتباهه تلك النقوش الفريدة ، التي لم يكتشف مثيل لها — حتى اليوم — خارج قطر .. وحفل العدد الثامن من صحيفة (الريان) العلمية ، التي اصدرها متحف قطر الوطنى فى شهر المحرم سنة ١٤٠٤ (اكتوبر سنة ١٩٨٣) ، بمقال ضاف تناول فيه هانز كابل تلك النقوش بالدراسة ومحاولة التفسير . وصحب عدد الريان ذاك ، ملحق على هيئة أطلس يحتوى على كل نقوش الجساسية التي بلغت خمسمائة واثنين وتسعين نقشاً ، لسفن وأكواب ورموز وحيوانات وآثار أقدام وخطوط وأحواض ، مما أبقت عليه يد عوامل التعرية ، التي لا ترحم حجراً ولا ترأف بصخر ، وخاصة تلك الرياح المحملة بالرمال التي تأكل الصخور الجيرية الطرية وتأتي على ما فوقها من نقوش كما يأكل المنشار قطعة من الخشب ...

ولما اطلع الأمير على ذلك العدد من الريان ، أمر باستضافة ذلك العالم الشاب ، واطلاعه على معالم التطور والعمران في دولة قطر خلال الفترة من سنة ١٩٧٤ إلى سنة ١٩٨٤ ، وقرر أن يقدم له بنفسه الشكر باسم البحث العلمي والأجيال القادمة على ما قام به من بحث علمي مرموق ...

ويرجع اهتمام العلماء بالبحث عن مظان النقوش الصخرية ، إلى ما أسفرت عنه دراستها في كثير من أصقاع الأرض من مغانم علمية عظمي .

ومن أمثلة تلك المغانم ما يعرف باسم (حجر رشيد) . وهو قطعة من صخر البازلت البركاني الأسود الصلب ، عثر عليها رجل فرنسي يسمى (بوشار) ممن صحبوا الغزوة النابليونية لمصر . وكان عثوره على ذلك الحجر فى أغسطس (آب) سنة ١٧٩٩ فى مدينة رشيد القابعة عند مدخل فرع النيل المسمى باسمها في البحر المتوسط إلى الشرق من مدينة الاسكندرية الشهيرة . واستولى البريطانيون على ذلك الحجر ، أثناء تفتيشهم لفلول الحملة الفرنسية بعد أن قضت عليها معاهدة العريش (سنة ١٨٠٠) بالرحيل عن مصر ، وهو اليوم محفوظ فى المتحف البريطاني بلندن . وحجر رشيد نقش كتبه كهنة منف في عهد بطليموس الخامس (٢٠٥ — ١٨٠ ق م) باللغتين الإغريقية أو اليونانية القديمة ، واللغة المصرية القديمة بحرفيها الهيروغليفي والديموطيقي ... وكان أول من تصدى لدراسة نقوش حجر رشيد هو الفيزيائي الانجليزى توماس يونج ، صاحب الباع الطولي في دراسة طبيعة الضوء وإثبات كيانه الموجي ، داحضا قول نيوتن الذي اعتنقه العلماء دهرا ، والذي يقول بذرية الضوء . ويقال إن يونج هذا أتقن القراءة والكتابة وهو في الثانية من عمره ! !

استطاع يونج سنة ١٨١٤ أن يفك طلاسم الكتابة المصرية القديمة بمقارنة أسماء الملوك مثل بطليموس وكيلوباترا فى الاغريقية والمصرية القديمة . وأكمل العالم الفرنسى فرانسوا جان شامبليون المشوار بعد يونج فيما بين سنة ١٨٢١ ،



وردة الأكواب كما يسميها الباحثون . غائرة في الصخر ، يظن أنها لعبة للتسلية ، وهذا ظن غير يقيني فربما تكون ذات مدلولات أعمق ، ولكن ذلك يتطلب مزيداً من البحث

مجموعة من النقوش ليست في مكان واحد من منطقة الجساسية ، وهي في مجموعها لازالت تحتاج إلى تفسير

سنة ١٨٢٢ ، وأصبحت بذلك أسرار الكتابة الفرعونية واضحة المعالم ، أمام الباحث المدقق بروكش باشا (١٨٣٧ ـ ١٨٩٤) صاحب القاموس المشهور في اللغة المصرية الهيروغليفية الذي كتبه في سبعة أجزاء فيما بين سنة ١٨٦٠ ، سنة ١٨٨٢ . والذي كان من طلبته النابغين أحمد كمال باشا صاحب الكتب المشهورة (١٨٤٩ ـ ١٩٢٣) :

١ ـ العقد الثمين في محاسن وأخبار وبدائع آثار الأقدمين من المصريين .

٢ ـ الفوائد البهية في قواعد اللغة الهيروغليفية .

٣ ـ بغية الطالبين في علوم وعوائد وصناعة وأحوال قدماء المصريين .

٤ ـ الدر المكنوز والسر المفروز في الدلائل والخفايا والدفائن والكنوز .

وغيرها مما يعتبر من أهم المراجع لمن تلاه من الباحثين العرب والأجانب . مما لم يك ميسورا قبل فك رموز النقوش الصخرية على حجر رشيد . ولقد كان حجر رشيد هو الدافع الأول للعلماء للاهتمام بدراسة النقوش الصخرية حيثما وجدت ، ومحاولة حل رموزها ومدلولاتها ، فمن ذلك على سبيل المثال حجر آخر من البازلت الأسود أيضا ، يعرفه العلماء باسم حجر بالرمو إذ أنه محفوظ بمتحف تلك المدينة بإيطاليا منذ سنة ١٨٧٧ وعليه نقوش صخرية تسجل تاريخ حكام ما قبل الأسرات في مصر ، وملوك الأسرات الخمس الأولى (٣١٠٠ ـ ٢٣٤٥ ق.م) ، وكذلك تلك النقوش على الصخور في أرجاء سيناء ، والتى درسها العلامة السير وليام فلندرز بيتري سنة ١٩٠٦ وأطلق عليها اسم (أبجدية سيناء) واعتبرها كثير من العلماء والباحثين أصل كل الأبجديات العالمية المعاصرة ...

ولعل أقرب ما اكتشف من النقوش الصخرية ، تلك التي تعرف بالنقوش الأوغاريتية التي وجدت في دفائن حول مدينة اللاذقية بسوريا ، وفيها ما يدلل على أن اليهود هم أكبر مزورين للتاريخ عرفهم العالم ، إذ أن تلك النقوش الصخرية الأوغاريتية تثبت أن كثيرا مما يدعونه لأنفسهم من تراث إن هو إلا تراث عربي أصيل منذ آلاف الأعوام ...

ذاك وغيره مما أسفرت عنه دراسات النقوش الصخرية في أنحاء العالم ، كان الدافع الكامن في نفس هولجر كابل ، أثناء عمله في قطر حيث سجل هو وزملاؤه الدنماركيون والانجليز تواجد النقوش الصخرية في كل من الوكرة والقصار (شمال الدوحة) وسميسمة والجساسية وفويرط والغارية والجميل والفريحة ...

وتلك الأخيرة تناولها بالدرس والتسجيل طبيب انجليزى عجوز من هواة دراسة النقوش الصخرية هو الدكتور دينس هوكنز ، ونشرت صحيفة الريان بحثه ذاك في عددها التاسع الذي صدر في رجب سنة ١٤٠٤ (أبريل سنة ١٩٨٤) ، وفيه مقارنة عجيبة ذكرها الباحث الهاوي بين نقوش وجدت في جنوب اسكتلندة على شكل وردة الأكواب الدائرية تحاكي تلك الوردات القطرية التي لم يعرف أحد بعد سرها الحقيقي في قطر أو اسكتلندة . أما نقوش الجميل فقد أشار إليها الدكتور فتحي عفيفي في مقالة له بالعدد السادس من صحيفة الريان (ذو القعدة ١٤٠١ سبتمبر سنة ١٩٨١) .

وخلاصة القول في كل ما ذكره كابل وهوكنز وعفيفي وجلوب وبيبي ودي كاردي ، أن النقوش الصخرية في قطر ، نقوش فريدة في نسقها ودقتها واقتصارها ـ حتى اليوم ـ على سواحل شبه الجزيرة القطرية ، إذ لم يذكر أحد من الباحثين فيما هو منشور حتى اليوم في الأوساط العلمية أية نقوش صخرية تشبهها أو تحاكيها مما يحتاج إلى زيادة في البحث والاستقصاء ، في شبة الجزيرة وفيما حول قطر من الدول ، لعل ذلك يسفر عن تفسير علمي واضح لمعاني وتواريخ ومدلولات تلك النقوش . ولعل في اهتمام سمو الأمير شخصياً بشكر باحث علمي تصدى لجانب من دراسة النقوش الصخرية القطرية ، حافزا عميقاً للشباب العربي القطرى لمواصلة البحث والدراسة في تلك الآثار التي خلفها الإنسان القطرى نقشا على الصخور خلال القرون .

الشباب والرعاية الاجتماعية السليمة



الشباب : اهتمام ببناء العقول إلى جانب بناء الأجسام

في مجال رعاية الشباب تبرز صورة تدعو للفخر والاطمئنان على أجيال المستقبل ..

فإلى جانب مايبذل من أجل الشباب في مجالات العلم والعمل وتهيئة كل ظروف الحياة المناسبة أمامهم ؛ كان لابد من اعدادهم الاعداد التربوى السليم ، والاعداد الرياضى والجسمانى الصحيح ، من خلال اطار علمى مبرمج ..

وجاء هذا الاطار من خلال انشاء المجلس الأعلى لرعاية الشباب والذى صدر به المرسوم الأميرى رقم (١) لسنة ١٩٧٩ بتاريخ ٢ / ١ / ١٩٧٩ ، فكان ايذانا ببدء مرحلة جديدة فى حياة الشباب القطرى ..

فلقد كانت رعاية هذا الشباب فى الماضى قاصرة على بعض الأنشطة الرياضية المحدودة وخاصة كرة القدم ، كما كانت الامكانيات والميزانيات لاتتجاوز الخمسة آلاف ريال ، ثم أخذت تتصاعد بعد ذلك بقفزات واسعة ..

وجاءت هذه القفزات بعد تطورات سريعة ومتلاحقة فى مجالات رعاية الشباب المختلفة ، برعاية خاصة من سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى ولى العهد ووزير الدفاع ورئيس المجلس الأعلى لرعاية الشباب ..

فقد تم تنظيم المجلس بحيث وحد جهود كل أجهزة وهيئات رعاية الشباب فى دولة قطر ، واستكمل وضع العديد من اللوائح الخاصة بتنظيم العمل بالأندية والاتحادات . وشجع على تكوين بعض الاتحادات النوعية للأنشطة المختلفة وتدعيمها ، وانتهى المجلس من دراسة موضوع اتحاد أندية العلوم ..

وازداد نشاط منشآت رعاية الشباب منذ قيام المجلس بشكل ملحوظ ومؤثر ..

ويبذل المجلس الأعلى لرعاية الشباب جهوداً كبيرة لتدعيم مراكز الشباب وبناء العديد منها ، وتطوير أهدافها ورسالتها ..

ولقد بلغت ميزانية الأندية التى يدعمها المجلس الى مايقرب من خمسمائة ألف ريال قطرى ، بالاضافة الى ايجار مبانى تلك الأندية ، ورواتب المديرين والاداريين ..

ولم يقتصر نشاط المجلس الأعلى للشباب على هذه الجوانب فقط ..

فمن أجل تحقيق رسالته الرياضية والاجتماعية حرص على تشجيع الأندية التى تزاول الأنشطة الاجتماعية وقدم الدعم الفنى والمادى لها ، مما فتح مجالات جديدة لأنشطة الشباب المتنوعة ، مثل ألعاب الجولف والشطرنج وغيرها من الأنشطة الاجتماعية البناءة ..

وفى نفس الوقت عمل المجلس على وجود رابطة قوية بين شباب قطر وشباب العالم ، عن طريق الدول العربية والدول الأجنبية والصديقة ..

وفى هذا الاطار الذى يدعم حركة الشباب وتوجيه طاقاته الى النافع والمفيد ، شكلت اللجنة الدولية الأهلية القطرية برئاسة سعادة العقيد الشيخ عبد الله بن خليفة آل ثانى بموجب قرار سمو رئيس المجلس الأعلى لرعاية الشباب رقم (١) لعام ١٩٧٩ ..

وبنفس القرار تم تعيين نائب الرئيس ورؤساء الاتحادات الرياضية أعضاء بمجلس ادارة اللجنة الاولمبية ..

وتضم اللجنة سبعة اتحادات هى اتحاد كرة القدم واتحاد الكرة الطائرة وتنس الطاولة واتحاد كرة السلة واتحاد كرة اليد واتحاد البولينج واتحاد الفروسية والرماية . وتتولى الاشراف على الاتحادات الرياضية ونشاطاتها ، وترعى الحركة الرياضية فى دولة قطر ..

وبهذه المناسبة فقد حققت الاتحادات فى فترة وجيزة نتائج هامة على المستويين المحلى والدولى ..

فقد شكلت على المستوى المحلى عدة منتخبات على جميع المستويات من الدرجة الأولى حتى درجة الأشبال ..

وحققت هذه المنتخبات نتائج طيبة على المستوى الدولى ..

فقد استطاع منتخب شباب قطر لكرة القدم أن يحقق أكبر انجاز فى تاريخ الكرة العربية والخليجية ، فتصدر المركز الثانى فى بطولة كأس العالم للشباب التى أقيمت فى استراليا عام ١٩٨١ ..

واستطاع منتخب قطر لألعاب القوى أن يحقق بطولة العرب لاختراق الضاحية فى سوريا عام ١٩٨٠ ، وبطولة الخليج لاختراق الضاحية فى أبوظبى عام ١٩٨١ ، ونال الميدالية الذهبية فى بطولة العرب الثالثة لألعاب القوى التى أقيمت فى تونس فى نفس العام ، وذلك فى سباق المارثون ..

ولقد توالت النتائج المشرفة لمنتخباتنا القطرية بعد ذلك على المستويات الخليجية والعربية والآسيوية والعالمية ..

وكل هذا يؤكد أن المسيرة الرياضية تمضى فى طريقها بقوة ، وتعرف كيف تصل الى الهدف من أقصر طريق ، وأن العناية بالشباب والاهتمام به يأخذان سبيلا علميا يراعى كل الظروف ، ويهتم ببناء الانسان جسميا وخلقيا ونفسيا ..



العبقري المقهور

بقلم : سليمان فياض

قبل اسابيع ، تذكرت « القاهرة » ، واحداً من عباقرتها « المقهورين » ، في ذكراه العشرين ، وهي في قلبي وقلوب محبيه ، كأنها ذكراه الأولى ، أو كأنها يوم وداعنا نحن الذين أحببناه كاتباً ناقداً ، ينفذ بقلمه إلى الجوهر ، دون غرق في التفاصيل ، ودون لجوء إلى البطاقات ، والمونتاج ، والقص واللزق ، في دراساته وأبحاثه ، ومقالاته وأحاديثه ومحاضراته وندواته . فقد ملأ بحضوره الفكري ، والحياتي ، عقول وقلوب من عاصروه .

في ذكـــراه العشرين نشرت بــاقة من المقـــالات في مجلة أدبيـــة ، وعقـــدت نـــدوة في نادٍ للفنـــانين التشـــكيليين ، عن كاتبنـــا العبقري « الدكتـــور محمد منـــدور » .

وفي ذكــــراه العشرين أذكره أنا بهـــــذه المـــواقف .

حوار ...

مررت ، إذ كنت بمبنى إذاعة القاهرة (في أواخر الخمسينيات) حين كانت ما تزال بمبناها العتيق بشارع الشريفين ، على استوديو (١٢) ، لزيارة صديق . وجدته بالاستديو يقدم نشرة الظهيرة . وكانت أمام الاستديو طرقة كالركن ، وابتهج قلبي حين رأيت الدكتور محمد مندور جالساً ، يلف لنفسه سيجارة ، ويلصق ورقها بطرف لسانه ، كنت أعرفه من صوره . وكان عطاؤه القلمي صديقاً حميماً لعقلي وقلبي . حييت ، وجلست . ودهشت إذ رأيت معه الراقصة الشهيرة « س » في فستان باهر يليق بها ، وكانت مزهوة بنفسها : الحركة ، والنظرة ، والالتفاتة . وكان مندور في بدلته البيضاء ، يبدو على جرمه ، ضائعاً في اتساعها .

أشعل مندور سيجارته اللف ، وقال لها ، للمرأة التى يحدثها :

ــ رأيت رقصك يا بنت يا ...

ضحكت « س » . قالت :

ــ أعجبك

مط مندور شفتيه . وقال لها :

ــ لا بأس .

فقالت « س » بزهو :

ــ لو رأيتني ببدلة الرقص الحقيقية ، وليس في هذه البدلة الحشمة ، التي فرضها علينا يحيى حقي ، ومصلحة الفنون ، لقلت كلمة أفضل من ذلك .

ابتسم مندور بسخرية :

ــ البركة في نوادي آخر الليل ! !

وتضاحكت « س » . وسكتت مغاضبة . فالرجل الكهل « قفل » . ورمقها مندور وقال :

ــ بنت يا ... كم تكسبين في الشهر ؟

ضحكت وقالت مغيظة :

ــ لم تسأل يا دكتور ؟

فأجابها وهو يتنهد :

ــ فضول سخيف . لا تجيبي

تضاحكت « س » . وضعت ساقاً على ساق ، وقالت :

ــ احسب لي يا دكتور مندور . آخذ في النصف ساعة مائة وخمسين جنيهاً ، وأرقص في الليلة أربعة أنصاف ساعة . في كل ليلة ، حتى في ليالي الجمع . كم تظنني أكسب في الشهر . هذا طبعاً . عدا الأفلام ، والأفراح ، والليالي الملاح .

وفرقع ضحكها في الركن الضيق ، الوثير المقاعد ، والأريكة .

وصمت مندور . وراح يعد كطفل على أصابعه ، ويحرك كفيه بالزائد والناقص ثم قال :

ــ حسبة تحير يا ... أظن دخلك في الشهر ... عشرين ألف

صاحت المرأة بظفر :

ــ بل ثلاثين ألفاً يا دكتور ، بلا مبالغة ، في المتوسط يعني .

وبدا مندور لي مبهوتاً ، وقد لاذ بالصمت ، وأشعل سيجارة لف أخرى ، وأطرق . كنت أعلم أن مندور ، قد أبعد من الجامعة بفضل جهود زملائه « ر . ر » و « ل . ع » وآخرين ، كرجل غير مرغوب فيه في عمل على اتصال بالشباب ، ولأنه لم ينتهز الفرصة ، ويتقرب ، ويتودد ، بفكره ، وقلمه ، واتصاله ، بأولي الشأن الجدد في هذا البلد ، وكنت أعلم أنه عولج من انفصال شبكي في عينيه الاثنتين ، خارج البلاد ، بسبب قطعه لسنوات عمره كلها في القراءة والكتابة . وإذ رفع مندور رأسه قال لها . لـ « س » في غضب أبوي حزين ورفيق وضاحك :

ــ وأنا ضيعت عمري مع الورق والقلم يا ... ، وبوسعي الجلوس على صف من كتبي يا ...

ووجمت « س » ، وارتجفت شفتاها ، ولم تجد ما تقوله فأطرقت صامتة .

والتفت لي مندور ، وقال :

ــ وأنت يا بني . لم جئت هنا الآن ؟

قلت . والقلب من اللحظة مثقل :

ــ أرتزق .

ضحك مندور عندئذ . وقال :



ــ مثلي !!
ثم قال :
ــ حدثني عن نفسك يا .. ما اسمك ؟!

البحث عن عمل

مبنى الاستعلامات ما يزال قائماً ، ولنفس غاياته بشارع طلعت حرب (سليمان باشا سابقاً) . وكنت أصعد سلالمه التي لا تنتهي ، فالمصعد لم يكن مباحاً لغير الموظفين ، إلى الدور (كذا) ، لأقدم طلباً للعمل بمصلحة الاستعلامات ، أو بهيئتها ، لا أذكر ، كنت قد تخرجت من الكلية ، وكان ترتيبي يسمح لي بالتعيين ، لولا عدم وجود بند بوظائف التدريس بالتربية والتعليم ، فرحت أطرق أبواب مباني أجهزة الثقافة والاعلام الجديدة في البلاد .

وفوجئت بمن يضع يداً رفيقة على كتفي ، ويسألني : إلى أين يا ابو داود . رأيت الدكتور أمامي غارقاً لم يزل في بدلته البيضاء (الشاركسكين) ، وتوقفنا على الدرج ، وأخبرته بما جئت لأجله . فقال لي :

ــ تعال معي . سأقدمك إلى رئيس الاستعلامات « ع » ، وأوصيه بك .

وعاد الرجل يصعد معي سلالم لا تنتهي ، كان قد فرغ من نزولها لتوه ، ودخل معي مكتب « ع » ، وهو يلهث ، ولم ينظر إلينا « ع » أحس بنا من ظل ألقاه الصباح وراءنا على مكتبه ، فقال : « نعم » . فأخذ مني مندور الطلب ، وألقى عليه نظرة ، وقدمه لـ « ع » ، وقال :

ــ هذا الولد يعمل معك . وأنا أوصيك به ، فهو أهل للعمل في الثقافة .

رفع « ع » رأسه ، بدا ممتعض الوجه ، في وجهه قرف الدنيا ، والأوراق المطروحة بلا نظام على مكتبه الواسع ، وقال بضيق :

ــ أمن أجل هذا عدت ؟

فقال مندور بهدوء :

ــ نعم . وصعدت سلالم . فهو عزيز علي .

فقال « ع » بنفس الضيق ، وقد سقطت شوافته إلى أرنبة أنفه :

ــ طيب . دعه لي .

وعاد « ع » ينكب على الأوراق . وسحبني مندور جانبا ، وهمس لي :

ــ إجلس ، ولا تغادر المكتب ، حتى يبت في طلبك . سأنتظرك بمقهى لاباس .

وانصرف مندور عني ، وظللت واقفاً ، حتى مللت ، فجلست . وحين رفع « ع » رأسه عن الورق ، ورآني . قال : ــ أما تزال هنا ؟ اذهب ، وسوف نخبرك إن كنا نريدك .

وقفت . وعرفت نتيجة طلبي في تلك اللحظة . وأسرعت إلى مقهى لاباس . وجلست صامتاً . فتضاحك مندور وقال لي :

ــ قال لك : سوف نخبرك إن كنا نريدك .

فهززت رأسي ، وهمست : « لا عليك يا دكتور » . فقال لي ضاحكاً :

ــ لا تيأس يا أبا داود . ما زال باقياً لنا أن نكتب بالقطعة !!

حفل تكريم

كنت قد التحقت بعمل في « مطبخ » مجلة مصورة ، مهمتي فيه المراجعة الفنية صحفياً ولغوياً ، لما ينشر بالمجلة . وكان « مندور » آنذاك من كتابها الدائمين ، بالقطعة أيضاً ، وحدث أن سكرتير تحرير المجلة « س » قرر أن يترك المجلة

■ صراع طويل من أجل الكلمة الحرة والفكرة التي تنير الحياة والمجتمع

■ نصيحة ثمينة من كاتب كبير للكتاب الشبان

ليعمل نائباً لرئيس تحرير صحيفة يومية . ودعينا ، نحن الذين نعمل بها ، كتاباً بالقطعة ، ومحررين دائمين ، إلى حفل تكريم ، تقيمه المجلة بالنادي الذي تصدر باسمه المجلة ، لسكرتير التحرير « س » . وفوجئنا بمائدة حافلة بطول القاعة . وعلى رأسها رئيس التحرير « ص » الذي لم نكن نراه إلا نادراً ، فقد كان آنذاك شخصية بالغة الخطر والخطورة في البلاد .

وإثر انتهاء وليمة الشاي والجاتوهات ، جلسنا في الليلة الباردة ، بقاعة دافئة ، ودارت أحاديث متقطعة ، لا قيمة لها حتى يذكرها أحد . وكان الدكتور « مندور » جالساً معنا ، يمارس هوايته المعتادة : لف سيجارة ، من تبغ بعلبة صفيح بنيةاللون . وكان صامتاً ، مطرقا ، ومن وجهه أدركت أنه قد عزم على أمر ولمحه رئيس التحرير « ص » . فقال له متضاحكاً بغموض :

ــ لم نسمع صوتك يا دكتور مندور

فقال مندور بجسارة صادقة ومبهرة :

ــ وهل تركتم لي صوتاً يا أستاذ ... ؟

بهت « ص » ، وقال :

ــ لم يا دكتور مندور ؟ ما زلت تكتب ، وتمشي ، وتعود إلى بيتك ، وتروح وتجيء . وها أنت معنا من كتاب المجلة .

فقال مندور :

ــ اسمح لي يا أستاذ ... بسؤالين : أولا : لم فصلت من الجامعة يا أستاذ ... ؟!

فقال « ص » متضاحكاً :

ــ دعك من هذا السؤال الآن . فهذه مسألة عليا .

فعاد مندور يقول :

ــ ولم أصدرتم التعليمات للعاملين بالإذاعة ، حتى لا يطلب مني حديث ، أو أدعى إلى ندوة ؟

فقال « ص » بثقة وتأكيد :

ــ لم يحدث ذلك يا دكتور مندور . ليست هناك تعليمات بمنع أحد ، لا أنت ولا غيرك .

وتضاحك ، ثم قال :

ــ ربما كانت هذه المواقف من تصرفات العاملين بالإذاعة ، من مقدمي البرامج ، يعبرون عن رأيهم فيك ، كجيل جديد .

فهز مندور رأسه نفياً ، وقال :

ــ لا يا أستاذ ... كلهم من تلاميذي ، وقد قرأوا لي ، ويتعاطفون معي ، ويعرفون أن ورائي : « حياتي » ، وسجائري اللف هذه ، والأقلام التي أحتاجها ، والكتب التي أشتريها ، والورق الذي لابد منه .. و« كوم » عيال يا أستاذ ...

وكان الصمت قد صار له رنين . ولم يدم الصمت طويلاً فقد قطعه مندور بقوله :

ــ هناك أوراق يرفعها مقدمو البرامج بأسماء المتعاملين إلى فوق ، وتعود الأوراق إليهم ، وعليها إشارة أمام بعض الاسماء بالقلم الرصاص يا أستاذ ...

وعاد الصمت ذو الرنين ، وبدا « ص » جامد الوجه ، ومحرجاً بين الحضور ، ثم قال مندور :

ــ وأحياناً يا أستاذ ... تكفي مكالمة تليفونية من فوق .. فلان : لا .. ويشيع الخبر في المبنى كله ، بل في المدينة بأسرها يا أستاذ ... لقد عرفت هذه المعلومات من الشارع يا أستاذ ..

أخذ « ص » يتضاحك ، وقال :

ــ إذن سأحدثك بصراحة يا دكتور مندور . أفكارك يا دكتور لا تتفق معنا .. !!

عندئذ ضحك مندور وقال :

ــ وأنتم يا أستاذ ... ألم تتأثروا بهذه الأفكار وتستفيدوا منها في عملكم على نطاق واسع ، ومع ذلك فأنا فيما أقوله وأكتبه حريص على عدم الصدام المباشر ، فكرياً ، حرصي على « كوم » العيال . أذكر لي قولاً واحدا بالإذاعة حذف من التسجيل ، أو سطراً بمقال حذفه الرقيب ؟

وعاد الصمت ذو الرنين ، حتى قال رئيس التحرير « ص » :

ــ مر علي غداً بمكتبي يا دكتور مندور ،

وسأسوي هذا الأمر .

ونهض رئيس التحرير مغادراً المكان ، وهو يلقي بيده وقوله تحية عامة . وأخذ الكل في الانصراف . وبقيت جالساً مع الدكتور مندور ، بقى معنا سكرتير التحرير « س » الذي قال :

ـ هذا الرجل عضو لجنة الاشراف بأعلى مؤسسة بالبلاد أحد أعضاء خمسة ، ولا يعرف كيف يكتب حرفاً يا دكتور . أنا نفسي كتبت باسمه عشرات المقالات السياسية بل المئات . فلا تحزن يا دكتور .

وانصرف « س » . وانصرف « مندور » ، وبقيت جالسا مبهوتاً . وإذا غادرت القاعة الدافئة ، للحديقة الباردة ، رأيت مندور يسير وحيداً ، تائهاً في بدلته البيضاء بين مصابيح الاشجار . سرت بجواره ، ولمحته يمسح دموعاً لا صوت لها . قال لي :

ـ اسمع يا ولد . في أول فرصة تتاح لك ، ابتعد عن الصحافة وأهلها . لا تضع رقبتك وقلمك في خية . كن كاتباً صعلوكاً ، وفي عمل وظيفي لا يعرف رفاقك فيه أنك هذا الكاتب .

.. وعاد مندور إلى الكتابة بالقطعة للإذاعة ، والعجيب أنه لم يدع للكتابة في المجلة ، منذ أن جاءها سكرتير جديد للتحرير .

اللقاء الأخير

قابلته ، الدكتور مندور ، صدفة ، يسير على رصيف بشارع القصر العيني . توقفت مسلماً . سألني :

ـ ماذا تعمل الآن ؟

قلت :

ـ أكتب قصصاً ، وأغلقت المجلة ، بسبب صراعات « أهلها » ، وأخذني « س » معه بالصحيفة التي يعمل بها نائباً لرئيس التحرير ، ومازلت أبحث عن طريق آخر أعمل فيه بنصيحتك !!

فقال لي :

ـ وكيف حال الصحيفة الآن ؟

فقلت :

ـ العجيب أنها صارت توزع مائة وعشرين ألفاً ، بعد أن كان توزيعها سبعة عشر ألفاً فقط . وكله ، بسبب كوبون اليانصيب الذي تنشره في صفحتها الأولى ، والقراء الغلابة الذين يحلمون بالثراء .

فضحك مندور .. وقال بمرارة :

ـ وماذا في ذلك .. « الكلأ » يوزع أكثر !!

ولم ألتق باستاذي وصديقي مندور بعدها . لكن مشهد ابتسامته المرورة ، ما زال ماثلاً أمام عيني !!

سليمان فياض

وردتي

شعر : محمد برهام



لي وردةٌ بثياب العــز تتشحُ
وتدفئ الشمس مغناهــا فتمتدحُ

في شرفتي في أصيص جــد هائئة
لها حديث مــع الرائي ومطّرحُ

وإن يزرْها الندى وقتَ البكور بكت
إن الدموع بعيني شــاكرٍ فرحُ

يا حسن ثوب حريريٍّ تميس به
وقد تولى الندى التطريزَ أو « قُزَحُ »

نَشوى إذا ما نسيمُ الروضِ داعبها
وما بمجلســها خمرٌ ولا قَدَحُ

وكلما سارَ يلقاها مُعَطَّرةً
وكاد سرهــا في الروضِ يفتَضــحُ

يا وردتي مذ عرفنا الحبَّ من زمن
أنا على العهد ، والعشاقُ ما برحُوا

دعي النسيمَ وكوني لي الملاذَ إذا
أذكى لَهيبَ الهوى شوقي لمن نزحُوا

وحذِّري الشوكَ أن يُدمي البنانَ إذا
لمســت خدَّكِ إني شاعــرٌ مَرِحُ

حتي يعود لي الأحبابُ من سفر
ونسأل الحب ماذا بعدُ تقترحُ



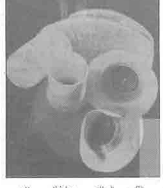
قلب جديد صنع اليابان

أعلن الباحثون اليابانيون في مركز أبحاث أمراض القلب والأوعية الدموية بأوزاكا أنهم تمكنوا من ابتكار قلب اصطناعي جديد يزرع بالكامل في جسم المريض . وهو بذلك يوفر له حرية الحركة والتنقل .

يتكون القلب الياباني من بطينين من البلاستيك وأسطوانة رافعة من الصلب غير القابل للصدأ ، في داخلها المحرك والكابس التي تضمن استمرار دوران الدم وتزرع مع القلب بطارية دقيقة الحجم لتمده بالطاقة اللازمة لتشغيله .

ويلبس المريض حزاما خاصاً لحفظ البطارية الخارجية اللازمة لشحن البطارية المزروعة ؟ وتتم عملية الشحن بالحث الكهرومغناطيسي من خلال الجلد . ويتميز هذا القلب بميزة أخرى ، فهو يتحكم ويعدل ايقاع ضرباته ذاتياً تبعاً للجهد الذي يبذله المريض وذلك من خلال جهاز رصد ضوئي يقوم بقياس الثوابت الانزيمية في الدم اتوماتيكيا ومن ثم فان القلب الجديد يستطيع التكيف مع النشاط الذي يقوم به المريض .

ولكن تبقى معرفة كيف سيحل اليابانيون المشكلة الرئيسية التي يواجهها القلب الصناعي ، وهي مشكلة عدم تكيف الدم مع المواد المصنوع منها القلب والتي تؤدي إلى تكون جلطات دموية تهدد حياة المرضى .



القلب الصناعي «جارفيك -٧» الذي أصبح بدائياً

عندما تتكهرب السيارة

الجهاز المستخدم في كهربة السيارات

ابتكر طبيب فرنسي أحدث نظام لحماية السيارات من السرقة . يعتمد النظام الجديد على امكانيات الكهربية الساكنة ، فهو يشحن بها بعض المناطق الحيوية في السيارة مثل قفل الباب والمقود ورافعة السرعات الخ . بحيث إذا ما لمس اللص أحد هذه الأجزاء يتعرض على الفور لتفريغ كهربي تبلغ قوته ٥ آلاف فولت .

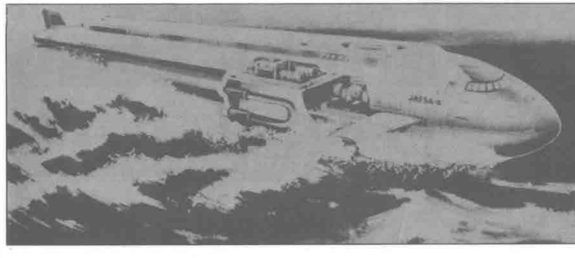
ولكن هذه الصدمة الكهربية لن تصعقه لأنها ناجمة عن تيار شدته ٠,٣٥ أمبير فقط وهي إحدى مميزات الكهربية الساكنة .

كما يتميز هذا النوع من الكهربية بأنه لا يحتاج إلى موصلات معدنية لسريانه ، فهو يخترق كل الأجسام تقريباً . ومن ثم يمكن كهربة المقود ورافعة فتح الكابوت وحتى مقعد القيادة بطريقة غير مرئية ودون حاجة إلى وصلات سلكية يمكن فصلها .

كما لا يستطيع اللص تفادي الشحنة الكهربية عند لمس الأجزاء المكهربة حتى مع استخدام أسمك أنواع القفازات مثل تلك المستخدمة في التزلج على الجليد .

وكان طبيب الروماتيزم الفرنسي يستخدم الكهربية الساكنة في علاج الآلام العضلية لمرضاه عندما طلب منه صديقه أن يجرب استعمال جهاز مماثل على سيارته مع زيادة القوة الكهربية المتولدة . ومن الجهاز الطبي ولد هذا الجهاز المضاد للسرقة الذي يعمل ببطارية مستقلة .

ويمكن الاحتفاظ بالسيارة مكهربة ليلاً ونهاراً دون أي خطر على المارة من ذلك . أما صاحبها فعليه قبل ركوبها أن يبطل عمل نظام الأمان بواسطة جهاز للتحكم عن بعد .



نموذج (ماكيت) السفينة المغناطيسية



السفينة المغناطيسية

سفينة عام ألفين لن تطفو . ولكنها ستنزلق على سطح الماء مستندة إلى وسادة مغناطيسية بحيث تبدو وكأنها طائرة فوق الماء مدفوعة بقوة كهرومغناطيسية . فهي تعمل بدون محرك أو شراع أو دفة .

وتعتمد فكرة تشغيل هذه السفينة المبتكرة على تطبيق فكرة القطارات المعلقة مغناطيسياً التي اشتهرت بها اليابان . ولكن مع استبدال القضبان بمياه البحر . على أساس توليد مجال مغناطيسي طارد بين السفينة والماء يساوي كتلة السفينة ، فيستطيع حملها بعيداً عن سطح الماء . وفي هذا الوضع المعلق لا يقاوم حركة تقدم السفينة إلا احتكاكها بالهواء .

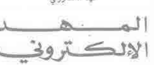
ويبلغ طول السفينة المغناطيسية التي عرضها اليابانيون أربعة أمتار . وهي مزودة بنظام دفع يتكون من مجموعة من المغناطيسات فوق موصلة — أي معدومة المقاومة الكهربية — مثبتة على امتداد هيكل السفينة . بحيث تولد مجالاً مغناطيسياً قوياً في الماء ، ومولد كهربي يدفع بين قطبين مثبتين تحت هيكل السفينة بتيار كهربي قوي في الماء .

وبما أن مياه البحر موصل جيد للكهرباء ، فإن التيار المتولد سيكون متعامدا مع المجال المغناطيسي بحيث تدفع القوة الكهرومغناطيسية التأثيرية السفينة إلى الأمام .

ولكي تعكس السفينة اتجاهها يكفي عكس شحنات أقطاب المولد الكهربي .



المهد الالكتروني



المهد الإلكتروني

يصعب عادة اكتشاف مشكلات السمع عند المواليد الجدد . ولذلك فكر الباحثون البريطانيون في تصميم هذا المهد الخاص لرصد أي خلل في قدرة المولود على ادراك الأصوات . وذلك بعد ساعات فقط من ولادته . بحيث يبدأ العلاج قبل تفاقم الخلل .

ولقد زود هذا المهد المصنوع من البلاستيك بدوائر الكترونية مثبتة داخل كل من الوسادة والحاشية الاسفنجية والحزام المربوط حول صدر الطفل . فعند وضع المولود في المهد تقوم الدوائر الالكترونية الموجودة داخل الحزام بتحويل حركة تنفسه إلى نبضات كهربية ، وهذه النبضات تطلق بدورها مجموعة من الاختبارات الصوتية التي تصل إلى سمع الطفل من خلال مكبرات صوتية مثبتة في الوسادة .

ويتكون الاختبار الصوتي الذي يستغرق حوالي ربع ساعة من مجموعة من الدرجات والنغمات الصوتية التي لا تتعدى شدتها ٨٥ ديسيبل . تليها فترة صمت ويتكرر توالي الأصوات ثم الصمت أربع مرات خلال فترة الاختبار .

وعندما يتحرك الطفل كرد فعل طبيعي لسماعه هذه الأصوات فإن الدوائر الالكترونية الموجودة في كل من الحاشية والوسادة تلتقط الحركة وترسل إشارة كهربية موجبة تضئ مجموعة من الصمامات الثنائية الموجودة أعلى المهد . وتمثل هذه الإشارات الضوئية المنبعثة من الصمامات تسجيلاً لردود فعل الطفل المختلفة من حركة التنفس إلى حركة الرأس والجسم الخ ..

وبتفاعل الطفل الطبيعي ايجابياً طوال فترة الاختبار . ولكن في حالة فشله في ذلك فإن الاختبار يكرر في اليوم التالي . وإذا كانت النتيجة سلبية يستدعي الأخصائي لفحص أذن المولود وتحديد نوع الخلل وعلاجه منذ اليوم الأول .

ويمكن متابعة حاسة سمع الطفل بعد ذلك عندما يبلغ شهره التاسع ثم في الثالثة من عمره باستخدام المهد الالكتروني .

ويؤكد الباحثون أن استخدام هذا المهد في اكتشاف مشكلات السمع يعتبر بداية فقط . فهم يحاولون استخدامه بعد إدخال بعض التعديلات عليه في العديد من التطبيقات مثل اكتشاف مشكلات التنفس عند المواليد الجدد ورصد أي خلل في الجهاز العصبي أو تلف في المخ .. الخ .

رسالة القاهرة تكتبها: سارة

مع الكاتب الروائي: صنع الله إبراهيم

أرفض تدليل القارئ أو تضليله

- تأثرت بطريقة همنجواي في الكتابة .. ولكني لا أحب أدبه
- عانيت من تجارب أورثتني جسداً عليلاً.. وانعكس ذلك على كتاباتي
- الرواية العلمية - وحدها - هي التي حققت لي الاستقرار المادي
- لا أحب القصة القصيرة ولا المسرح ولا الشعر.. الرواية وحدها هي الفن الذي يقنعني ويثير اهتمامي

في صيف القاهرة المشتعل بحرارة الشمس والأتربة والضجيج والوجوه الطيبة ، توجهت إلى منزل الروائي المصري « صنع الله ابراهيم » والذي وصفه محمد بدوي بأنه « أحد الوجوه المشرقة لفن القص في مصر ، والذي يعد أدبه كدحاً دؤوباً متصلاً خلف اقتناص الجوهري والتاريخي من واقعه وسعياً حثيثاً نحو امتلاك شكله الروائي الخاص ، وقد ساعده على هذا الطموح تجربة طويلة من العمل السياسي وانغماس قوي في الواقع ، وانغماس صميم بأفضل ما في الثقافة الغربية . »

و .. كنت قد سجلت آراء بعض الكتاب والنقاد حول أعماله الروائية الأربعة أطلعكم عليها :

« عن « تلك الرائحة ـ ١٩٦٦ » التي صادرتها الرقابة دون أن تفلت منها نسخة واحدة ، والتي صدرت بعد ذلك ـ غير كاملة ـ عام ١٩٦٩ ، قال يوسف إدريس : « إنها ليست مجرد قصة ولكنها ثورة » ..!!

« ورحب سعدالله ونوس بـ « نجمة أغسطس ـ ١٩٧٤ » لانها « تحمل إجابة تقنية هامة على كثير من القضايا المطروحة على الرواية » .

« وكتب قمري البشير « تنهض رواية اللجنة ـ ١٩٨١ ـ على أساس استلهام استراتيجية شكل روائي يحاور فيه « صنع الله » تكوين الرواية البوليسية وقصص المخابرات ومكافحة الجاسوسية إلى جانب محاورة رواية المغامرات والفروسية التي تمجد البطل الفرد ـ الفارس الشجاع . وعارضت « سيزا قاسم » هذا الرأي وقالت بأن هذه الرواية تنتمي إلى مجموعة الروايات المعروفة بروايات التدريب والتعليم ، وبأن اللجنة تنتمي إلى أدب التعرف لا أدب المعرفة .

« وبينما اعتبر آخرون روايته الأخيرة « بيروت ـ بيروت/١٩٨٤ » شاهد مأساة الانسان العربي ، كتب إلياس خوري : « لاشك أن صنع الله ابراهيم يعلم أن الكتابة عن مدينة مثخنة بالجراح بهذه الطريقة ليست كتابة عن المدينة ، بل كتابة عن الذات وعن العجز عن الكتابة » .

« وفي كتاب محمود أمين العالم الجديد « ثلاثية الرفض والهزيمة » والذى صدر أخيراً ، وهو عبارة عن دراسة نقدية لروايات الكاتب الثلاث الأولى وصفها بأنها « استطاعت أن تعبر باقتدار إبداعي وجسارة فكرية ، وتدقيق علمي ، ومعاناة خبرة عميقة حية ، عن بعض الهموم الاساسية في واقعنا المصري العربي » .

هذا بعض ما سجلته بالاضافة إلى العديد من التساؤلات والاتهامات حملتها وطرقت باب منزله والذي يزينه علمان لفلسطين بالدور السابع بحي مصر الجديدة .

التعالي على الثقافة العربية

صناعة الجوع ـ البابكية ـ ديوان الخط العربي ـ خريف الغضب ـ عناوين كتب تسترعي الانتباه في مكتبة « صنع الله ابراهيم » بالاضافة إلى مجموعة كبيرة من الاسطوانات « موسيقى

كلاسيكية » ومجموعة أكبر من الكتب الصادرة باللغة الانجليزية ، منزل صغير يتميز بالبساطة ، الزجاج الملون ، ونباتات الصبار . وأكثر ما يستوقفك دائرة اللون الأبيض الذي يوحد بين جدرانه . وقد علق صنع الله ابراهيم على ذلك « بأنه لون يعمق الاحساس بالنظافة » .

ملحوظة اعتراضية

كتب محمود أمين العالم في دراسته عن « تلك الرائحة » : « إن صفة الرائحة هي صفة نظافة لا صفة جمال ، وصفة النظافة هذه هي ما راح السارد يتشممها ، يبحث عنها في جسد المرأة ، في جسد الرواية ، في جسد الحياة ، يرى السارد في المترو فتاة فيقول عنها « تبدو نظيفة جداً ، ولاشك أنها استحمت قبل أن تخرج » هل النظافة هي معيار الحكم عنده ؟ وهل الرائحة النظيفة هي البديل القابل المناقض للرائحة التي لا تطاق ؟ ولهذا قد لايكون غريباً أن نتبين أن كلمات المياه والصابون والحمام والاستحمام من أكثر كلمات الرواية وعملياتها وأحداثها تردداً أو تكرارا ـ حوالي ٥٢ مرة ـ » .

و .. سألت « صنع الله »

« لماذا اسمك « صنع الله » !

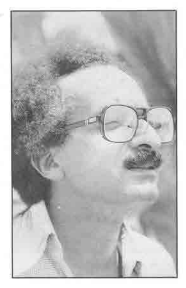
فأجابني ضاحكاً :

ـ لقد طرحت هذا السؤال على أبي فأخبرني أنه بعد ولادتي احتار في تسميتي فاستخار الله وفتح القرآن الكريم ووضع يده على أول آية وكانت تحمل معنى يقول إن كل شيء من صنع الله . فحملت أنا معنى هذه الآية الكريمة .

و .. عن أهم المحطات في حياته قال :

ـ التحقت بكلية الحقوق عام ١٩٥٢ وكانت تلك فترة التمرد الكبرى وسنوات الضياع بالنسبة لي . فقد شغلتني السياسة والمظاهرات عن الدراسة الجادة ، وصرفت سنوات ستاً من عمري في دراسة القانون دون جدوى ، وبعدها التحقت بمعهد الفنون المسرحية لفترة قصيرة وقلقة جداً ، دفعتني الظروف إلى أن أقضي خمس سنوات ونصف السنة من عمري في السجن ، وسافرت إلى ألمانيا للعمل عام ١٩٦٨ ، وبعدها قمت برحلات أخرى ، ودرست السينما ومع نهاية عام ١٩٧٤ عدت للقاهرة ، وقد عملت في الصحافة أحياناً ، وككاتب سيناريو أحياناً أخرى ، وعملت أيضاً كمترجم وبائع كتب وموظف في إحدى دور النشر ، وقد تزوجت منذ عشر سنوات ، وكان زواجاً ناجحاً منحني الاستقرار بعد تشرد طويل ، وقد اعتبرت ابنة زوجتي دائماً ابنتي وأكثر ، ومنذ فترة طويلة اعتزلت العمل وتفرغت للكتابة نهائياً خاصة وأن ظروفي الصحية أجبرتني على ذلك .

و .. فاجأت « صنع الله » بالاتهام الأول له بأنه متعال على الثقافة العربية فأجابني قائلاً :



صنع الله إبراهيم

ـ بداية أود أن أقول إنني لا أقرأ لأثقف نفسي ، ولكني أقرأ لسببين أحدهما ترفيهي وذلك حين تحاصرني هموم الحياة ومتاعبها فأغرق قلقي في قصة بوليسية أو قصة مغامرات ، والسبب الآخر محاولة مضنية للبحث عن أجوبة لكثير من التساؤلات والقضايا التي تؤرقني ومنها على سبيل المثال لا الحصر قضية السلوك الغريزي للإنسان ، وقد صدر عن هذه القضية عام ١٩٥٤ في أمريكا تقرير يناقشها وهناك أيضاً قضية الشركات العالمية ودورها ، خفايا علاقة اسرائيل بالاستعمار ، وأسرار النشاطات السياسية ، وكل هذه قضايا هامة بالنسبة لي لم يتعرض لها كاتب عربي ، ولذلك كان لابد من توجهي للغرب .

وعموماً فان قضايانا وهمومنا هي التي توجهنا نحو المنبع الذي يجب ارتياده ، فأنا في يوم ما كنت مهتماً بالقرامطة لأنني كلفت بعمل سيناريو فيلم ـ لم ينفذ ـ يحكي تاريخهم ، فكان لابد أن أعود للمراجع العربية وقد قرأت كل ما كتب عنهم ، بالاضافة إلى أنني من جيل نشأ ليجد الرواية الغربية هي النموذج والمثال ، ولقد دفعنا للانبهار بها بسبب ما كانت عليه القصة العربية من سذاجة .

« ولكن هناك عدداً من أبناء جيلك استمدوا الكثير من منبع الثقافة العربية ، والتراث العربي ، ولم تمنعهم الرواية الغربية النموذج من ارتياد هذا المنبع ؟

ـ لكل كاتب مملكته الخاصة وكيانه الخاص وأدواته وموضوعه الخاص الذي تشكله ظروفه الخاصة ومنابعه المختلفة ، وأنا منذ مراهقتي وجدتني وجهاً لوجه أمام القصة الغربية في محاولاتي المستمرة لقراءة قصة جديدة بالقراءة ، كما أن الاهتمام بالقضايا السياسية يدفعك دفعاً نحو الغرب لأنه يشكل جزءاً كبيراً وهاماً فيها ، والثقافة الغربية هي الثقافة المسيطرة ومقاومتها لا تكون بتجاهلها ولكن بدراستها وفهمها ومعايشتها ، ولست أجد غضاضة في تأثري بالثقافة الغربية ، فنحن لا نكتب من فراغ ، ومن حقي أن أستفيد من معطيات وتجارب الآخرين بشرط أن أضيف إليها شيئاً ، فالتاريخ الأدبي هو تاريخ الاضافات والتجاوزات ، كما أن هناك عاملاً هاماً وهو مدى معرفة الكاتب بلغة أجنبية ، فالكاتب الذي يجهل لغة ثانية يجد نفسه منكباً ومهتماً ومجبراً على حصر اهتمامه وتركيزه على القراءة باللغة العربية ، أما من يقرأ بلغة ثانية فان اهتماماته تتوسع وتتشعب ويبدو مستحيلاً أن يحصر اهتمامه بثقافة دون أخرى .

« و .. ماذا عن الموسيقى العربية ؟

ـ وأين هي الموسيقى العربية التي تستحق أن تسمع !! ؟ عموماً ربما ذلك راجع للسنوات التي قضيتها في الخارج وتعرفي الحميم على الموسيقى الكلاسيكية ، لقد أحسست أن بها قدراً كبيراً من التركيب المثير للوجدان وهذا ليس خطأ ، فالثقافة سواء كانت موسيقى أو شعراً أو قصة ، في النهاية هي ثقافة انسانية متصلة الحلقات ، متوحدة الجذور والاهتمامات والطموحات .

« هناك من يقول إن جهد الباحث أو جهد الصحفي في أعمالك أكبر من جهدك كروائي !

ـ احتمال .

« هل أعتبر اجابتك هذه موافقة ـ إلى حد ما ـ على هذا الرأي ؟

ـ لا .. بالتأكيد . دعيني أعود معك إلى البداية ، فأنا اتخذت قراري بكتابة الرواية تأكيداً لذاتي ودفاعاً عنها في ظروف صعبة للغاية فقدت فيها حريتي ، وعلى الورق كان بوسعي أن أمارس كل الحرية المفتقدة ولازلت أحتفظ بأدق المشاعر لتلك اللحظات التي كنت أنفرد فيها بنفسي : مشرفاً على مساحات شاسعة من رمال الصحراء لأكتب فصولاً من رواية ، ومنذ البداية كانت لعبة الشكل تستهويني ، فالحرية التي يتعامل بها الكتاب المعاصرون مع مادة الرواية كانت تثيرني للغاية ، كل رواية تصبح مفاجأة تامة ومغامرة مثيرة جديدة ، لا تكرار فيها أو ابتذال . وكان من الطبيعي أن تتحول الطفولة التي استيقظت أدق لحظاتها في أيام فقداني للحرية إلى منجم غني بالنسبة للعمل الأول ، لكني لم أكتب غير بضع فصول توقفت بعدها عندما واجهت المشاكل التي يواجهها كل كاتب في بداية عمله ، وأحياناً كثيرة بعد الرواية الأولى ، أي طريق بين عشرات الطرق ؟ الاساليب والاشكال والمدارس ؟ تشيكوف وجويس وبروست فضلاً عن زولا وبلزاك ونجيب محفوظ

مع الكاتب الروائي : صنع الله إبراهيم

ثم آلان روب جرييه وأصحاب الرواية الجديدة في فرنسا الذين كانوا يحدثون ضجة كبرى في ذلك الوقت « بداية الستينيات » . لم يكن الأمر متعلقاً بالحرفة ، بالتكنيك وحسب ، وانما كان يشمل أساساً وجهة النظر ، الرؤية ، ما تريد أن تقوله . كنت قد بدأت حركتي من موقع التمرد على ما كان يعرف في ذلك الحين بالواقعية فقد شعرت أنا وكثيرون غيري انها تزيف الواقع وتزوقه وقدرت أن هذا الخداع لا يساعد الانسان بل يضلله ، هكذا عاهدت نفسي منذ البداية أن أذكر الحقيقة ، ولأن الحقيقة ليست مطلقة فلابد من أن أبذل كل جهد ، مسلحاً بالعلم والتجربة ، لاقترب منها قدر الإمكان ، وكان لدي قدر من الغرور وقتذاك ـ كنت ما أزال في الثانية والعشرين من عمري ـ لأعاهد نفسي ألا أكثر أو أقلد ، وأن أصمت اذا لم يكن عندي ما أضيفه ، ومن هذا المنطق ولدت رواياتي بأشكالها الجديدة ومضمونها الجديد ، ولكن المشكلة أننا أدمنا قراءة الروايات التقليدية ، الرواية « الحدوته » رواية الشخصيات المعروفة عند الجيل العربي الأول من كتاب الأدب الروائي ، ولذلك فان كل رواية جديدة تظهر متجاوزة المألوف والعادي تعتبرها نوعاً من الاستفزاز والخروج على المألوف : والرواية ـ في رأيي ـ أروع فنون العصر وقد اتسعت أشكالها لتستوعب هموماً وأموراً كثيرة ، وعلى سبيل المثال فان « ألدوس هكسلي **Aldous Huxley** كتب في احدى رواياته جملاً موسيقية كانت تشكل جزءاً هاماً من بنيان الرواية ، ومؤلف « لوليتا » كتب رواية عبارة عن قصيدة شعرية احتلت أربعين صفحة ، أما باقي صفحات الرواية فكانت شرحاً روائياً لهذه القصيدة ، وكاتب آخر ضمن روايته بحثاً قانونياً احتل عشرين صفحة ، إنها لعبة ذكية ومتفردة في تكنيك الرواية تضيف إليها أبعاداً أعمق ، وأنا مارست هذه اللعبة في أضيق الحدود ، ولماذا نذهب بعيداً فتجليات الغيطاني شكل جديد من أشكال الرواية غير المألوفة وان كانت ممعنة في التجريد خاصة في السفر الأول ، فليس هناك حادث معين ولا شخصية محدودة وانما هناك لغة تستثير ذكرياتنا وطفولتنا ، وما يميز جيلنا أن لكل منا طريقته الخاصة في كتابة الرواية .

« لماذا يحس قارئك بأنك تتعامل معه بفظاظة في صورك ولغتك وأفكارك وأشخاصك ؟

ـ لأنني أرفض كل أشكال الازدواجية بين الحياة التي نعيشها وبين ما نكتبه ، إنني ما زلت طفلاً في كتاباتي ، لم أعرف ازدواجية الكبار وازدواجية الحياة ، ولذلك قد أبدو فظاً في صوري وأشخاصي وتبدو لغتي جافة وتقريرية وحيادية أو خالية من الرواء الشعري بل إنني أتعمد أن أكتب بلغة ركيكة لأن الصدق في التعبير يتطلب مني ذلك أحياناً : إنني أرفض أن أقوم بتدليل القارئ وتضليله ومكافأته على كسله وأوهامه وخيالاته الرومانسية بكتابات « مزوقة » وناعمة وحالمة . إنني أقوم بتوظيف هذه الحدة للتنبيه للبشاعة التي نواجهها في الواقع .

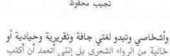
« ما هو تفسيرك لاحساسنا بأنك منفصل تماما عن عوالمك الروائية التي خلقتها وبأنك لا تتفاعل معها ولا تنفعل معها ، وأنك تستخدم اللغة ـ المسافة ، وليست اللغة التفاعل والانفعال ؟

ـ أعتقد أن ذلك يعود إلى طفولة شقية ، فقد كان أبي موظفاً من الطبقة الوسطى وكانت زوجته الأولى من نفس مستواه ، وكنت أنا ابن الزوجة الثانية والتي كانت أقل اجتماعياً منهما ، وكانت تعمل ممرضة لزوجته الأولى المشلولة ، ولقد كانت أمي صغيرة وجميلة ومتعلمة ومتدينة ، وكانت حريصة على تسجيل يومياتها ، وعانت في حياتها ضغوطاً نفسية قادتها إلى مستشفى الأمراض العقلية وأنا مازلت في السادسة من عمري ، وكان ذلك حكماً علي في تلك المرحلة المبكرة بالنفي النفسي الدائم ، والانفصال عن عالمي ، لقد كانت بداية غربتي الحقيقية ـ رغم حب أبي لي ـ التي أعقبتها سلسلة من الأمراض التي أورثتني جسداً ضامراً عليلاً ، وانعكس ذلك على كتاباتي ـ ربما ـ بحيث يشعر القارئ بانفصال عاطفي بيني وبين عوالمي القصصية التي أخلقها .

وأود أن أضيف أن اللغة ـ المسافة هي لغة العصر ، لغة تتيح لنا قدراً كبيراً من الحرية ، وتتيح لنا أن نراقب الآخرين عن قريب وبحياد ، وتتيح لنا أيضاً حياد الوصول إلى النتائج وحياد التفكير .

« لماذا صورة « الحب » في أعمالك مشروخة وعاجزة ومتوقفة عن النمو الانساني الطبيعي ولماذا تسقط شخصياتك أسيرة العجز ويجهض التوق المشروع للعطاء ؟

ـ حقيقة لا أدري ! وأظنها تلخيصاً مكثفاً وحاداً للمأزق الانساني .



نجيب محفوظ



يوسف إدريس

السد العالي .. ومايكل انجلو

« كيف توصلت إلى ذلك التقسيم الغريب ، والشكل البالغ التعقيد في روايتك « نجمة أغسطس » ؟

ـ لم تنصرم ثلاثة شهور على الانتهاء من روايتي الأولى « تلك الرائحة » حتى كنت في طريقي إلى موقع العمل في السد العالي ، في ظل القيود المفروضة على حرية « الفعل » بدا السد العالي كأنه المكان الوحيد الذي تتحقق فيه هذه الحرية فضلاً عما يعنيه هذا البناء من الناحية المادية بالنسبة لمستقبل بلادي ، كانت لدي شكوكي المختلفة وكنت أريد أن أقطع فيها برأي ، وكنت أيضاً أبحث عن زوجة ، عن وجودي الذي أربكته للغاية الأحداث الحياتية المتعارضة والمتلاحقة ، وكنت ما أزال أتلمس طريقي في الكتابة ، وحملت معي بالصدفة كتاباً عن « مايكل أنجلو » وإذا بي أجد في مسيرته الفنية كما فسرها مؤلف الكتاب ، صدى للمشاكل الفنية التي أعانيها ، فهو الذي رفض أن يكون موضوعه الأول من الأساطير كما شاء أساتذته ، وأصر أن يكون ذاتياً خاصاً به ، وهو الذي كتب هذه الأبيات عن وظيفة الفنان :

لا تخطر فكرة للفنان مهما كانت عظمته



سعد الله ونوس

وليس لها وجود في قشرة الصخر
فكل ما تستطيعه اليد التي تخدم العقل
هو أن تفك سحر الرخام.

منهاج كامل للتأليف الفني ، بل ورؤية فلسفية للحياة والفعل عموماً ، وانطلقت أكتشف معالم السد العالي الجغرافية والهندسية والتاريخية والسياسية والانسانية ، وسرعان ما أصبحت ، أنا ، والسد ومايكل أنجلو وحدة متفاعلة لا يمكن تجزئتها ، وفي هذه الوحدة تكمن شروط الرواية المطلوبة ، كل ما يتعين عمله هو أن أفك سحر الرخام . يتألف السد ــ جغرافياً وهندسياً ــ من ثلاثة أقسام : قسم أمامي وآخر خلفي وثالث بينهما ، وتتألف رحلتي من ثلاثة أقسام : القاهرة السد ــ السد نفسه ــ السد أبو سمبل ، ويتكون البناء من القسمين الأمامي والخلفي من أربع عمليات مختلفة ترتبط كل منها بآلة معينة ومادة معينة ، وأربعة فصول صعوداً إلى السد وأربعة هبوطاً منه : أما السد نفسه فله قلب : النواة الصماء أو الستارة الحديدية المنيعة التي تتألف ــ للغرابة ــ من أبسط المواد وأكثرها ضعفاً : التراب ، لكن هذا التراب عندما يمزج بالماء ويحقن ببعض المواد المستوردة يتحول إلى حاجز منيع في وجه الزمن ، وفي هذا الجزء الوسطي تلتقي كل عناصر السد والرواية وتتجمع تلك الشذرات والايماءات والذكريات والأحداث في بؤرة حية ، لحظة فعل متوترة ، وهي الخلاص المشروط بالحب ، ورفعت شعار تحقيق أقصى وحدة بين الشكل والمضمون ، وقضيت شهوراً في محاولة لإعطاء كل صفحة من مخطوطي ، وكل فقرة في هذه الصفحة ، شكلاً يتفق وأشكال المواد الرئيسية المكونة للسد ، الصخور والرمال والأتربة ، ثم تخليت عن هذا الهدف ــ من الناحية التشكيلية البصرية ــ عندما وجدت أنه يحتاج مني إلى سنوات ، وركزت جهدي على اللغة .

بيروت ــ بيروت والمرأة

وسألت «صنع الله» بدهشة لا تخلو من الاستنكار .

• ألا تعتقد أنها صدمة لقارئ روايتك بيروت ــ بيروت ، أن يعرف أن الدافع الأساسي لكتابتها هو محاولة معرفة التاريخ الخاص لامرأة لبنانية عرفتها ، أم أنك مغرم فعلاً أن تكون علاقتك بقارئك علاقة استفزاز ؟

و .. سألني فجأة : هل تحبين مشروب التمر الهندي ؟ قلت : نعم . قال : الأفضل أن نشربه مثلجاً قبل الإجابة على هذا السؤال ! !

و .. أجابني في هدوء مثير :

ــ هذه هي الحقيقة ببساطة شديدة ، إنها مسألة تبدو مضحكة ، ولكن ذلك ما حدث فعلاً ، عندما بدأت العمل كان الحافز الأساسي محاولة استكشاف العالم الداخلي الخاص لامرأة معينة ولم يكن أكثر من ذلك ، ولم يكن في ذهني أبداً أن أصنع توثيقاً للحروب الأهلية ، بل لم أعرف أصلاً أن هناك مادة تسمح بذلك ، ولكن عندما بدأت العمل أردت تكوين خلفية الشخصية وهي كما قلت امرأة لبنانية ، لكني ــ في الأصل ــ لم أكن مهتماً بالشكلة اللبنانية كمشكلة ، كان هناك فحسب متابعة لبعض التفاصيل الخاصة ، وعندما رأيت ضرورة تكوين خلفية قررت أن أفهم المسألة كلها ، هذه هي الحقيقة ببساطة ، ودون محاولة مني لرفع شعارات وادعاء أنني أردت الكتابة عن الزمن الذي عمد بالدم ، أو عن الأمل العربي ، و .. أنا شخصياً لا أستطيع الكتابة عن موضوع إلا إذا هزني في جزء خاص جداً وذاتي جداً وحميم جداً .

• و .. سألته إذا كان يتفق مع محمود أمين العالم على أن رواياته الثلاث الأولى ما هي إلا ثلاثية مترابطة الأجزاء ..

فقال :

ــ للوهلة الأولى قد لا أتفق معه ، لأنني أشعر أن «اللجنة» رواية مختلفة ، عالم مختلف ، وشخصيات مختلفة ، بناء مختلف ، ولغة مختلفة ، ولكن من الطبيعي أن تكون فيها سمات الأعمال الأخرى ، فالكاتب لا يستطيع أن يغير جلده في كل عمل ، فهو موجود في كل أعماله بصورة ما ، بهزائمه وإحباطاته ، وأحلامه وطموحاته ، وعموماً فأنا لا أستطيع الحكم لأنني لا أستطيع أن أوجد خارج أعمالي لأقوم بدور الناقد .

• قلت أن كتاباتك أحدثت أصداء في الخارج أكثر مما كان لها في مصر ، لماذا في اعتقادك ؟

ــ لسببين اثنين أولهما أن الصحافة العربية تهتم بمتابعة الاصدارات الجديدة ورصدها وتحليلها وتقديمها للقارئ على عكس الصحافة المصرية ، والسبب الآخر أن الانسان العربي خارج مصر لظروف كثيرة يصعب شرحها هنا أكثر اهتماماً بالقراءة وأكثر حرصاً على متابعة الاصدارات الجديدة من الانسان العربي في مصر .

• منذ أن كتبت قصتك القصيرة الأولى «الثعبان» عام ١٩٦٣ وحتى اليوم لم يزد عدد قصصك القصيرة عن خمس ، هل هذا موقف من كتابة القصة القصيرة ؟

ــ هناك ثلاثة أشكال للأدب لا أحبها ولا أحب قراءتها : القصة القصيرة والشعر والمسرح ، الرواية هي عالمي الحقيقي ، وقصصي القصيرة التي كتبتها ما هي إلا حالات نادرة أردت أن أسجل فيها حاجة للكتابة ملحة وسريعة ، ولكن طبيعتي ترفض هذا الشكل ، فكل الأمور عندي ــ كعادتي ــ تتوسع وتتمدد وتتشعب بحيث لا يقدر على احتوائها إلا إناء متسع ومريح ، وقد كانت الرواية هي الإناء الذي اخترت لهذا الفيض المتدفق والمقلق في نفسي .

• وماذا عن رواياتك العلمية الست والتي صدرت في الفترة الممتدة ما بين عام ١٩٨٠ ــ ١٩٨٣ ؟

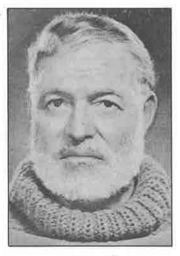
ــ كأي واحد من أبناء جيلي لم تكن لدي أي اهتمامات علمية ، ولكن ظروفي الخاصة أيقظت حواسي الخمس يوماً نحو ما يحيط بنا من أشياء ، السماء ، الشجر ، التراب ، الشمس ، الحجر ، الحشرات والحيوانات ، وبدأت أطرح على نفسي أسئلة كثيرة وقد انغمست في عالم الحيوانات ، كيف تعيش ، كيف تحب ، كيف تتوالد ، هل تحلم و .. أسئلة كثيرة بدت مضحكة ، ولكنه عالم جديد تفتح لي وبهرني واستحوذ علي ، وقد ساعدني على ذلك مجموعة الكتب التي كانت تأتي لنا من الخارج ، ومن حسن الحظ أنها كانت تحوي بعض الكتب العلمية ، وعندما خرجت من السجن شغلتني الحياة ، البحث عن عمل ، البحث عن زوجة ، البحث عن أجوبة ، كتابة الرواية ، الترجمة ، وأشياء أخرى كثيرة ، حتى وجدتني في يوم من الأيام مضطراً لترك العمل لظروف صحية ، واعتكفت في البيت ، ووجدت في مكتبتي عدداً من المراجع العلمية قد تجمعت ، وبدأت فوراً في كتابة أول رواية علمية للفتيان عن حيوان أحبه وهو «العنكبوت» ، وعندما حاولت نشرها قوبلت بابتسامات ساخرة ، إلى أن التقيت بأحد الأصدقاء وكان يعمل في دار الفتى العربي التي اقتنعت بجدوى وأهمية هذه الرواية العلمية واتفقت معي على إصدار سلسلة متتابعة ، وقد ساعدتني الدار بتوفير كافة المراجع العلمية ، وقد كان هدفي دائماً كتابة رواية علمية واقعية لا تمت بصلة لأدب الخيال العلمي ، وقد حررتني كتابة الرواية العلمية من عقدة الخوف من الكتابة بعد

مع الكاتب الروائي :
صنع الله إبراهيم

الفراغ من رواية جديدة ، لأنه ليس مطلوباً مني في كتابة الرواية العلمية إلا أن أحكي حكاية مطعمة بمعلومات علمية ومكتوبة بلغة سليمة وجمل دقيقة ، لا تواجهني فيها المحظورات والقيود والطموحات التي تحاصرني عند إعداد رواية أخرى ، وأيضاً أتاحت لي الرواية العلمية أن أمارس عدة أساليب لا أجرؤ على تجربتها في رواية أخرى لأنني لا أريد الخروج على طريق رسمته لنفسي ، بالاضافة لذلك فانها حققت لي استقراراً مادياً ثابتاً حماني من فكرة العودة للبحث عن عمل تحت ضغط الظروف ، خاصة وأن كتب الأطفال أو الفتيان تباع بسهولة ويعاد طبعها عدة مرات ، بل انها تدخل البلاد المحظور دخول رواياتي فيها .

• قلت إنك تقترب من « هيمنجواي » أكثر من اقترابك من أدب الرواية الجديدة ، ما هي صور أو أشكال هذا الاقتراب ؟

ــ لقد تأثرت إلى حد كبير بهيمنجواي . لقد آمنت ــ منذ بدأت الكتابة ــ بمقولة هيمنجواي ألا أكتب إلا عما أعرفه ، فهذه قاعدة مريحة ، قد تضيق الدائرة حقاً ، ولكنها تجعلها أعمق وأكثف وأصدق ، فقد حدث أنني حاولت ــ في البدء ــ الكتابة عن أشياء لم أعشها ، أذكر ــ مثلاً ــ عندما كنت في الواحات ، كان لنا زميل عجوز يروي حكايات حياته ، وكان يتصور أنها حكايات مهمة للغاية ، ويريد أن أكتبها ، وتصورت أنه من الممكن كتابة كل شيء وخصوصاً أنه كان يريد أن يعطيني مقابل كل جزء أكتبه من تاريخ حياته مقابلاً من السجائر ، وبدأت الكتابة ، ولكنني أحسست بافتقاد الإثارة لافتقاد المعرفة بالموضوع ، وتلك قاعدة هامة ، وهيمنجواي أيضاً صاحب شعار أن الأدب كجبل الثلج العائم الذي لا يظهر بكامله ، وهذا يجعلك تترك مكاناً للتفسير ، كما يمنح العمل قابلية التفسير من عدة مستويات من القراء ، وكان هيمنجواي يرى كذلك أن ثمة ستة أبعاد للنفس البشرية عرفنا خمسة ، ولكن هناك بعداً آخر ، حتى هيمنجواي لم يكن يعرفه ، لكن كان يؤكد دائماً أنه قائم ، وقد تعلمت منه أشياء أخرى تخص اللغة ودقة الوصف وتكثيفه ، وعلاقة الجملة بالجملة ، وتأثير بياض الصفحة والبنط ، وهذا يقربنا من الشعراء الذين يكتبون قصائدهم على شكل صور وأشكال ، وفي نظري أن أخطر ما قاله هيمنجواي هو ما يتعلق بالاقتصاد في التعبير فما يمكن أن نقوله في صفحة واحدة أفضل من أن نقوله في خمس صفحات على طريقة « إلس وامض » ولذلك كان هيمنجواي يقذف بنصف ما يكتبه في



أرنست همنجواي

مايكل انجلو

الكتابات الأولى . ولكني آخذ عليه وبشدة أنه لم يهتم أبداً بواحدة من أخطر القضايا في العالم وهي قضية الاستعمار ، فلقد كتب عن أفريقيا بعين الأوروبي المدلل الذي لا يرى في أفريقيا إلا أدغالها وحيواناتها لممارسة نزواته في الصيد والنهب ، ولم ير الاستغلال البشع للانسان الأفريقي وكرامته وآدميته وثرواته المنهوبة .

• أليس غريباً أن تتأثر به لا من خلال أعماله الروائية بل من خلال سيرة تعرض لفن هيمنجواي كتبها « كارلوس بيكر » ؟

ــ نعم ، قد يبدو الأمر غريباً جداً ، لكن هذا ما حدث ، لقد حاولت قراءة هيمنجواي ولكني لم أحبه ، لقد كنت أشعر بالملل والسأم عند محاولة قراءة رواياته أو قصصه ، وعندما قرأت كتاب « كارلوس بيكر » أحببت طريقته ومبادئه في الكتابة ، لقد كان هذا الكتاب بداية العثور على طريقي الخاص ، بل انه غير مجرى حياتي ككاتب .

• وهل أحببت قراءة أعماله بعد أن اطلعت على الكتاب الذي شرح منهجه في الكتابة ؟

ــ قد يدهشك إذا علمت أنني لم أطلع إلا على رواية أو اثنتين حتى بعد قراءة كتاب « كارلوس بيكر » لقد كان دائماً مملاً بالنسبة لي !!

• أليس هذا حكماً على أعمالك بالملل بما أنك تطبق ــ كما تقول ــ نفس منهجه في الكتابة ؟

ــ إن تطبيق المنهج نفسه يختلف من كاتب إلى كاتب . وأرجو أن لا أصدمك إذا اعترفت لك بصراحة إنني أشعر أن « نجمة أغسطس » رواية مملة !!

و .. سألته عن الروائي العربي الذي لا يثير ملله فقال :

ــ غالب هلسا وحيدر حيدر ومحمد شكري .

• و .. نجيب محفوظ ؟

ــ روائي له تاريخ لا ينكر ، أبو الرواية العربية ، ولكني أطالبه بالتوقف عن كتابة المقالات السياسية .

و .. انتهى الحوار مع صنع الله ابراهيم كاتب « الصدمات » !

سارة ــ القاهرة

صنع الله ابراهيم في سطور

• من مواليد القاهرة عام ١٩٣٧

• في الفترة الممتدة بين عام ١٩٦٦ ــ ١٩٨٣ صدرت له أربع روايات وست روايات علمية للفتيان فازت إحداها « يوم عادت الملكة القديمة » بجائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم « أليسكو » عام ١٩٨٢

• صدرت روايته « تلك الرائحة » بالانجليزية مع أربع قصص قصيرة عن دار « هاينمان » .

• ستصدر روايته « نجمة أغسطس » عن دار سندباد الفرنسية مع نهاية هذا العام .

• في الفترة الممتدة بين عام ١٩٧٥ ــ ١٩٨١ ترجم رواية العدو ــ الحمار ــ معونة أم استعمار جديد ــ ولد لا يعرف الخوف .

• صدرت عدة كتب تناولت أعماله منها :

١ ــ المغامرة المعقدة محمد كامل الخطيب .

٢ ــ ثلاثية الرفض والهزيمة » ــ محمود أمين العالم .

• كانت « اللجنة » و « نجمة أغسطس » موضوعاً لعدد من الرسائل الجامعية .

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة



أزمة روحية تدفع الشعراء إلى هجاء العقل والنصح بالبعد عنه وعدم استخدامه

التّحامُق في العصر العبّاسي

بقلم: صلاح الدين المنجد

في العصر العباسي ظاهرة غريبة تلذ الباحث بطرافتها ولطافتها. هي التحامق وإظهار البلاهة تارة والغفلة مرة.

وقد تدهش بادئ ذي بداءة وتعجب، فإذا انثنيت على نفسك مفكراً متأملاً، أو مقايساً باحثاً، علمتَ أن في هذا التحامق من الصواب ما ينبئ عن حدة ذهن، ودقة فهم، وجودة حدس.

فلقد وجد الناس في ذلك ضروباً من الفائدة. فكانوا يلجأون إليه كلما ضاق عليهم الأمر، وعسرت أمامهم المسالك، فينالون ما يشتهون، ويحظون بما يحبون. وما كانوا ليتحامقوا بعد علمهم أن أولئك الناس العوام أشد منهم حمقاً، وأقل فطنة، وأكثر غباوة. وما لهم لا يتحامقون في عصر قال العتابي الشاعر عن ناسه إنهم بقر لا يفقهون.

فقد ذكروا عن عثمان الوراق أنه رأى العتابي الشاعر يأكل الخبز على الطريق بباب الشام (في بغداد)، فقال له: ويحك، أما تستحي؟ قال: أرأيت لو كنا في دار بقر كنت تستحي وتحتشم أن تأكل وهي تراك؟ قال الوراق: لا. قال فاصبر حتى أعلمك أنهم بقر. فقام العتابي، فوعظ وقص ودعا، حتى كثر الزحام عليه، ثم قال لهم: «روى لنا غير واحد أنه من بلغ لسانه أرنبة أنفه لم يدخل النار!» فما بقي أحد إلا أخرج لسانه يومئ به نحو أرنبة أنفه ويقدره يبلغها أم لا... فلما تفرقوا التفت العتابي إلى صاحبه وقال: «ألم أخبرك أنهم بقر..؟!»

وكان أناس يرون في الحمق الروح والراحة، وطيب العيش فسعوا إليه، وتحدث الشعراء بذلك، فقال أحدهم:



التحامق في العصر العباسي

الروح والراحة فى الحمق
وفى زوال العقل والخرق
فمن أراد العيش فى راحة
فليلزم الجهل مع الحمق

وما ذلك إلا لأن العقل كان عدو الإنسان فى ذلك الزمان يقول الشاعر القمي :

تحامق ، تطب عيشاً ولا تك عاقلاً
فعقل الفتى فى ذا الزمان عدوه

ولأن من يتحامق يريح ويستريح . فقد سئل مرة زيد بن سعيد العبدى عن تحامقه ، فقال : « جددت فشقيت ، ثم تحامقت فأرحت واسترحت » .

وكان أناس آخرون يتحامقون لينالوا الغنى . قالوا إنه كان في بغداد رجل عاقل ، أديب فهم ، شاعر ، يقال له عامر . وكان مع أدبه محروماً مجازفاً . فلما ضاق صدره ، أظهر التحامق والتجانن . فتفقده صاحب له ، وجعل يطلبه حتى ظفر به فى بعض القرى ، وحوله الصبيان ، يضحك ويضحكون . فقال له : يا عامر ، مذ كم صرت بهذه الحال ؟ فقال :

جننت نفسى لكى أنال الغنى
فالعقل فى ذا الزمان حرمان

وقد يدرك المتحامق الملوك بتحامقه فتحسن حاله ، ويزيد ماله . قالوا إن علياً القصرى كان ممن يجيد الشعر ، وكان محروماً لا يؤبه له . فتحامق وأخذ في الهزل ، فحسنت حاله ، وراج أمره ، حتى أن الملوك والأشراف أولعوا به ، فأفاد من هزله وحمقه المال الوافر ، والنشب الكثير . وذلك لأنه :

إن كنت تهوى أن تنال المنى
فالبس من الحمق غداً سربالاً

فيسهل ما عسر ، وتوسر وتغنى ، وتقوم بقوت عيالك وأهلك :

عذلونى على الحماقة جهلاً
وهى من عقلهم ألذ وأحلى
ولقد قلت حين أغروا بلومى
أيها اللائمون في الحمق مهلا
حمقى قائم بقوت عيالى
ويموتون إن تعاقلت هزلا

وكثيرا ما كان العلماء يتحامقون أو يتجانون إذا دعوا إلى القضاء . وكانوا يرون فيه مهلكة لا ينجو منها إلا من رحم الله ويخافون أن يزلوا فيعاقبوا . دعا المنصور أبا حنيفة وسفياناً الثورى ، ومسعراً وشريكاً ، ليوليهم القضاء . قال أبو حنيفة : أنا أتحامق فيكم ، فأقال وأتخلص . وأما مسعر فيتجان ويتملص ، وأما سفيان فيهرب . وأما شريك فيقع . فدخلوا على المنصور ، فتحامق أبو حنيفة ، وتجانن الثورى ومسعر ، فنجوا .



ومثل هذا فعل عبد الله بن وهب لما دعاه الخليفة ليتولى قضاء مصر ، فقد تجنن نفسه ، فلزم بيته .

وقد حفلت كتب الأدب بنوادر رائعة ، غير ما ذكرناه عن التحامق والتجانن فى هذا الباب . فمن أظرف ما يروى فى ذلك أن رجلا آلى بيمين أن لا يتزوج حتى يستشير مائة نفس لما قاسى من بلاء النساء . فاستشار تسعة وتسعين نفساً وبقى واحد فخرج على أن يسأل أول من نظر إليه . فرأى مجنوناً قد اتخذ قلادة من عظم ، وسود وجهه ، وركب قصبته . فسلم عليه الرجل ، وقال له : مسألة . فقال المجنون : سل ما يعنيك ، وإياك وما لا يعنيك . قال الرجل : فقلت مجنون والله . ثم حدثته أني أصبت من النساء بلاء ، وآليت أن لا أتزوج حتى استشير مائة نفس ، وأنت تمام المائة . فقال اعلم أن النساء ثلاث : واحدة لك ، وواحدة عليك ، وواحدة لا لك ولا عليك . فأما التى لك فشابة طرية لم تمس الرجال ، فهى إن رأت خيراً حمدت ، وأن رأت شراً قالت : كل الرجال على مثل هذا . وأما التى عليك فإمرأة ذات ولد من غيرك ، فهى تسلخ الزوج لتجمع لولدها وأما التى لا لك ولا عليك فإمرأة قد تزوجت قبلك ، فإن رأت خيراً قالت هكذا يجب ، وإن رأت شراً ، حنت إلى زوجها الأول . فأعجبنى كلامه ، وملأ نفسى ، فسألته ما الذى غير من أمره : قال . رشحت للقضاء ، فاخترت ما ترى على القضاء .

* * *

فهذى طرف تضحك بادئ ذى بدء ، فإذا تأملها الإنسان وجد فى عمل أصحابها العقل الحسن ، والتدبير الحازم ، والرأى السديد .

صلاح الدين المنجد

(دمشق) — ١٩٤٩

ظـــاهرة أدبيّــة طريفــــة

شعراء أميون وقصائد فصيحة

بقلم : محـــمود رزق ســـليم

ما الأمية ؟ وما مبلغ صلتها بالشعر ؟

أول ما يطالعنا من معاني الأمية أنها الجهل بمبادىء القراءة والكتابة . اللذين هما مفتاح الثقافة والطريق المؤدى إلى العلم . غير أننا نجد أحياناً ممن مهروا في القراءة والكتابة . ونالوا من العلم والثقافة حظاً . ينحدرون إلى جهالة جهلاء وضلالة عمياء . إذ لا يفرقون بين حق وباطل . ولا يميزون بين فضيلة ورذيلة . ولا يؤدون حق العـــلم عليهم بالترفيه عن قومهم . وبخدمـــة أوطانهم . أولئك والأميون سواء . بل إن بعضـــاً من الأميين الذين لم يمحصهم أدب . ولم يوقحهم تعليم . قد يكونون أسلم نية . وأطهر طوية . وأصدق عاطفة . وأعرف بأقدار الناس وحقوق الأوطان . وقد استعاضوا بالذكاء والتجربة عن أميتهم ودرسوا علوم الحياة في مدرستها فتخرجوا فيها فضلاء يشأون أولئك الذين أخرجتهم الكتابة من ربقة الجهل . وخلعتهم القراءة من حظيرة الأمية . ولكن لا تزال بنفسهم من الجهل الأصيل علقة . ومن الأمية الراسخة لوثة .

وليس معنى ذلك أننا نتجنى على الكتابة والقراءة ونتضلع مع الأمية . ونحط من قدر الثقافة . كلا وحاشا . ولكننا نحبها جميعاً على أن تكون الطريق الموصلة إلى فهم الحق فهماً صحيحاً وبلوغ الفضيلة بلوغاً كاملا .

ويبدو أن هذا المعنى الذى نفهمه الآن عن الأمية . لم يكن معروفاً قبل أن تسلك الكتابة الخطية سبيلها إلى الانتشار والذيوع . فكان الأميون هم العامة لا الخاصة . والأوشاب لا الأشراف . والإمعات المغمورين لا الرؤساء المشهورين ولهذا أطلق اليهود قديماً لفظ « الأميين » على عرب الجاهلية استهانة بأمرهم . وتحقيراً لشأنهم . حتى رفع الله هذا اللفظ وشرفه وكرمه . فنعت به النبي الكريم عليه الصلاة والسلام .

أما الشعر فهو فطرة موهوبة لا خلة مكسوبة . ولحن الهي لا نغم تعليمى . تكسبه المقادير في نفوس جبلت منذ أزلها على أن تكون شاعرة . نفوس تتوثب عاطفاتها . وتتوقد أحساساتها وتسجل عليها الأيام ما يطيب لها من حادثات بشرية ومشاعر إنسانية .

وتولد هذه النفوس أمية كسائر النفوس . فإذا خرجت عن أميتها . ونزعت منزع الثقافة زادت حذقاً وفراهة . وأصبحت دانية إلى كمالها .

وقد أنجبت البشرية . وولدت قبل عهد الكتابة والقراءة كثيراً من الشعراء . وشعراء العرب في العصر الجاهلي كانوا يمتون إلى هذه الأمية بأوشج الصلات . غير أن هذه الأمية لم تمنعهم أن يكونوا شعراء . ولم تمنع نفوسهم أن تتغنى بما تجيش به وأن يكون غناؤهما على جانب من الرونق والجودة والصدق والسمو . استأهل إعجاب الأجيال . واستحق أن يكون موضع دراسة . بل باباً من أبواب العلم والثقافة حتى اليوم . وقد أفادتهم — بلا ريب — رجاحة عقولهم وثقوب نظرهم وسمو تجاربهم عوضاً عما عانوه من الأمية والجهل بالقراءة والكتابة

ويتبين لنا مما سبق أنه لا غضاضة على عصر أدبى من عصور الكتابة والقراءة أن يكون من بين شعرائه قوم أميون لا يقرءون ولا يكتبون . بل العجيب حينذاك ألا تطرد طبيعة الأقدار وفطرة البشرية . فتقصر الشاعرية على قوم من المثقفين بالقراءة والكتابة . بدلا من توزيعها على الناس والبيئات والطوائف بقسطاس مستقيم عادل . ما دامت الشاعرية فطرة موهوبة لا خلة مكسوبة — كما أشرنا —

في الحق أن الأقدار مطردة في طبيعتها . والبشرية متشابهة في عصور فطرتها . جارية على وتيرة واحدة . وتوزيع الموهبة قائم على العدالة منذ القديم . فلكل جيل شعراؤه . وكذلك لكل بيئة ولكل طائفة . لا تبالى الأقدار في توزيعها واختيارها بأن تخص من يقرءون ويكتبون بأوفر حظ من الموهبة . وأوفى نصيب . دون سواهم .

ومنذ ذلك العصر الذي وجدت فيه الكتابة الخطية سبيلها إلى الوجود والحياة والقوة والاستمرار . واتخذت منهجاً أولياً . تعليمياً . وللراغبين في العلم . والساعين إلى الثقافة . ومن ثم فرقت الناس إلى شطرين : عالم يقرأ ويكتب . وجاهل أمى لا يقرأ ولا يكتب . ومنذ ذلك العصر الذى تولدت فيه اللغات العامية . وافترقت فيه لغة العامة عن لغة الخاصة . نقول : منذ العصرين المذكورين . والطبيعة سائرة على وتيرتها . مطردة في بابها . توزع موهبتها توزيعها العادل . ولهذا كثيراً ما نرى مخايل الشاعرية . ودلائل الفنية بادية في أوساط الأميين .

غير أن حرص أهل الفصحى ومؤرخيها عليها . وحفاظهم الشديد على سلامتها . نفرهم من الأمية والعامية . ومن أدبائهما . وشعرائهما . لا يلمون بحياتهم ونتاجهم إلا في حذر وإباء . وأنفة وكبرياء . ولهذا طغى عليهم سيل الحرمان . وسحب عليهم ذيل النسيان فعاشوا نكرات مغمورة . وأغفالا مهجورة ..

وبعد فنحن لا ندرى بالضبط . ما موقفنا من الشعراء العوام . وما رأينا في إنتاجهم الشعرى ؟ أنحمده لهم أم نجحده . ونشكره أم نكفره . وهل نغبط عصرهم عليهم أم نغمطه . ونهنئه بهم أم نعزيه ؟ ..

وقد قلنا « الشعراء العوام » لا « شعراء العامة » . لأننا نقصد أولئك الأدباء . الذين شبوا أميين لم يتعلموا الكتابة والقراءة . ولذلك لم يسلكوا سبيلهم إلى المطالعة والبحث والتحصيل والدرس . ولكن غلبت عليهم حرفة الأدب . ونزعت بهم نازعة الشعر . فنظموا بالفصيحة السليمة شعراً قوياً بارعاً . ومشرقاً ساطعاً . يتضمن الجديد من المعنى . والمفيد من الرأى . والسلس من الحديث — فضلا عما نظموه من الشعر العامى .

فهل أمثال هؤلاء وصمة في جبين عصرهم ؟ من حقنا أن نشوهه بهم . ونعيره بوجودهم ؟ أم نعتبرهم حلية من حلاه . وزينة من زيناته . لأنهم استطاعوا على رغم عاميتهم وأميتهم أن ينفذوا بفنهم وشاعريتهم . إلى الفصحى فينظموا بها .



ويصوغوا الأبيات مصقولة بصقالها ؟

هؤلاء كشعراء الجاهلية ولكن بفرق يسير .. وهو أن شعراء الجاهلية كانوا يعيشون والفصحى سليقة في اللسان ، تجرى مع الخاطر مجرى الطباع . أما شعراؤنا العوام فقد عاشوا في بيئة عامية اختلطت لغاتها وتبلبلت لهجاتها ، فكانت محرفة اللسان سقيمة البيان .

هكذا عاش عدد من الشعراء في العصر المملوكي . ولكنهم برغم هذا ، قادتهم فطرتهم السليمة ، وأذواقهم المصقولة ، إلى أن يدلفوا إلى الفصيحة المعربة من بابها ، ويعيشوا ردحاً في رحابها ، وينظموا الأبيات الرائقة في جنابها . فوعت بطون الأسفار طرفاً من أخبارهم ، وروت لمعاً من أشعارهم . تنم عن فنهم وتدل عليه . كما نم الأرج عن الزهر ، ودل الخرير على النهر .

وكان بعضهم بحكم عاميته ، ينظم كذلك الأزجال ، وما إليها ؛ ولكنه يضرب في وديان من الظرف واللطف ، ويفيض بألوان من السحر والبيان .

ونحن فيما يلي ننوه ببعض هؤلاء فمنهم :

الأمير بيبرس الفارقاني . كان من المعمرين : وتوفى عام ٨٠٨ هـ وأسس حماماً تجاه المدرسة البندقدارية . وكان من أهل الدين والصلاح . وله مشاركة في العلم . وكان أمياً لا يقرأ ولايكتب . ويزن الشعر بطبعه ، وله شعر جيد باللغة الفصحى . ومن قوله في الغزل ، وفيه تورية :

من لـي بظبـي غـرير
باللحظ يسـبى الممالك
إذا تبـــدى بليـل
جلا ســناء الحــوالك
من حور رضوان أبهى
لكنـه نجـل مــالك

روى ذلك ابن أياس في البدائع .

ومنهم ابن الربيع . وهو مجاهد بن سليمان بن مرهف ابن أبي الفتح المصري التميمي ، ويعرف بالخياط . كان أديبا رقيقاً ويعتبر من كبار أدباء العوام . عاصر الشاعر المصري البارع المرح أبا الحسين الجزار ، والأديب ناصر الدين بن النقيب ، وغيرهما من أدباء الحلبة الأولى في العصر المملوكي . وكانت بينه وبين كثير منهم مراسلات ومساجلات . وقد سل لسانه زمنا على الشاعر أبي الحسين الجزار ، فهجاه وهجا شعره . ومن هجائه قوله :

أبـا الحسـين تـأدب
مـاالفخـر بالشعر فخـر
ومـا تبـللت منـــه
بقطـرة وهـو بحـر
وإن أتيـت ببيـت
ومـا لبيتـك قـدر
لـم يـأت بالبيـت إلا
عليـه للنـاس حكـر

ومن شعره في التشوق والحنين ، مخاطباً البرق :

أعد يابرق ذكر أهيل نجد
فإن لك اليد البيضاء عندي
أشيمك بارقاً فيضل عقلي
فواعجباً تضل وأنت تهدي
ويبكيك السحاب وأنت ممن
تحمل بعض أشواقي ووعدى
بعثت مع النسيم لهم سلاماً
فما عطفوا على له برد

وقد توفى مجاهد عام ٦٧٢ هـ. وتحدث عنه صاحب فوات الوفيات .

ومنهم أيضاً شرف بن أسد المصرى . قال عنه صاحب الفوات ، شيخ ماجن متهتك ظريف خليع . يصحب الكتاب . ويعاشر الندماء ، ويشبب في المجالس على القيان . . ونقل أيضاً عن صلاح الدين الصفدى قوله عن هذا الأديب . قال رأيته غير مرة بالقاهرة وأنشدني كثيراً من البلاليق والأزجال والموشحات وغير ذلك . وكان عامياً مطبوعاً ، قليل اللحن . يمتدح الأكابر ويستعطى الجوائز . وصنف عدة مصنفات في شاشات الخليج والزوائد التي للمصريين والنوادر والأمثال ويخلط ذلك بأشعاره وهي موجودة بالقاهرة عند من كان يتردد إليهم .

وقد توفى ابن أسد المصرى عام ٧٣٨ هـ.

ولم يرو له الصفدى شيئاً من شعره الفصيح . وروى له موشحة زجلية طريفة يخاطب بها شهر رمضان في دعابة وتفكه ويبدو أن رمضان إذ ذاك كان شديد الحرارة ، فأثارت حرارته في الشاعر هذه الدعابة .

ومن لطيف ما رواه الصفدى لهذا الأديب العامي ، مقامة منثورة مسجوعة ، فيها فكاهة وفيها حوار بين أحد النحاة وأحد الأساكفة . يطلب فيها النحوى من الإسكافي نعلا طفق ينعتها له ، ويصف شروطها . فرد عليه الإسكافي رداً محنقاً ملأه بالكثير من الكلمات الغريبة .

ومما جاء في هذه المقامة ، وصفاً للنعل على لسان النحوى قوله : « ظاهرها كالزعفران ، وباطنها كشقائق النعمان . أخف من ريشة الطير ، شديدة البأس على السير ، طويلة الكعاب عالية الأعتاب ، لا يلحق بها التراب . ولا يعرفها ماء السحاب تصر صرير الباب ، وتلمع كالسراب ، وأديمها من غير جراب جلدها من خالص جلود المعز . ما لبسها ذليل إلا افتخر بها وعز » الخ .

ومن الشعراء الأميين أيضاً إبراهيم بن على الحراني ، ويعرف بعين بصل . كان حائكا ، وكان عامياً أمياً ، نظم الشعر الفصيح في الغزل والوصف وغيرهما .

ومن غزلياته قوله من قصيدة :

جسمى بسقم جفوته قد أسقما
ريم بسهم لحاظه قلبي رمى
كالريح معتدل القـوام مهفهف
مر الجفـا لكنه حلم اللمى
رشأ أحل دمى الحرام وقد رأى
في شرعه وصلى الحلال محرماً
رب الجمـال بوصله وبهجره
ألقى وأصلـى جنة وجهنما

وله قصيدة جيدة في وصف دمشق وجناتها يقول في مطلعها :

ربوع جلق للأوطار أوطان
وليس فيها من الندماء ندمان
كم لى مع الحب في أقطارها أرب
إذ نحن في ساحة الجيرون جيران
أيام تجرير أذيالي بها طـرباً
ولى مكان له في السعد امكان
إذ بت أنشد في غزلانها غزلا
لما عزت كبدى باللحظ غزلان

ومنها يقول :

فأنت في جنة منها مزخرفة
وقد تلقاك بالرضوان رضوان
وأنت فيها عن اللذات في كسل
أنهض فما بلغ اللذات كسلان
أماترى الأرض إذ أبكى السحاب بها
آذارها ضحكت إذ جاء نيسـان
والزهر كالزهر حياه الحيا فبدت
في الروض منه إلى الأبصار ألوان
زمرد قضب فيهـا مركبة ...
جواهر ويواقيت ومرجان . الخ

ومن يقرأ هذه القصيدة بتمامها ، يستروح فيها أنساماً من قصيدة أمير الشعراء شوقي بك في وصف دمشق ، ولاسيما أن القصيدتين من بحر واحد وروى واحد .

هذا ، ويقول صاحب فوات الوفيات : إن قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان (المتوفى عام

٦٨١ هـ) كان قد قصد هذا الشاعر ، واستنشده من شعره فقال له : أما القديم فلا يليق وأما نظم الوقت الحاضر ، فنعم . وأنشده :

وما كل وقت فيه يسمح خاطرى
بنظم قريض رائق اللفظ والمعنى
وهل يقتضى الشرع الشريف تيمماً
بترب وهذا البحر يا صاحبي معنا

ومن الأميين أيضاً : ذلك الأديب الشاعر الرقيق صاحب البيتين المشهورين :

قد بلينا بوزير
ظلم الناس وسبح
فهو كالجزار فينا
يذكر الله ويذبح

ذلك الشاعر هو ابراهيم المعمار . قال عنه صاحب الدرر الكامنة : شاعر مشهور عامى ، لكنه ذكى الفطرة ، قوى القريحة ، لطيف الطبع ، ولم يتمدح بأحد . وقال إنه مات عام ٧٤٩ هـ .

وبمناسبة ذكر عام وفاته ، نشير إلى أن المؤرخين اختلفوا فيه والذي يبدو لنا أنه من شعراء النصف الأول من القرن الثامن .

وقد نظم الشعر في أغراض كثيرة منها : النقد ، والفكاهة ، والغزل والمجون والخمريات والوصف . وقد اصطنع البديع وبخاصة التورية . وكان سلس الأسلوب ، واضح المعانى ، غير أن له أخطاء لغوية أحياناً .

وإلى جانب شعره الفصيح ، نظم الزجل والمواليا ، فى نفس الأغراض الشعرية التى طرقها .

ومن شعره قوله ، وفيه اقتباس :

قال لى العاذلون انحلك الحب
وأصبحت فى السقام فريدا
أئذا صرت من جفاهم عظاما
أبوصل تعود خلقاً جديداً
ما رأينا ولا سمعنا بهذا
قلت كونوا حجارة أو حديداً

ومنه وفيه تورية :

ياقلب صبراً على الفراق ولو
روعت ممن تحب بالبين
وأنت يا دمع إن ظهرت بما
يخفيه قلبى سقطت من عينى

وبعد فهؤلاء خمسة شعراء أميين لا يقرءون ولا يكتبون ، جاد بهم عصر المماليك ، فجادوا الناس بالبديع الممتع من الشعر ، فلا أقل من أن نذكرهم بالحمد والشكران بدل الذم والنسيان .

محمود رزق سليم

١٩٤٩



شعر : علي أحمد باكثير

في سنة ١٩٤٤ توفيت الفنانة الكبيرة أسمهان غرقا عندما انقلبت سيارتها في إحدى الترع وكانت في طريقها من القاهرة إلى مصيف رأس البر وحول هذا الحادث كتب الشاعر والأديب المعروف على أحمد باكثير هذه القصيدة :

غرقتْ ؟ كيف يغرق النُور والحسـ ... ـنُ وفنُ الخلود فى شبر ماء ؟
ما تقولون ؟ هل تجدُّون أم تلـ ... ـهون أم هل يجد صرف القضاء ؟
لو حواها البحر العريض لضاق الـ ... ـبحر ذرعاً عن روحها الشمّاء !
أو حوتها الصحراء لأنتفضتْ ظـ ... ـلاً وماء في جنة خضراء !
لِمَ لَمْ تغرق الكواكب والشُهب ... وشمس الضُحى وبدر السماء ؟
صوتها العبقرى قد كان يُغْني ... عن ضياء ينير فى الظلماء !

* * *

مَن شدا بعد أسمهان بلحن ... فلأذْنِ عن لحنه صمّاء
ما عزائى من بعدها بنشيد ... أو غناء ولات حينَ عزاء ؟
صُلّةٌ قبل إنها بُلبلٌ أو ... كروانٌ أو عندليبُ غناء
أين من صوتها حناجر طير ... أو أرانين آلة خرساء ؟
صوتها الصوت للخلود وللفر ... دوس لا للدُّنيا ولا للفَناء !
أسمعَ اللهُ منه للناس حيناً ... ليحنُّوا شوقاً لدار الجزاء
ليروا أنّ ما على الأرض فانٍ ... والنعيم النعيم فى الفيحاء !

* * *

ليت عينى تذهبان ويُضحي ... خطبُها كاذباً من الأنباء !
شهر يوليو مَنْ ذا يردُّك ابريـ ... ـلَ وأعطيه مهجتى ودمائي ؟
شهر يوليو لا كنت ياشهر يوليو ... أنت شهر الدموع والأرزاء

* * *

آه يا أسمهان ! يابهجة الدُّنيـ ... ـا وأغنية السَّنا والسَّناء
خرست بعدكِ البلابل في الرو ... ض وجفت جداول السَّراء
وظلال الفن الرفيع اضمحلّت ... وتولّت بشاشة النُّدماء
كنت أبكي - إذا سمعتُك تشـ ... ـدين - بدمع يندى على أحشائي
صرت أبكي - إذا سمعتك تشـ ... ـدين - بدمع مُورّد بالدماء !
فاذهبي كالربيع ... كالكوكب الهـا ... وى.. كسارى النسيم.. كالأنداء !
واخلدى في القلوب ما خلد الفـ ... ـنُ وجاشتْ بلابلُ الشعراء
وارقدى في ثَرى الكنانة واقضي ... ما تشائين من هَوىً ووفاء !

(المنصورة) ١٩٤٤



امرأة في رسالة

بقلم: الدكتورة زهــرة المالكي

عزيزي (....)

المساء جميل والليل نسماته عذبة ، فالربيع على الأبواب والشتاء يودع الطبيعة ووريقات الأشجار وبراعم الأزهار التي بدأت في التفتح ، وأتجول بخطوات وئيدة على رصيف الشارع المطل على البحر ، كل شيء يغمره الهدوء من حولي حتى أن وقع قدمي مسموع بصوت عال ولا يكاد يخفيه إلا صوت أمواج البحر حين تتقدم هادرة مندفعة كأنما تجذب معها خيوط ضوء القمر الفضي لتتكسر قريباً من ناظري ، ويحتويني شعور بالعذوبة والجمال والرغبة في المرح والانطلاق دون حدود ...

لكني فجأة أسمع خطوات تقترب مني .. ألتفت إلى الوراء فإذا بي أرى وجهاً مألوفاً لدي .. أليس هذا هو أحد مذيعي التلفاز المشهورين جداً الذين يرتبطون بصداقة وطيدة مع مشاهديهم دون أن يعرفوهم عن قرب ؟ .. وحين تقترب الخطوات مني أكثر أتأكد من أنه بالفعل أحد نجوم الشاشة الصغيرة ، وعندما أحسست بأنه لاحظ نظراتي المحدقة فيه اعتذرت وعدت لتأمل البحر والأمواج .

قد تسألني : ولماذا حدقت فيه ما دمت لا أود الدخول معه في حديث أو حوار ؟

فأرد عليك : بأنه ذكرني بك قبل أن تترك مهنتك السابقة وتبتعد عن الشاشة الصغيرة .. في تلك الأيام البعيدة كانت تلوح في داخلي أسئلة كثيرة تراودني كلما شاهدتك وأنت تحيينا كل مساء من خلال التلفاز ، وكنت أتمنى لو أطرح هذه التساؤلات عليك لأعرف شيئاً ما عن وجه مألوف أراه كل يوم ..

وفي أمسية ما زالت ذكراها عالقة بذاكرتي قررت فجأة أن أتصل بك ، ولا أدري ما الذي دفعني إلى اتخاذ هذا القرار والبدء في التنفيذ : وما إن سمعت صوتك المميز حتى أخبرتك بأنني مشاهدة تود طرح بعض الأسئلة عليك .. فأجبت علي بترحاب شديد وقلت لي في صوت يخالطه الاهتمام : وما هو أول الأسئلة ؟

قلت : هل ابتسامتك التي تطالعنا بها دائماً تنبع من داخلك كما يخيل إلي أم أنها طابع مرور إلى القلوب ومن مستلزمات المهنة التي تفرض الابتسام الدائم ؟

ورددت علي قائلاً : قد يكون تساؤلك فيه

بعض الصحة لكني بطبعي أحب الابتسام وأتمنى أن أخلق الفرحة والضحكة في كل العيون والنفوس ..

قلت لك : وهل تحس بأنك نجحت في هذه المهمة الصعبة ؟

أجبت : إلى حد كبير . ولو أنني أحياناً أعجز عن زرع الضحكة في أعماقي حين يهاجمني الحزن دون هوادة ... لكنني أعتبر هذا إجازة من الفرح حتى يعود لي بشوق وحب أكثر ..

أعجبني الرد وبادرتك قائلة : هل تحس وأنت تخاطب المشاهدين بأنك تراهم وتتحدث إليهم عن قرب أم أنك بمرور الوقت لم تعد تتناوشك هذه الأفكار والمشاعر ؟

رددت على سؤالي بفترة صمت ثم أتبعتها بقولك : أحياناً أحس بأنني أخاطب إنساناً معيناً ... وأحياناً أتحدث دون أن أخص أحداً بحديثي ، هذا يتوقف على الظروف التي أعيشها .

وسألتك مجدداً : وهذه الأيام هل لديك إنسان معين تخاطبه من خلال الشاشة كل مساء ؟

قلت : أعتذر عن الإجابة بالتحديد ... لكنني أعتقد بأنني أفتقد هذا الإنسان منذ فترة طويلة ..

قلت لك : آسفة إذا كنت أثقلت عليك بأسئلتي ... وهنا أفضل التوقف ... لكن لي رجاء أخيراً . هل تسمح لي بالاتصال بك والحديث معك إذا راودني سؤال جديد !

رددت علي والبسمة تعود للتألق على قسمات صوتك : بالطبع .. وسيسعدني هذا السؤال ... وأرجو أن تكون الإجابة شافية ومقنعة لذكائك !

ابتسمت أنا الأخرى وشكرتك على هذا الاطراء وقبل أن أختم حديثي بادرتني أنت بالسؤال هذه المرة : لقد نسيت أن أسألك عن اسمك ... فما هو اسمك إذا لم تكوني تمانعين في معرفتي له ؟

قلت لك : بالعكس . لا مانع هناك . أنا ليلى ..

رددت ضاحكاً : وأنا لست « قيس » كما تعلمين !

وانتقلت عدوى الضحك إلي ثم أجبتك بقولي : لا يهم .. وآسفة مرة أخرى على الازعاج .. قلت لي : لك مطلق الحرية في الاتصال متى شئت ... وأعتز بسماع رأيك في برامجي التي أقدمها إذا كانت لديك آراء ومقترحات معينة .. وخاصة لو لم تكن في صالحي تماماً ! !

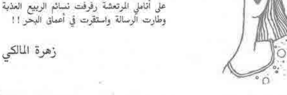
أجبتك بقولي : حتى الآن لا أجد شيئاً أنتقدك به ، لكن منذ اليوم وصاعداً سأكون الناقدة والمهاجمة الأولى كذلك إذا وجدت ما يستحق الهجوم ..

قلت : وأنا موافق ..

فقلت أنا : حسناً .. وإلى اللقاء مرة أخرى ..

عزيزي (.....)

ما زالت كلمات تلك الأمسية مطبوعة في مخيلتي وتتردد أصداؤها في أذني حرفاً حرفاً كأنما حدثت بالأمس القريب ولا أدري هل هذا الحال معك أم لا ! ... لكنني أذكر أنني منذ تلك الليلة أصبحت متعلقة كثيراً ببرامج التلفاز وسهراته حتى أنني بدأت أحس بأنك تحدثني وتخاطبني وحدي من بين آلاف المشاهدين ... لكنني لم أحاول الانسياق بعيداً مع هذه الأوهام وكنت أعود مجدداً كل ليلة إلى أفكاري وعالمي الخاص الذي لا يشاركني فيه أحد ، فقد كنت مدركة بأنك مرتبط في حياتك بآخرين وأنه لا يوجد مكان لي في عالمك أكثر من مكان مشاهدة .. لكنك بمرور الأيام أصبحت أنت الذي تتصل بي وتطلب مني الحديث والكلمات . وكم كنت أتمزق من الداخل وأنا أحدثك بلهجة أتكلف فيها العقل والهدوء بينما مشاعري تهفو إلى كلمة رقيقة كمثل تلك التي كنت تطالبني بها ، وتعيدها على مسامعي عشرات المرات لكنني كنت أرفض الإجابة . فقد كنت موقنة في أعماقي بأن مشاعرك مهما كانت صادقة ومخلصة لكنها قد تجرح آخرين لا ذنب لهم ولا جريرة ، ولا أود أن أكون أنا ــ الانسانة التي تتمنى لك السعادة الصافية الخالصة من كل الشوائب ــ من يسيء إلى حياتك ويدمرها بطريقة أو



بأخرى ولو على حساب سعادتي الخاصة ..

عزيزي (.....)

لم أستطع الاختفاء طويلاً بأحاسيسي عنك فقد عرفت حقيقتها دون أن أنطق بها لذلك قررت الابتعاد عنك وعن عالمك مع حاجتي الشديدة إليه ... لكنهم يا عزيزي دائماً يتهمون المرأة الأخرى في حياة أي إنسان بالقسوة وانعدام الإحساس ، وهم لا يعلمون مدى العذاب الذي تعانيه هذه المرأة المسكينة ، فالنيران التي تصليها ليل نهار أضعاف مضاعفة لا يمكن أن يشعر بها أحد ، ألا يكفي أنه يتوجب عليها أن تعيش في الظل مع أنها لا ترتكب جريمة ولا إثما ولا تطالب إلا بحق طبيعي من حقوقها البشرية ؟

. ألا يكفي أنها تصبح الجانية والمجرمة في نظر الجميع لو حاولت الظهور والاعلان عن حبها ورغبتها في مشاركة الحياة مع من تحب ؟ ... ألا يكفي أن الجزء الأكبر من الاهتمام والعطف والرعاية لا تحظى به كالآخرين بل يجب عليها أن تعاني الحرمان دون أن تشكو منه ؟

الكل يتهم المرأة الأخرى بالأنانية وغلظة الشعور ولا أحد جرب أن يسألها عن حقيقة مشاعرها الداخلية .

لذلك اخترت أن أبتعد عنك وأتركك لهذه الأسباب التي تشكل حاجزاً كبيراً يفصلني عنك وقررت اللجوء إلى وحدتي من جديد ، هذه الوحدة التي لن يشكوني فيها أحد ولن أواجه بالاتهامات والنظرات التي تشع منها روح التساؤل والدهشة ...

عزيزي (.....)

لا تستغرب إذا وصلتك هذه الرسالة بعد كل هذه السنوات فقد آثرت ألا أخبرك بالحقيقة الا بعد مرور وقت طويل حتى تكون أصبحت مجرد ذكرى لديك ، لكيلا تثير أشباح الألم والحزن في نفسك وحتى لا تظل عاتباً علي حتى النهاية ...

انتهيت من كتابة الرسالة وطويتها ووضعتها في مغلف أعددته .. وحين اقتربت بخطواتي من صندوق البريد حتى أضعها فيه وأنا أحاول السيطرة على أناملي المرتعشة رفرفت نسائم الربيع العذبة وطارت الرسالة واستقرت في أعماق البحر ! !

زهرة المالكي

من شابه أخاه التوأم فما ظلم

بقلم : د. عبدالمحسن صالح

يقولون في الحكم الموروثة « من شابه أباه فما ظلم » وعلى نفس المنوال نستطرد ونقول : ومن شابه أخاه التوأم فما ظلم ، وبالتحديد أخاه المتماثل معه ، فحيث يأتي هذا نسخة متشابهة لذلك في كل صفاتهما الوراثية ، فإن التشابه لا ينطبق في حالة الأب وولده ، لأن المولود يرث صفات الأبوين ، أو هو سبيكة من أمه وأبيه ، ومن أجل هذا تنشأ الذرية بحصيلة الأبوين الوراثية ، وبذلك تكون الاختلافات التي نميز بها بين الأخوة والأخوات ، والآباء والأمهات ، فلكل انسان صفاته المحددة التي لا يشاركه فيها أي انسان آخر ، يستثنى من ذلك التوائم المتشابهة .. فلهذه صفات وسلوك وطباع وأمزجة تكاد تكون متكررة ، وهي ــ في الوقت ذاته ــ مثيرة ومحيرة ، ولن يتضح لنا معنى ذلك إلا من خلال هذه الدراسة التي تأسست على بحوث ذات أهداف محددة .

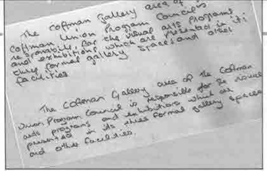




توأمان متطابقان ــ برونو وجيورجيو شرابير ــ وهما في عامهما الثاني ثم في سن الرجولة ، ولقد انعكس هذا التطابق الشكلي والوراثي على مزاجيهما وميولهما ، فكلاهما يدخن البايب ، ويلبس نظارة طبية ، وله نفس الشارب ، وكلاهما يشغل وظيفة أستاذ للحيوان ، لكن أحدهما في جامعة بارما بإيطاليا ، والآخر في جامعة بيلو هوريزونتي بالبرازيل .. وكم أحدث هذا التشابه من مفارقات مثيرة ، خاصة في المؤتمرات العلمية ، اذ كثيراً ما يختلط الأمر على زملائهما ، فيحسبون أن هذا هو ذاك !



التوأمتان المتطابقتان دافني وباربارا وهما يبلغان من العمر عاماً ونصف عام (الاطار الصغير) ثم انفصلتا ، وتقابلتا بعد ٣٦ عاماً ، ورغم ذلك فمن الصعب أن يميز أحد دافني من بربارا فكل شيء فيهما متماثل إلى حد مـــذهل



رغم أن التنشئة كانت منفصلة ، ورغم أن كلا من دافني وباربارا قد تلقيتا تعليمهما في مدرستين منفصلتين ، الا أن التشابه واضح في خطيهما ، ولهذا فمن الصعب إيجاد تعليل مقنع لمثل هذه الظاهرة.

في كتابه القيم « الوراثة البشرية » يقص علينا دكتور آشلي مونتاجو ــ رئيس قسم الانثروبولوجي (علم يبحث في أصل الانسان وأعراقه وتطوره وعاداته)بجامعة روتجرز الأمريكية ــ قصة توأمين متشابهين ، أحدهما يدعى أدوين ، والآخر يدعى فريد ، إذ تشاء الظروف (التي لم يذكرها مونتاجو) أن ينفصلا منذ طفولتهما المبكرة ، وتتبناهما عائلتان تسكنان مدينة نيوانجلند ، ولقد كانت ظروف هاتين العائلتين متشابهة ، فلم يرزقا بأطفال ، كما أن حالتهما الاجتماعية كانت متقاربة ، وكان الطفلان يذهبان إلى نفس المدرسة ، ودون أن يعرف أحدهما أن له شقيقاً توأماً ، لكن التطابق في الشكل والطباع كان بينهما واضحاً ، ورغم أن الطفلين قد لاحظا ذلك ، ألا أنهما لم يعيرا هذا الأمر اهتماماً ، نظراً لصغر سنهما ، وفي الثامنة من عمرهما ، انتقلت العائلتان إلى مدينتين بعيدتين ، فإحداهما كانت في ولاية ميتشيجان ، والأخرى في أيوا ، وعندما بلغا من العمر ٢٥ عاما ، علم أدوين أن له أخاً توأماً ، لكنه لا يعرف له موطناً ، وبمزيد من البحث والتقصي ، عرف أين يقيم شقيقه ، ومن ثم فقد أمكن ترتيب لقاء بينهما ، فتمخض عن ذلك حقائق غريبة ومثيرة .

ويستطرد مونتاجو في تقديم بعض هذه الحقائق فيذكر : رغم أن التوأمين قد عاشا منفصلين ، إلا أن ذلك لم يغير من الأمر شيئاً يذكر .. فقد كان أدوين أطول من توأمه باثنى عشر ملليمترا لاغير ، ووزنه أثقل بنصف كيلوجرام فقط .. ولقد تطابق فيهما لون الشعر واللحية والعينين والأذنين في الشكل وفي المضمون ، وكذلك تسريحة الشعر ذاته ، كما تطابقت أمزجتهما وكل سماتهما الأخرى ، لدرجة أن التكوين غير السوي الذي ظهر في بعض القواطع (الأسنان) في الفك الأعلى كان بين الاثنين واحداً (رغم أن أدوين كان قد عالجه) ، ولقد ظهر هذا العيب في الجهة اليمنى لفك أدوين ، في حين أنه كان عند فريد في الجانب الأيسر من الفك ، لكن اتجاه منابت شعر الرأس كان إلى اليمين في كليهما ، كذلك كان كل منهما يستخدم يده اليمنى أكثر من اليسرى (لمزيد من المعلومات عن هذه الصفات انظر دراستنا عن التوائم في الشهر السابق من هذه المجلة) .

لكن هذه الصفات الجسدية الموروثة والمتوافقة مع التوأمين صفات متوقعة ، إلا أن الشيء الغريب أن تتوافق أيضاً أمزجتهما وميولهما رغم تنشئة أدوين وفريد في أسرتين منفصلتين ، ومع ذلك فقد احتفظا بميول جد متقاربة ، ولهذا يستطرد مونتاجو فيذكر في كتابه : « ورغم أن التوأمين عاشا منذ طفولتهما بعيدين ، ولا يعرف أحدهما عن الآخر شيئاً طوال ٢٥ عاماً ، فقد كانت أنماط حياتهما تقريباً واحدة ، فلقد تعلما نفس القدر من الدراسة ،وكان لكليهما ميول في المجالات الكهربية ، والتحق كل منهما في وظيفة فني في المواصلات التليفونية ، وفي فرعين مختلفين لنفس الشركة ، وتزوجا زوجتين متقاربتين في العمر والشكل والطباع ، وتم زواجهما في نفس السنة ، ورزق كل منهما بمولود واحد ذكر في نفس العام ، واقتنى كل منهما كلباً من سلالة فوكس تيريير ، وأطلق كل منهما على كلبه ــ صدق هذا أو لا تصدق ــ اسم تريكسي » !

ونحن لا نسوق هذا المثل هنا بغرض إثارة الدهشة والعجب ، رغم أن ما جاء فيه يدعو حقاً لذلك ، بل إنها حالة واحدة من حالات كثيرة يدرسها العلماء بغرض التوصل إلى إجابة محددة عن أسئلة مطروحة : فما الذي يحدد شخصية الانسان وميوله في الحياة ؟ .. وهل هي موروثة أو مكتسبة ؟ .. وكيف نفرق بين الموروث والمكتسب ؟ .. وماذا يمكن أن تقدم لنا حالة هذين التوأمين من نتائج علمية بجوار الدهشة والعجب ؟ .. الخ .

الواقع أن الاجابة على مثل هذه الأسئلة تحتاج إلى تحليل وتمحيص ، خاصة وأنه لا توجد حدود فاصلة أو محددة بين المكتسب والموروث ، فرب صفات موروثة قد نحسبها مكتسبة ، والعكس أيضاً صحيح ، ولا زالت تسيطر على أفكارنا مبادئ أو حكم يكاد يكون هناك شبه اتفاق عليها ، منها مثلاً ان الانسان ابن بيئته ، أو كما نقول بتعبير آخر : من شب على شئ شاب عليه ، أو من شابه أباه فما ظلم ، أي أن التنشئة أو التربية في بيئة محددة هي التي تشكل ميول الانسان ورغباته ، وتكون شخصيته التي يجيء بها عليها .. ولن يتضح لنا صحة ذلك أو خطأه ، إلا من خلال دراسة حالات أخرى ، توضح لنا مزيداً من النتائج ، لنستخلص منها أحكاماً عامة .

تماثل في الميول محير

في مجلة « العلم ــ ٨٠ » الأمريكية يسرد علينا ك . هولدين حالة توأمين متشابهين مات أبوهما قبل ولادتهما ، وماتت أمهما بعد ولادتهما بأيام ، وتبنت كل توأم عائلة منفصلة في ولاية أوهايو ، وكانت العائلتان من طبقة العمال ، ويعني هذا أن التنشئة لكل منهما كانت في بيئتين اجتماعيتين متقاربتين ، ولقد أطلقت كل عائلة على توأمها اسم جيم ، لكن أحدهما كان يعرف باسم جيم سبرنجر ، والثاني جيم لويس ، ولقد ظلا مجهولين لبعضهما تماماً حتى بلغا من العمر ٣٩ عاما ، وبعدها عرف كل توأم أن له أخا ، وعرفت الدوائر العلمية بدورها قصتهما ، ومن ثم بدأت دراستهما ، لمعرفة أوجه التشابه والاختلاف بينهما ، وحصل فريق البحث على نتائج مثيرة ، تخللتها مصادفات غريبة .

فمن هذه المصادفات أو الميول المتشابهة عند كل من التوأمين ، أنهما تلقيا تدريبات في تطبيق القوانين المدنية ، وشغلا ــ بعض الوقت ــ منصب نائب العمدة ــ كل في مدينته ، وفضل كلاهما ولاية فلوريدا لقضاء إجازته فيها ، وامتلك كل منهما سيارة « شيفروليه » ، وكان لكل منهما هواية لتربية الكلاب ، ولهذا امتلك كل منهما كلباً أطلق عليه اسم « توي » ،وتزوج كل منهما فتاة تدعى ليندا ، ثم طلق كل منهما ليندا ، وتزوجا مرة أخرى ، وكان اسم الزوجة الثانية بيتي عند كليهما . والأغرب من هذا كله أن يرزق كل منهما بمولود ذكر وأطلق أحدهما على مولوده اسم جيمس آلان ، وأطلق الثاني نفس الاسم ، أي جيمس آلان ،ومثل هذه المصادفات الغريبة قد يصعب

من شابه أخاه التوأم فما ظلم

تصديقها ، وقد تقع ضمن بند « اللا معقول » أو « صدق أو لا تصدق » !

ويستطرد هولدين ، فيقول : هناك أيضاً ظواهر متشابهة أخرى قد تكون أكبر من اعتبارها مجرد صدفة ، من ذلك مثلاً أن التوأمين كانا في أثناء دراستهما يهويان العلوم الرياضية ، ولا يحبان هجاء الكلمات ، وكان لكليهما هوايات مشتركة في التصميمات والرسومات الميكانيكية ، وأيضاً أعمال وفنون النجارة ، ولقد تقاربت ميولهما كثيراً في التدخين والشراب ، وكان كلاهما يقرض أظافره بأسنانه حتى نتوئها (أي اتصالها وبروزها من اللحم) .

وعلى هذين التوأمين أيضاً قام الأطباء بفحوص طبية دقيقة لمعرفة أوجه التطابق والاختلاف بينهما في الصحة والمرض أو العمليات الفسيولوجية والكيميائية ، وتجيء بعض هذه النتائج لتوضح أن كليهما قد أصيب بالبواسير ، وأن وزن أحدهما قد زاد حوالي أربعة كيلوجرامات في فترة من حياته ، وأن هذه الزيادة قد حلت بالتوأم الآخر في نفس الفترة تقريباً ، ولقد اتضح أن كليهما كان يشكو من نوبات صداع نصفي ، وأن هذه النوبات قد بدأت تظهر في كليهما عندما بلغا من العمر ١٨ عاماً ، والأغرب من ذلك أنها كانت تصيبهما بنفس الدرجة من الألم ، وفي نفس الوقت من النهار ـ أي بعد العصر بقليل .. وبالاضافة إلى ذلك ، فقد كان ضغط الدم ، ومعدل النبض ، وطريقة النوم عند التوأمين واحدة ، كذلك كانت التقاطيع والشكل والقوام وفصيلة الدم ، وبصمات الأصابع وغير ذلك من صفات وراثية مكررة ومتماثلة مع هذا وذاك .

لكن هناك بعض اختلافات غير أساسية بينهما ، من ذلك مثلاً أن أحدهما كان يرسل شعر الرأس فوق جبهته ، والآخر يصففه إلى الخلف ، وكان أحدهما يتكلم بطلاقة ، والآخر ذو تعبير أدق في الكتابة ، وقد ترجع هذه الاختلافات الثانوية إلى تأثير البيئة العائلية التي نشأ فيها كل توأم ، ومع ذلك فقد كانت قدراتهما الذهنية متماثلة .

بين أختين توأمتين

ومن الحالات التي درسها عالم النفس توماس بوكارد حالة الأختين التوأمتين دافني وبربارا اللتين نشأتا منفصلتين منذ الصغر ، ورغم ذلك فقد تميزتا بقهقهة مميزة ومتطابقة تماماً بين الاثنتين ، رغم أن أحداً في العائلتين اللتين تبنتهما ليس « قهقاها » ، فهل هذا السلوك وراثي النشأة ، أم مكتسب من التنشئة ؟ . والسؤال غريب ، والاجابة عليه قد لا يكون لها معنى ، لأن البيئة التي نشأت فيها كل من الفتاتين ليست موصوفة بالقهقهة ، كما أن أحداً قد لا يستسيغ أن تكون القهقهة أو الضحكة أو الابتسامة وراثية .. ولهذا فالأمر متروك لتقديرك على أية حال .

لكن الشيء المحير حقاً أن نمط الكتابة عند الفتاتين كان متقارباً إلى حد بعيد (كما هو واضح في الصورة المنشورة ضمن هذا المقال) .. وبحيث قد يحسب المرء من أول نظرة عابرة أن النمطين لشخص واحد ، خاصة وأن بعض الحروف متشابهة إلى درجة لا تكاد تصدق ، هذا رغم أن إحدى التوأمتين لم تر أختها منذ طفولتهما المبكرة ، مما ينتفي معه أن تكون إحداهما قد تأثرت بالأخرى ، أو أنهما قد تلقيتا أصول الكتابةمن مصدر واحد !

ومن الأمور المتشابهة بين هاتين التوأمتين أنهما لا تلقيان أهمية لضغوط الحياة أو الاجهاد النفسي ، وتعترفان ـ كل على حدة من خلال الأسئلة المطروحة عليهما ـ أنهما تهملان مثل هذه الأمور ، وتتجنبان الخلاف في الرأي مع الناس ، وتصبحان سلبيتين في أي نزاع قائم بينهما وبين الناس ، وليس لأيتهما أية اهتمامات سياسية ، ومثل هذه السمات التي تشترك فيهما الأختان « ترجع إلى سلوكيات مكتسبة وليست موروثة » ـ على حسب ما يرى بوكارد .

وثمة أختين توأمتين متطابقتين هما إيرين وجانيت اللتان نشأتا منذ الصغر منفصلتين ، إذ عاشت أولاهما في انجلترا والأخرى في اسكتلندا ، وأظهرتا تطابقاً في كثير من الخصال ، من ذلك مثلا تماثلهما في الخوف من أشياء (فوبيا) ، فعندما طلب من كليهما الدخول إلى حجرة رسام المخ الكهربي لتسجيل موجات المخ ، انتابتهما حالة من الذعر ، وأبدت كل منهما على حدة أنها سوف تستجيب لهذا الاختبار إذا كان باب الحجرة مفتوحاً ، كما أن كليهما تبديان نفس الدرجة من الذعر من النزول إلى الاستحمام في مياه الشاطئ ، وترفضان ذلك بشدة ، وكلتاهما تخافان من ركوب المصاعد أو رؤية عجلات الآلات المتحركة ، وعنيدتان في الاستجابة للأمور التي تريان فيها قهراً وتعسفاً ، وإذا طلب من كليهما أن تفكرا في حل مسألة ، فانهما تطرحان جسميهما إلى الوراء على مسند الكرسي في وضع استرخاء ، وعندما تذهبان إلى النوم كانت كل واحدة تعد الأرقام تصاعدياً حتى تنام !

ومن النتائج التي حصل عليها عالم النفس بوكارد أن أحد التوأمين المتطابقين يضع على عينيه نظارة طبية ، في حين أن الآخر لا يضعها ، وعندما عرض مثل هذه الحالة على طبيب عيون ، أفتى الطبيب بأن الآخر يحتاج بالفعل إلى نظارة وبنفس المقاس الذي لتوأمه الآخر ، لأن العيب واحد في عيني هذا وذاك ! .. وأحياناً ما يظهر أحد التوأمين نفس الميول التي للآخر ، كأن يشتري كلاهما نفس الهدية لأمهما ، أو يختارا نفس الكارت الملون والخاص بالتهاني ، أو قد يلبس كل منهما القماش ونفس اللون ، أو قد يكون كلاهما بنفس النمط من الشارب ، كما في حالة التوأمين أوسكار وجاك اللذين ولدا في ترينيداد ، وانفصلا منذ الصغر عندما انفصل والدهما ، فذهب أولهما مع أمه إلى المانيا ، والثاني عاش مع أبيه في الكاريبي ، وعندما تلاقيا في المطار لأول مرة بعد ٤٧ عاما ، حيث حدد لهما ذلك من قبل بواسطة المهتمين بدراسة التوائم ، دهش الجميع للتماثل المذهل بينهما ، فبجوار الشارب المتشابه بينهما ، كانا يرتديان نفس النمط من القميص ـ أي بجيبين ، ونسيج مقصب على الكتفين ، وتبين أيضاً أن لهما نفس السلوك والشخصية والمزاج ، فكلاهما يحب الطعام الحراق ، ونفس الشراب ، وشرود الذاكرة ، والنوم أمام التليفزيون ، والشعور بالخجل عند العطس أمام جمع من الناس ، وفتح السيفون لغسيل المرحاض قبل استخدامه ، ووضع أربطة رفيعة من المطاط حول رسغيهما ، وقراءة المجلات من الخلف إلى الأمام ، وغمس شرائح الخبز المدهونة بالزبد في فنجان القهوة .. إلى آخر هذه الأمزجة المتوافقة ، رغم أن أحدهما قد نشأ في حضانة أنثى ، والآخر في حضانة ذكر !

عود على بدء

بعد هذا السرد السريع للتطابق المذهل بين التوائم المتماثلة ، رغم تشابه أو اختلاف البيئة التي تربيا فيها ، نعود إلى السؤال القديم : هل شخصياتنا وطباعنا وأمزجتنا وميولنا متوارثة في تكويننا أو هل هي مكتسبة من بيئتنا التي ننشأ فيها ؟

الواقع أن الاجابة على هذا السؤال لها أكثر من جانب ، ذلك أن تكويننا البيولوجي تحكمه مورثات أو جينات تعطينا كل صفة من الصفات الجسدية كلون الشعر وملمسه ، والعينين وتكوينهما ، ولون البشرة ، والطول والقصر وفصيلة الدم وبصمات الأصابع وغير ذلك من مئات الصفات التي لا دخل لنا فيها ، لكن بعض هذه الصفات التكوينية الموروثة ليست بمعزولة عن البيئة ، لأن عوامل البيئة ذاتها قد تؤثر بدورها في بعض الجينات أو المورثات ، فتجعلها سائدة أحياناً ، ومتنحية أحياناً أخرى (أي لا يكاد أثرها يظهر) .. ويعني ذلك أننا لا نستطيع أن نضع حدوداً فاصلة بين بعض عوامل الوراثة ، وبعض عوامل البيئة ، أو هي ـ كما تعبر عنها الدكتورة شارلوت أويرباخ في كتابها الممتع «علم الوراثة» بقولها : إن مثل الوراثة والبيئة كمثل القوانين الأساسية التي يقوم عليها علم الكهربية ، ذلك أن كمية التيار الكهربي السارية تعتمد على فرق الجهد الكهربي وعلى المقاومة التي يلقاها ذلك التيار ، إذ لا تيار بدون فرق جهد ، ولا مادة بدون مقاومة للتيار ، ومع ذلك فالفيزيائي يضع في اعتباره دراسة كل عامل من هذه العوامل مع تثبيت العوامل الأخرى ، كذلك يكون الأمر مع مسألة

الوراثة والبيئة . فتأثير العناصر الوراثية يستلزم دراسة كائنات مختلفة الأنماط الوراثية تحت ظروف بيئية موحدة ، وتأثير البيئة يستلزم دراسة كائنات موحدة الصفات الوراثية ولكن تحت ظروف بيئية مختلفة ... ، الخ .

لكن ما تقصده عالمة الوراثة لا يمكن تطبيقه على الانسان . لأنه ليس حيوان تجارب ، وإن كان العلماء قد تغلبوا على ذلك بدراسة التوائم المتشابهة . لأنها موحدة الصفات الوراثية ، وقد تكون موحدة البيئة إلى حد ما ، كأن تنشأ التوائم المتشابهة مع والديها تحت ظروف معروفة ومتقاربة ، أو تنفصل وتنشأ بالتبني مع عائلات لها نفس المستوى الاجتماعي ، لكنها ــ مع ذلك ــ ليست البيئات المثالية التي يطمع فيها العلماء ، إذ ليس المزاج أو السلوك أو العادات في هذه العائلة طبعة بالكربون مما يوجد في العائلة الأخرى ، لكن شيئاً أفضل من لا شيء على أية حال . فاذا اكتسب توأم في عائلة بعض صفات تختلف عن شقيقه التوأم في العائلة الأخرى ، فان الأمر يستدعي إعادة النظر في تفاصيل طباع هذه العائلة وتلك ، وهي أمور ليست بالميسورة ، إذ قد لا تبوح العائلات التي تبنت التوائم المتماثلة بكل أسرارها ، فيغيب عن العلماء جزء من حقيقة البيئة التي نشأ بها التوأم ، فأثرت فيه ، وتأثر بها .

ومع ذلك فقد أوضحت التحليلات الاحصائية أن التوائم المتشابهة التي تنشأ مع والديها تحت ظروف موحدة ، تكاد تكون طبق الأصل من بعضها في الصفات الموروثة والمكتسبة ، أي في الوزن والطول والقوام والطبع والذكاء والسلوك العام وما شابه ذلك ، لكنها تفقد شيئاً من عنصر المماثلة أو المطابقة إذا انفصلت وعاشت في عائلات ذات مستوى اجتماعي وسلوكي متقارب ، ثم تتسع الهوة بين سلوك وطباع ومزاج التوائم المتماثلة ، كلما اتسعت الهوة في مستوى العائلات التي تتبنى تلك التوائم ، وهذه ــ بطبيعة الحال ــ استنتاجات عامة ، لكن لكل قاعدة شواذا ، والحكم لا يستخلص من الشواذ على أية حال .

مزيد من الايضاح

ذكرنا أن عناصر البيئة تؤثر كل منها في الأخرى ، فالذين يعتقدون أن الذكاء مثلا متوارث في بعض العائلات دون عائلات أخرى ، لم يجانبهم الصواب ، والذين يقولون إن الذكاء مكتسب من البيئة ، كانوا أيضا على حق فيما يقولون . ويقال إن نوابغ الموسيقيين يظهرون بمعدلات أكبر في عائلات دون أخرى ، وكذلك نوابغ علماء الرياضيات .. إلى آخر هذه الاعتقادات التي تتداول بين الناس .

لكن بعض العلماء يعتقد أن النوازع الاجرامية فيها جانب موروث ، وآخر مكتسب ، وكذلك بعض الأمراض النفسية كفصام الشخصية ،



لا يوجد فرق واضح بين هاتين التوأمتين المتماثلتين لا في الطفولة ولا في الشيخوخة ، هذا رغم انهما انفصلتا وتربيتا في عائلتين منفصلتين منذ طفولتهما المبكرة .

وطبيعي أن كل هذه الاستنتاجات لم تنبع من فراغ ، بل تأتي جذورها من الدراسات التي أجريت على التوائم المتشابهة وغير المتشابهة ، وأيضاً على الأخوة والأخوات غير التوائم في العائلات الواحدة ، فهي في التوائم المتماثلة تتكرر بمعدلات أكبر بمرتين عنها في التوائم غير المتماثلة . ويقال إن التوائم المتماثلة أيضا تميل إلى ارتكاب نفس النمط من الجريمة ، ويعني ذلك أن هناك عناصر وراثية مشتركة بين التوأمين تدفعهما لذلك . هذا بالاضافة إلى الظروف البيئية التي ينشأ فيها كل من التوأمين المتماثلين .

ويرى بعض العلماء أن النوازع العدوانية والاجرامية لا تورث ، فكل الأطفال يولدون أبرياء ، والفرق بين الذين يواصلون حياة مستقيمة ، والذين يميلون إلى حياة الانحراف والجريمة ، هي أن الفريق الأول ينشأ في بيئة صالحة وسوية ، في حين أن الفريق الثاني ينشأ عكس ذلك . فتدفعه ظروف الحياة القاسية إلى القسوة والخروج على المجتمع الذي يعيش فيه .. صحيح أن الميول والأمزجة الموحدة التي ذكرناها في سياق هذا الموضوع عن التوائم المتماثلة (حتى ولو نشأت في بيئات متباعدة) قد تخدعنا وتجرنا إلى استنتاج أن الميول العدوانية قد تكون أيضاً موحدة ومتشابهة . خاصة وأن الاحصاءات التي حصل عليها خمسة من العلماء تشير إلى أن معدل ارتكاب الجريمة أكبر عند التوائم المتماثلة لكن ذلك ، قد يرجع إلى عوامل بيئية ونفسية أخرى لم يتنبه لها هؤلاء العلماء ، وبسببها تحدث الجرائم ، ــ على حد استنتاج دكتور أشلي مونتاجو الذي يستطرد ويقول : لا توجد أشياء وراثية في تكويننا البدني تدفعنا مثلاً لمخالفة السرعة المقررة في قيادة السيارات ، أو للاستيلاء على أشياء ليست من حقنا ، أو للسطو على ممتلكات الغير ، أو الاغتصاب أو الاعتداء أو القتل أو أي إثم آخر من هذه الآثام الاجتماعية ، لكن توجد ضغوط البيئة التي تؤدي أيضاً إلى تغيرات نفسية سيئة تدفع الأفراد لارتكاب تلك الآثام ، بصرف النظر عن تكوينهم الوراثي ، لكننا ـ وكما نعلم ــ لا يجب أن نهمل الانماط الوراثية كلية ، لكن لأسباب وجيهة وعملية يستحسن اهمالها .. فلا توجد جينات أو مورثات متخصصة في الاجرام ، بل الاجرام وليد البيئة وضغوط الحياة ، !

وهو رأي يكاد يكون سليماً ، رغم التطابق المذهل في سلوك التوائم المتشابهة ، فارتداء أو انتقاء نفس الملابس ، أو اختيار نفس الزوجين ، أو التساوي في درجة الذكاء ، أو غير ذلك من أمور متشابهة بين التوأمين ، لا يجب أن تدفعنا إلى اعتناق أو تقرير مبدأ علمي هام خاص بعناصر الوراثة ، فنقول إن هناك جينات أو مورثات تسيطر على الخير والشر ، أو الفضيلة والرذيلة ، فهذه وغيرها من صنع البيئة التي ينشأ فيها الانسان .. إن خيراً فخيرا ، وإن شرا فشرا ،

وسواء أكان أبو الفتى بالتبني أو بالوراثة ، وسواء أكان توأما متشابها أو غير ذلك فان السلوك العام للأبناء تشكله النشأة والتربية والمستوى الاجتماعي للعائلة ، فلو عاش أحد التوأمين المتماثلين من البداية في بيئة يغلب على أفرادها الاستقامة وحب الثقافة والموسيقى وتداول المسائل العقلية التي تدرب الذهن وتنميه ، فأغلب الظن أنه سيكتسب هذه الصفات الجيدة وبها أيضاً ينمي ذكاءه ، ولهذا فان معظم الذكاء مكتسب من البيئة بالتدريب العقلي ، وكذلك الميل إلى سماع الموسيقى أو القراءة وما شابه ذلك ، لكن قد يظهر على هذا التوأم ــ الذي نشأ في بيئة طيبة ــ بعض الانحرافات التي يعاقب عليها القانون ، عندئذ يحق البحث عن سبب آخر ، إذ قد يكون انحرافه نتيجة لوقوعه ضحية أقران السوء ، أي خارج البيئة العائلية ، وهنا يتساوى مع شقيقه التوأم الآخر الذي ربما يكون قد تربى مع عائلة أخرى ليست حميدة الصفات ، فيكتسب بعض طباعها . وعندئذ قد نرجع التشابه في انحراف التوأمين إلى عناصر وراثية مشتركة في تكوينهما البيولوجي ، وهو تعليل خاطئ ، فالانحراف أو النوازع الاجرامية مكتسبة من البيئة ، ولا دخل فيها لجينات أو مورثات .. فالبيئة الطيبة لا تنتج إلا أفراداً طيبين ، والسيئة لا تنتج إلا سوءاً ، و « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .. وفي هذا فصل الخطاب لقوم يدركون ، ذلك أن أحداً لا يستطيع أن يغير أو يبدل في صفاته الوراثية ، فهذه لا دخل لأحد فيها ، ولا سلطان له عليها ، إنما يصح التغيير في أنماط الحياة ذاتها .. في البيت والشارع والمدرسة والجامعة .. في العدل الاجتماعي .. في معاملات الناس .. إلى آخر هذه العناصر الأساسية التي تشكل البيئة الاجتماعية . إذ لو سارت كلها في الاتجاه الصحيح ، فلا شك أنها ستقلل النوازع العدوانية والاجرامية ، وبهذا لا يصح إلا الصحيح !

عبد المحسن صالح

قصّة مدينة واحدة

بقلم: عبدالتواب عبدالحي

هى ألف قصة وقصة ، لكنها جميعا قصة مدينة واحدة .. تغلق على زحام قصصها اثنتى عشرة بوابة ، وسورا عظيما ! هى مدينة الحدائق الفردوسية ، والمباني التاريخية .. فيها ينام صناع تاريخ شبه القارة الهندية .. من الامبراطور شاه جيهان ، حتى الشاعر محمد إقبال الأب الروحى لباكستان !

عن لاهور ، العاصمة الثقافية لباكستان ، وعاصمة إقليم البنجاب ، أحكي . عنها قال الشاعر الفارسى مسعود السعد السلمان :

دانى توكه بابندكرانم يارب
دانى توكه ضعيف وناتوانم يارب
شد درغم لوهور روانم يارب
يارب كه در آرزودى آنم يارب !
... والترجمة :
يارب أنت تعلم أنى موثق بأحزانى الثقيلة
وأنت أعلم كم أنا واهن وضعيف ..
لكن روحى تطير مع الأشواق إلى لاهور ..
كم أتوق إلى زيارتها .. يارب !

وقد سبق الإسكندر الأكبر بأشواقه الشاعر الفارسى مسعود السعد السلمان . حرك جنده الكثيف بالفعل من بيشاور فى اتجاه لاهور . لكن المرض داهمه . وانكسرت روح جنوده . وتوقف زحف جيشه عند قرية جيلوم مسيرة ١٠٠ ميل شمال لاهور ، كماء بلا تيار عند نهاية ترعة !

يسكن لاهور ٣,٥ مليون إنسان . إنها ثانية أكبر مدينة فى باكستان بعد كراتشي التى يبلغ تعدادها ٨,٥ ملايين . فى ميدانها الرئيسي ، عقد محمد على جناح مؤسس باكستان مؤتمرا شعبيا ضخما لمسلمى الهند فى ٢٣ مارس ١٩٤٠ ، وكان أهم قرار أصدره المؤتمر : إنشاء دولة باكستان لتضم مسلمي الهند . وتم تقسيم شبه القارة الهندية فى ١٤ أغسطس ١٩٤٧ ، وأصبح القرار حقيقة جغرافية وسياسية . وتخليدا لهذا المؤتمر التاريخى أقاموا فى نفس الميدان منارة ضخمة تحمل اسم « منارى باكستان » !

كان من الممكن أن تصبح لاهور ، يوم الإستقلال ، عاصمة لباكستان . كاد هذا الاختيار يستقر ويرجح ، لولا أن همس البعض فى أذن محمد على جناح بأن اعتبارات الأمن القومى تمنع ذلك . فالمسافة بين لاهور والحدود الهندية شرقها لا تتجاوز ٢٥ كيلو مترا . لهذا انتقل الاختيار إلى كراتشى كعاصمة للدولة . ثم بنيت إسلام أباد تاليا فى وادى مارجالا الممتد غرب مدينة راوالبندى العتيقة ، وانتقلت إليها الوزارات وأجهزة الدولة فى صيف سنة ١٩٦٥ ، لتصبح العاصمة الجديدة .. وأحدث عاصمة لدولة فى العالم !

.. ولم تتحقق صحة المخاوف من اختيار لاهور عاصمة لباكستان إلا سنة ١٩٦٥ .. عندما اجتاحت القوات الهندية منطقة الحدود عند قرية « واجا » وتوغلت ٦ كيلومترات حتى وصلت إلى مدينة « باتابور » ، ولم يعد يفصلها عن لاهور غير ١٩ كيلومترا .. قال الهنود أيامها ان لاهور باتت فى قبضة المدفعية الهندية . لولا أن شن الباكستانيون هجوما مضاداً رد القوات الهندية إلى خط الحدود . ولقد جست هذه المنطقة ، ورأيت الترعة التى أعاقت تقدم القوات الهندية عند مدينة باتابور ، ووقفت فى قرية واجا على الحدود . أطل على قرية أتارى الهندية القريبة .. والطريق المرصوف يمر بها منطلقا إلى مدينة أمريتسار عاصمة ولاية البنجاب الهندية .. ليت الطريق يكون مواصلة سلام وحضارة بين البنجابين ، وبين البلدين !

تعويذة أكيدة المفعول !

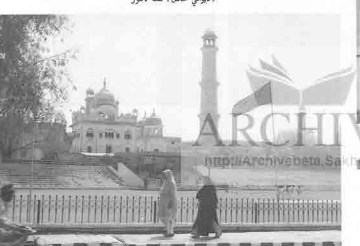
على باب متحف لاهور ، أو كما يسمونه بالأوردية « عجايب خانه » ، تجد مدفعا أثريا من البرونز يسمونه « زمزما » .. والمعنى : التنين الذى ينفث اللهب ! ولقد جاء المدفع زمزما إلى لاهور فى



« ديواني خاص » قلعة لاهور



جامع « باد شاهي » لاهور بناه الامبراطور اورانـ زيب



معبد السيخ في لاهور.

المدينـة التي شهدت أول قرار شعبي بإنشاء دولـة باكسـتان

حديقـة شاليمـار في « لاهـور » تفـوق في جمـالهـا كل حدائق الدنيا المعروفة



في سوق المدينة القديمة




منارى باكستان

البوابة الرئيسية للقلعة الملكية

عهد الملك أحمد شاه دورانى سنة ١٧٥٧ . وساد اعتقاد أيام دولة السيخ فى القرن الثامن عشر بأن زمزما تعويذة أكيدة المفعول .. وأن من يستولى على زمزما فقد استولى على البنجاب كله ! وعندما زار الشاعر البريطانى روديارد كبلنج الهند ، ورأى زمزما فى لاهور، تأثر به جدا وبتاريخه، أسماه بعد ذلك مدفع كيم . وكثير من أبطال أشعاره كان يحلو لهم أن يجلسوا فوق مدفع كيم .. ويحلموا بالمجد !

قالوا : إن أول من أسس مدينة لاهور هو الحاكم « لاليتاديتيا » فى القرن الثامن الميلادى .. أى أن عمرها الآن حوالى ١٢ قرنا من الزمان ! وقد بلغت المدينة أوج إزدهارها السياسى والمعمارى أيام حكم المغول ، وخاصة السلطان أكبر العظيم الذى اتخذها عاصمة لملكه فيما بين عامى ١٥٥٦ و ١٦٠٥ ميلادية . قبلها ، أيام المد الإسلامى ومملكة دلهى المسلمة ـ ١٢٠٦ : ١٥٢٤ م ـ حكمها حكام عظام أمثال السلطان محمد غور .. وقطب الدين أيبك المملوكى الذى أصر على أن تتم احتفالات تتويجه فى مدينة لاهور .. ثم سقط بعد ذلك من فوق حصانه وهو يلعب البولو فمات ، ومازال مدفونا فى ضريحه المتاخم لسوق أناركالى بالمدينة قرب البوابة اللاهورية : إحدى بوابات المدينة الاثنتى عشرة ! ولعبة البولو نشأت فى الهند . وكانوا يسمونها « تشوجان » . ومنها انتقلت إلى أوربا وبريطانيا ، وأمريكا وكندا تاليا .. ومازالت اللعبة تمارس فى لاهور وشمال باكستان كلعبة شعبية !

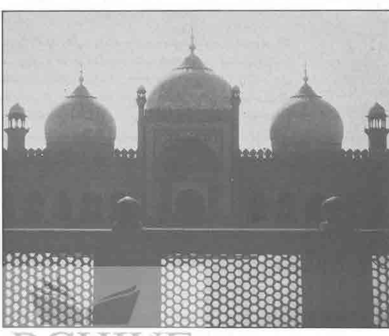
ثم جاء الإحتلال البريطانى للهند ـ ١٨٤٩ : ١٩٤٧ ـ ليضيف إلى المدينة عددا من الأبنية يمتزج فيها الأسلوب المعمارى المغولى ، بالأسلوب المعمارى الفيكتورى .. تلحظ العين الخبيرة ذلك فى مبانى : المحكمة العليا ، المتحف المركزى « عجايب خانه » ، الكلية القومية للفنون : قاعة مونتجمرى ، سوق تولينتون ، المجلس الوطنى ، وجامعة البنجاب !

وكل أثر تاريخى فى لاهور يحتاج إلى يوم كامل كي تزوره زيارة خاطفة ! قلعة لاهور التى بناها الأمبراطور أكبر العظيم . ومسجد باد شاهى الذى بناه الامبراطور أورا نجزيب سنة ١٦٧٣ م ، وأشرف على بنائه أخوه فى الرضاع فيداى خان كوكا . مآذنه العديدة التى تشرف من عل على مدينة لاهور بأسرها . قبابه المغولية الشكل . صحنه الذى يتسع لأكثر من مليون مصل !

وقد أحاط المغول مدينة لاهور القديمة بسور ضخم من الطوب الأحمر ، بارتفاع تسعة أمتار ، تتوزع فوقه الإستحكامات والمتاريس ، ويحيط به خندق مائى يتصل بنهر راف ، أحد روافد نهر السند يمر بمجراه فى تخوم المدينة . أما داخل السور ، فثمة طريق دائرى تتفرع منه طرق أخرى عمودية إلى قلب المدينة ، مارة ببواباتها الاثنتي عشرة .. وما زال بعض هذه البوابات قائما للآن يتحدى الزمن وعوامل الهدم والتعرية !

وقرب مسجد بادشاهى تجد معبد « سامادهى » ، بناه المهراجا رانجيت سنج آخر من حكموا البنجاب من طائفة السيخ . ومازال المعبد مزارا لأبناء الطائفة يجيئون إليه من الهند وأنحاء الدنيا . تحفة أخرى فى العمارة المغولية ، هى مسجد وزيرخان . بناه حاكم البنجاب حكيم علم الدين أنصارى سنة ١٦٣٤ م . وضريح الامبراطور جيهانجير ، أو : قاهر العالم ، على ضفاف نهر راف ، مسيرة ثمانية كيلومترات من لاهور .. وفى أحضانه ضريح زوجته الامبراطورة نورجيهان ـ أو : نور العالم !

لكن قلبى لم يخفق لضريح زرته مثلما خفق وأنا



جامع باد شاهي «مسجد الملك»



المدخل الرئيسي لجامع باد شاهي

أزور ضريح أبي باكستان الروحي وشاعر الشرق وفيلسوفه العلامة محمد إقبال . قرأت على روحه الفاتحة . ودفعني الحنين بعد ذلك إلى زيارة بيته « جاويدمنزل » بلاهور . ثم البيت الذى ولد فيه فى فبراير ١٨٧٣ بمدينة سيالكوت القريبة من عاصمة البنجاب . كما التقيت بابنه جاويد محمد إقبال رئيس المحكمة الشرعية العليا بلاهور . ومن حصاد كل هذا . لعلى أكتب لك قريبا مقالا ينبش بالحب فى تراب إقبال .. وتبره !

ويذهب العقل !

حدائق مثل فيرساى فى باريس ، وهايدبارك فى لندن ، وسنترال بارك فى نيويورك ، تخفض أغصان التواضع أمام حديقة شاليمار بلاهور . إنها حديقة ، وتاريخ !

« إن الحديقة » .. يلاحظ الامبراطور بابور مؤسس الأسرة المغولية فى شبه القارة الهندية أوائل القرن الـ١٧ .. « هى أنقى المسرات الإنسانية » ! وقد جاء خليفته شاه جيهان — أو : ملك العالم — ليترجم هذه الملاحظة إلى واقع أخضر . كلف على مردان خان حاكم لاهور — سنة ١٦٣٩ — بأن يمد قناة من نهر رافى إلى مكان حديقة شاليمار المزمع إنشاؤها على بعد ستة كيلو مترات من قلب المدينة . فى عامين اثنين فقط تم إنشاء القناة الملكية ، تحت إشراف خبير الهيدرولوجى مولا ألول مولك تونى ، وانتقل التكليف الامبراطورى إلى النبيل المغولى خليل الله خان ليختار موقع الحديقة . وتم اختيار الموقع فى جزء من مجرى قديم هجره تيار نهر رافى . أنشئت الحديقة على الفور ، واستغرق إنشاؤها عاما واحدا و٥ أشهر و٤ أيام . وفى السابع من شعبان سنة ١٠٥٢ هجرية ، الموافق ٣١ أكتوبر سنة ١٦٤٢ ميلادية ، زار الأمبراطور شاه جيهان حديقة شاليمار أول زيارة رسمية !

وأصدق وصف لحديقة شاليمار أنها ، مثل الحب ، لا توصف ! لكن يمكن الإشارة إلى أن القناة التى تشقها نصفين ، ذات مسطحات متدرجة ثلاثة ، تملؤها ٤٠٠ نافورة . المؤرخ مولا عبد الحميد لاهورى أطلق على المسطح الأول أسم

« واهب السرور » . أما المسطحان الأدنيان فأطلق عليهما إسم « واهب الوفرة » ، وتتعانق الطبيعة فى الحديقة عناقا لاينتهى أبدا . خرير ٤٠٠ نافورة ، مع عبق المئات من أحواض الورود والزهور . وحفيف أغصان أشجار الصنوبر وهى تتمايل على الجنبين كفرقة فولكلورية راقصة هائلة كل راقصاتها فى زى أخضر ! أما فى الليل عندما تضاء الحديقة . يجيء النور ، ويذهب العقل !

والأصل فى اسم حديقة شاليمار أنها مكونة من شقين : « شالي » بمعنى حقل الأرز ، فى اللغة الكشميرية . و « مـار » بمعنى التربة الطفلية السوداء . شاليمار إذن تعنى : التربة الطفلية السوداء لزراعة الأرز ! وقد كانت هناك حديقتان مغوليتان تحملان نفس الاسم ، واحدة فى دلهى ،

والثانية فى سريناجار عاصمة الجزء الهندى من كشمير . أما حديقة شاليمار مدينة دلهى فقد اندثرت ، بينما بقيت شاليمار سريناجار حية خضراء !

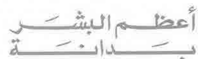
هذه هى قصة مدينة واحدة . تتواضع الكلمات فتقول إن كل ما فات من القصة ، لم يكن إلا عنوانها !

عبد التواب عبد الحى

لقطات من الكون المثير

من المسلم به أن البشر يختلفون في الأشكال والألوان والطباع والأصوات والبصمات والبروتينات وغير ذلك من صفات يتشعب فيها الحديث ويطول ، لكن قد تصل هذه الاختلافات إلى حدود يصعب تصديقها ، وبحيث يؤدي ذلك إلى أمور متناقضة تثير الاهتمام ، فمن طويل جداً إلى قصير جداً ومن مفرط في البدانة ، إلى مفرط في النحافة .. إلى آخر هذه الأمور التي قد يراها الناس غريبة ، ومن ثم صنفوها ووضعوا لها أرقاماً قياسية ، ولهذا فسوف تعرض في هذه اللقطات أربعاً من أغرب الحالات التي توضح بعض هذه المتناقضات .





أعظم البشر بدانة

هذه الكتلة البشرية «المكعبة» لشاب يدعى روبرت ايرل هيوز من ميسوري بالولايات المتحدة ، إذ وصل وزنه إلى ٤٨٥ كيلوجراما (أي وزن سبعة رجال وسطا) .. ولقد ولد بديناً - أي خمسة كيلوجرامات ، وعندما بلغ عمره ست سنوات ، ارتفع وزنه إلى ٩٢ كيلو جراماً ، ثم إلى ١٧١ في العاشرة ، ٣١٤ في الثامنة عشرة ، وفي العام الذي مات فيه (مات عن ٣٢ عاماً في ١٩٥٨) وصل إلى أقصى بدانته ، لكن المرض جعله يفقد ١٣ كيلوجراما ، هذا وقد بلغ محيط خصره ثلاثة أمتار وعشرة سنتميترات ، وصدره ٢٦٤ سنتيمترا ومحيط أعلى ذراعه ١٠٢ سنتيمترا ، ووضع جثمانه في صندوق بلغ طوله ٢١٣ سنتيمترا ، وعرضه ١٣٢ سنتيمترا ، وارتفاعه مترا ، وأحضرت له رافعة (ونش) لتضعه في قبره ، حيث بلغ وزن الصندوق بما حوى حوالي طن أو بالتحديد ٩٨٠ كيلوجراماً .

نحيف لدرجة لا تكاد تُصدَّق

وعلى النقيض من ذلك تأتي حالة الأمريكي المدعو ايدي ماشر الذي سمي فيما بعد لنحافته المفرطة «دود - الهيكل العظمي» - فرغم أن طوله كان عادياً ، أي في حدود ١٧٠ سنتيمترا ، إلا أن وزنه لم يتجاوز ٢٢كيلوجراما ، أي أن كل ٢٢ رجلاً من هذه العينة تساوي في وزنها واحداً مثل ايرل هيوز ، وترجع هذه النحافة إلى مرض فقدان الشهية العصبي ، والعكس أيضا مع البدانة المفرطة التي ترجع إلى شهية زائدة للطعام .. هذا وقد توفي ماشر عام ١٩٦٢ عن ٧٠ عاماً .. وبجوار ذلك تأتي حالة شاذة أخرى لفتاة تدعى لوسيا زارات من المكسيك ، إذ بلغ وزنها وهي في ربيعها السابع عشر كيلوجرامين لاغير ، وكان طولها حينئذ ٦٧ سنتيمترا ، وعندما بلغت العشرين عاما إرتفع وزنها مرتين ونصف ، أي خمسة كيلوجرامات ، ثم توفيت عن ٢٦ عاماً .





دنيا العمالقة

ذكر التاريخ عدداً من العمالقة الرجال ، لكن الأطوال التي بلغوها مشكوك في صحتها بفرط المبالغة فيها ، إلا أن الشئ المؤكد هو تلك الحالة التي ظهرت أيضاً في الولايات المتحدة الأمريكية لشخص يدعى روبرت وادلو (المنشورة صورته هنا) .. اذ ولد في عام ١٩١٨ بوزن قدره ٣,٨٥ كيلوجرامات ، وبدأ نموه السريع غير المعتاد يظهر وعمره سنتان ، حتى إذا وصل إلى الخامسة كان وزنه ٤٨ كيلوجراماً ، وطوله ١٦٣ سنتيمتراً ، وفي العاشرة ٩٥ كيلوجراما ، وبطول ١٩٦ سنتيمترا ، وفي الخامسة عشرة من عمره بلغ طوله ٢٤٢ سنتيمترا ووزنه ١٦١ كيلوجراما ، وأخيرا كان طوله ٢٧٢ سنتيمترا ، ووزنه ١٩٩ كيلوجراما عندما توفى عن ٢٢ عاما ، ويقال انه كان يستطيع حمل والده وهو في التاسعة من عمره (وزن والده كان ٧٢ كيلوجراما ، وطوله ١٨٢ سنتيمترا) .. وكان طول حذائه ٤٧ سنتيمترا ، أما طول راحة يده من الرسغ حتى نهاية الاصابع الوسطى ، فقد بلغ حوالي ثلث المتر ، والواقع أن مثل هذه الحالة ترجع إلى افرازات زائدة لهرمون النمو ، ولولا موته مبكراً ، لما توقف نموه ـ وكم في الناس من مفارقات ، وكم في الحياة من غرائب .







ليس طفلاً

وهذه اللقطة المثيرة تعبر عن واحدة من المفارقات العجيبة .. فالذي يقف على المنضدة شاب بالغ ، وهو أيضاً أمريكي (ويبدو أن أمريكا هي بلاد التناقضات ـ حتى على مستوى البشر) ، ويدعى تشارلز ستراتون ، وهو الذي عرف فيما بعد باسم الجنرال « عقلة الاصبع » .. والغريب أن طوله في شهره الخامس بلغ ٦٤ سنتيمترا ، لكنه على مدى ١٣ عاماً لم يزد طوله إلا ستة سنتيمترات لاغير ، زيدت إلى سبعة سنتيمترات أخرى عندما بلغ الثامنة عشرة ، والأغرب أنه ظل ينمو بعد هذه السن ، فوصل إلى ٨٩ سنتيمترا وهو في الثلاثين ، وعند موته عن ٤٥ عاماً ، وصل طوله إلى متر واحد وسنتيمترين ، وقد التقطت هذه الصورة وهو في الخامسة والعشرين !

صفحـات مـن البطولات الخليجية

الإمـام ورجـل الدولـة أحمد بن سعيد

بقلم : أحمـد العنـاني

كان بعض الأخوة القراء قد تساءلوا بعد الحلقة الرابعة من هذه المقالات إن كان موضوعها سيكون مقتصراً على تاريخ عمان ورجالاتها على الرغم من وضوح القصد في عنوانها ، فعمدت في المرة الفائتة وجعلت الحلقة الخامسة عن الملك الإحسائي الجبوري مقرن بن زامل الذي استشهد دفاعاً عن البحرين لدى مهاجمة البرتغاليين لها أوائل القرن السادس عشر الميلادي ، ولكني في الحقيقة لم أكن راضياً عن ذلك الخروج عن النسق الذي أعلنته في المقالة الأولى عن سيري مع أقطار الخليج وأقاليمه ابتداء من مدخله في عمان وانتهاء بأقصى شماله في البصرة .

وليس كثيراً أن نتناول بضعة رجال من العمانيين في مجال البحث عن الأبطال ، ومقارعة الاستعمار ، فمعروف أن عمان هي بوابة الخليج التي تتلقى عنفوان الهجمات البربرية والتوسعية كالبرتغالية قبل أن يتمكنوا من الدخول إلى مواقع كهرمز والبحرين والقطيف مثلا ، كما أن سواحل عمان منطلق مباشر إلى سعة المحيطات الرهيبة كالمحيطين الهندي والهادى ،كما أنها أول من يستقبل السفن الوافدة من الصين وأفريقيا ،ولذلك كان احتلالها مطمحاً للغزاة على مدى العصور ...

ويمكن أن يقال دون خشية الاتهام بالمبالغة بأن عمان شهدت من ارتفاع الحظوظ وهبوطها ، ما لم يشهد نظيره أي مكان آخر في الخليج ، وقد رأينا في مقالاتنا السابقة طبيعة التحديات القبلية وخلافات المذاهب الدينية وخطورة الانقسام في ذلك البلد بالذات خصوصاً إذا ما تسلل إلى صفوف العمانيين كائد يكيد لهم من خارج بلادهم .. وقد تمثل ذلك مرات متكررة في مداخلات بريطانية وفرنسية وفارسية . بالنسبة للانجليز كانوا معنيين على الدوام بوجود عمان قوية لا سيما في البحر طالما كان هناك منافس قوي للنفوذ الإنجليزي سواء على المستوى المحلي أم الدولي الخارجي ، فبريطانيا تؤيد عمان إلى حين انكسار شوكة البرتغاليين وبرود جمرة الصراع التجاري مع الهولنديين ، ثم تعود فتتنكر لها وتحاول أسوأ المحاولات أن تستغل ما زعمته عن رسائل متبادلة بين حكام مسقط ونابليون بونابرت فتعطي لنفسها حقوقاً تخالف من كل الأعراف الدولية ، وجيران عمان على العدوة الأخرى من الخليج ما إن تصفو لهم الأحوال حتى يفكروا في التوسع على حساب جيرانهم ، وفي هذه الفترة بالذات من حكم أسرة جديدة بدأت في اقليم فارس ثم امتد نفوذها في الأقاليم الايرانية توسعاً في ناحية الشمال على حساب الإدارة العثمانية في البصرة ، ثم نجد استماتة في التدخل في أقاليم عمان واستخدام البطش الشديد لإثبات وجود فارسي في البلد العربي ...

أحمد بن سعيد والمسئولية الكبرى

هناك حقائق أساسية عن الامام أحمد بن سعيد يجب أن تكون موضع الملاحظة منذ البداية : فهذا الرجل ينتمي إلى اهل الساحل العمانيين الذين انتعشوا تجاريا انتعاشاً كبيراً بعد نهضة عمان في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وبعد أن أصبح لأسطولها الحربي الهيمنة على دائرة كبيرة من المحيط الهندي تشمل إلى جانب جزر القسم الشرقي منه أقاليم من غربي الهند خاصة في اقليم جوجرات الذي ظل يحوي جالية عربية تجارية إلى مئات السنين ، وإلى أن غير الاحتلال البريطاني كل شئ في الهند . كما تشمل قطاعات بارزة ذوات موانئ تجارية مزدهرة في مناطق زنزبار وكلوة وغيرها من شرقي أفريقيا . وفي حماية ذلك الأسطول كان يتحرك أسطول تجاري ضخم عاد نشاطه بالخير العميم لا سيما على مناطق الساحل العماني الذي تطرزه الموانئ الحوافل بالنشاط الدائم ، ومنها ميناء صحار ، وهو الموقع الذي أسندت ولايته إلى أحمد بن سعيد قبل فترة طويلة من انتخابه اماماً ، حيث برز ليس فقط كتاجر رفيع المستوى ولكن أيضاً كإنسان متفكر حكيم قادر على حل المشكلات ، حسن الرؤية في احتمالات المستقبل ،واسع الصدر حيال الخلافات القبلية والمذهبية بحيث كان الجميع يخرجون من مجلسه متصافين متوادين بعد الشحناء والتدابر ، والكل يلهج بالثناء عليه ..

لقد كان الفضل في اكتشاف مواهب أحمد بن سعيد يعود للسلطان اليعربي سلطان بن سيف ، الذي شغل به ولم يتردد في اختياره مستشاراً خاصاً له ...

وقبل أن يغرينا ذكره بالدخول في تفصيلات دقيقة من حياته ينبغي أن نبرز ابتداء المجالات التي أكسبت أحمد بن سعيد سمة البطولة المتمثلة في إخلاص رجل الدولة الواعي الحكيم الذي يعرف كيف يراوح بين الشدة واللين إلى أن يحقق أهدافاً مخططاً لها ومدروسة أحسن دراسة .

أولا : دفع عادية العجم على سائر عرب الخليج .. فلقد اكتسح جيران العرب الشرقيين بعد تولي كريم زند خان المفاجئ الحكم ، وقيام حكم الأسرة الكاجارية ، إحساس مركب من العظمة والعجرفة وحب التنكيل بالعرب وتصميم مستميت للاستيلاء على الساحل العربي من الخليج .

حملات على البصرة وخـــــور فكان

من المعروف كما ورد من قبل كان هناك استنجاد بالفرس للدخول في شأن داخلي بعمان ، ولكن المستغاث بهم انتهزوها فرصـــة وبدأوا ينزلون بأعداد وكيفيـــات توحي بالعزم على الإقامـــة الدائمة في عمـــان ،وزال كل شك من النفوس في هذا بحصار البصرة ومحاولة خنق التجـــارة العربية . وانظر طائفة من روايات العصر عن نزول العجم في عمان (١) .

..كان نزول جيش العجم بخور فكان آخر ليلة الخميس لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ذي الحجة سنة تسع وأربعين ومئة وألف للهجرة (مايو ١٧٣٨ م) . وفي موضع آخر من نفس المصدر (٢) « وفي زمان سيدنا الإمام أحمد بن سعيد أراد كريم خان زند رئيس العجم وخانهم أن يسير قومه على عمان المحروسة ، وأرسل بقدر ستة آلاف وعبروا إلى الجزيرة ، ووصلوا إلى بلد سعيد بن قضيب الهولي ، وهي جزيرة لنجة ، فعلم مولانا الإمام وهرع أبناء عمومته فحصروا القوم بالجزيرة ... إلى آخر القصة وهي إجبار المهاجمين على الخروج بأسلحتهم » « ثم أن كريم خان أرسل أخاه صادق إلى البصرة وحاصرها حصاراً طويلاً فأرسل أهلها إلى سيدنا الإمام يريدون منه النصرة ، فأمنهم بالأقوام والمراكب (زودهم بالجنود والسفن) ومعهم والده قيس وسيف والشيخ الأكبر ماجد بن سعيد ابن قاسم المعري الحارثي » .

ويعلق المؤلف على هذا الموضوع ساخراً بقوله « وطال قيامهم بالبصرة بعد أن تمكنوا من اختراق دفاعات العجم ، ولكن لم يصل اليهم أحد من المدد من جانب سلطان البرين وخاقان البحرين عبدالحميد خان ولا من باشا بغداد » .

والواقع أن الطراد الحربي العماني المدعو « الرحماني » هو الذي أدى مهمته بكل بسالة في فك الحصار الفارسي عن البصرة ، وأن السلطان عبدالحميد أصبح يقدم مكافأة سنوية لعمان على ذلك الجميل .

والواقع أن الإمام أحمد بن سعيد لم يتساهل مطلقاً في موضوع التدخل الأعجمي في عمان ، وكان يرى فيه خطراً عظيماً وإذلالاً مهيناً ، ولم يكن يفرق في ذلك بين البصرة وصحار أو أي موقع للعرب داخل الخليج أو في أي مكان فيه .

ثانياً : كان للإمام أحمد بن سعيد نظرة واسعة وشمولية في الأمور تتسم ببعد نظر عجيب ، وكان يرى أن تدخل الأجانب في أي مكان يدخل في المجال الاقتصادي الحيوي لبلاده هو بمثابة تدخل فيها نفسها ، ولذلك نراه يهرع لمساعدة المسلمين في الهند ضد التعديات الانجليزية عليهم . كما حصل لدى اصطدام نظام حيدر آباد معهم .

ثالثا : كان له موقف صلب متشدد ضد القراصنة الأوروبيين الذين بدأوا يتكاثرون في المنطقة بين بحر العرب والساحل الغربي للهند ، وكان للحملات البحرية التي فاجأهم بها أثرها الكبير في تنظيف السواحل العربية وساحل مالابار أيضاً منهم .

رابعاً : وكان له موقف مستنير من حيث التعويل الكبير على قوة الأسطول البحري واعطائه الأولوية في تأمين مستلزماته من التسليح والذخائر ، وبذلك وضع عمان في موضع معتبر جداً ، فقد أحبط مطامح العجم فيها بإغراق سفنهم الحربية المحدودة العدد والفاعلية ، كما أزال خطرهم عن البصرة وأمن سلامة الخطوط التجارية مما كان له أكبر الفضل في تجاوز عمان للكوارث التي لحقت بها من جراء الحرب الأهلية الدامية ، التي انحاز فيها سيف بن سلطان إلى العجم ، وذلك حينما كان الإمام أحمد بن سعيد ما يزال مجرد تاجر مرموق في صحار وقع عليه الاختيار ليكون والياً على المدينة ، فكان المحرك الحقيقي لحركة المقاومة ضد الغزو الأجنبي في الوقت الذي كانت فيه الإمامة لسلطان بن مرشد بن عدي اليعربي ، وكانت النصرة للإمام الشرعي وعامله أحمد بن سعيد ، حتى لم يبق للعجم ومناصريهم موقع يحتفظون به في عمان سوى الموقع المسمى بالكثبان ، حيث تشبثوا به فترة طويلة ، توالت خلالها النجدات إليهم فوسعوا قاعدة احتلالهم وتقدموا ضد صحار للقضاء على واليها أحمد بن سعيد .

ولم يكن الوالي العماني غافلاً عما يمكن أن يحشده أعداؤه من قوى ضخمة بالنسبة لإمكاناته هو في حرب برية ، لكنه كان رجلاً عملياً يعرف قيمة حشد كل الممكن أولاً ، ومع ذلك فإن خسائر الجيش الامامي كانت مؤثرة وكبيرة وشملت أخاً للإمام وطائفة من أفضل رجاله ومقاتليه ، ويقال إن حزنه وجراحه معاً أدت إلى وفاته وهو محاصر في حصن أحمد بن سعيد في صحار .

ووقع اختيار الناس من أهل الحل والعقد على إمام جديد هو بلعرب بن حمير بن سلطان بن سيف اليعربي في ٢٧ ربيع الثاني ١١٥٦ هـ الموافق لـ ٢٠ حزيران (يونيو) ١٧٤٣ م .

وامتدت الحرب أيضاً ، رغم وفاة سيف بن سلطان صديق العجم ، الذي حل محله بلعرب بن سلطان .

أحمـــد بن سعيد ينهي الوجود العجمي في بلاده

وفيما انصرف الإمام الجديد بلعرب بن حمير إلى مشاحنات افتعلها مع مؤيديه في نزوى ، فحبس أشياخهم ، ولم يحسن معاملتهم وملأ بهم السجون ، أصم أحمد بن سعيد أذنيه عن سماع تلك الأخبار تاركاً للطاغية في نزوى حرية المسارعة إلى نهايته المحتومة ، فيما تفرغ هو لانهاء الوجود الأجنبي في الكثبان لئلا يعاود العجم تعزيز حامياتهم وتجديد الكارثة ، وقد أثبت أنه رجل دولة بكل معنى الكلمة حيث أنه حاصرهم وأوقع ضغطاً حربياً عليهم فلما كاد الأمر يصل بهم إلى مرحلة اليأس أظهر لهم جانب الكرم واللين فاتفقوا معه على النزوح بالسفن التي يقدمها لهم ومعهم مكتسباتهم من حملتهم على عمان وقد طلب بعضهم الإقامة الدائمة بعمان فأتيح له ذلك ، وهكذا تفرقوا وانتهى أمرهم . ويقول صاحب كشف الغمة (٣)

« ذلك كان من فضل الله ووجود أحمد بن سعيد البوسعيدي ولو لم يكن هو في صحار وقاتلهم لدخل العجم عمان مرة أخرى وتملكوها لأن مرادهم كان ملكها وخرابها وهلاك أهلها . فصدهم رب العباد بالشيخ أحمد بن سعيد جزاه الله خيراً » .

أحمد بن سعيد إماماً

في الوقت الذي أنهى فيه خطر العجم على عمان كان الحال قد انتهى بإمام نزوى بلعرب بن حمير إلى أن يقع هو في السجن إلى أن أخرجه بنو غافر وتوجهوا به إلى الباطنة فالظاهرة فنزوى .

وفي ٢٣ جمادى الآخرة من عام ١١٦٢ هـ الموافق لـ ١٠ يونيو ١٧٤٩ م تم رأي أهل الحل والعقد على إعلان أحمد بن سعيد البوسيعيدي إماماً لعمان . فلم يشذ عن ذلك إلا القليلون ، ومنهم بالطبع بلعرب بن حمير في نزوى . ولكن الميزان كان في صالح أحمد بن سعيد الذي طاول خصومه كثيراً حتى تغلب على سائرهم ، ومنهم بلعرب بن حمير الذي قتل في معركة جرت بقرية فرق في ١٤ صفر ١١٧٦ هـ الموافق لـ ٣٠ آب من عام ١٧٦٢ م .

وبمقتل بلعرب بن حمير انتهى إلى الأبد حكم اليعاربة الذين أدى رجالاتهم الأوائل في النصف الأول من القرن السابع عشر دوراً عظيماً في طرد البرتغاليين .. وذلك بعد حكم دام مئة وأربعين سنة ..

لقد كان ظهور الأسرة البوسعيدية تأكيداً لانتصار عقلية جديدة متأثرة بالمفاهيم التجارية والبحرية في سواحل عمان على التوجهات التقليدية البالغة القدم في عمان .

وكان مؤسس هذه الأسرة عظيماً في عصره على قدر ما كان مؤسس اليعاربة ناصر بن مرشد عظيما في مفاهيم زمانه .

أحمد العناني

هوامش :

(١) المقتبس من كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ـ تأليف الأزكوي وتحقيق عبد المجيد القيسي مطابع سجل العرب ٩ شارع عماد الدين ـ القاهرة ١٩٨٠ ص ١٤٠ .

(٢) نفس المصدر ولكن من ص ١٥٨ .

(٣) نفس المصدر السابق ص ١٥١ .



إنسانية الآباء والأجداد في ألف ليلة وليلة

بقلم: عباس خضر

ماذا جرى لنا وقد كنا في أصلاب الآباء والأجداد عندما كانوا أهل خير ومروءة وشهامة ؟ هذا أحدهم ، أحد الأجداد ، تتحدث عنه شهرزاد إلى شهريار في ليلة من الليالى الألف . لا تقل انه خيال ، هو حقيقة خيال ، ولكن له معادلاً في الواقع ، والأدب العظيم ما كان كذلك : خيال على مثال الواقع .

ليس هذا الجد أميراً أو فارساً يفتخر به ، فما بنا حاجة الى الفخر .. إنه ، وقاد ، في حمام ، يجمع الحطب وربما القمامة ويوقدها في أفران الحمام كي يسخن ماؤه وتحمى مغاطسه التى يزيل الغطس فيها ما علق بالأبدان من أدران .

ولو أننا لا نزال نرى مثل ذلك قلة قليلة ، ولو أننا لم نره كثيراً في الطفولة التى امتد بنا الزمن بعدها بأكثر من نصف قرن ، لقلنا بأنه خيال بعيد عن الواقع .

خرج وقاد الحمام مبكراً إلى عمله في جمع الوقود من القمامة ، فرأى انساناً مكوماً على القمامة ، فظنه أولا جثة ، فقال في نفسه : ألم يجد القاتل الأثيم إلا هذا المكان ؟ ثم لكزه فتحرك ، فقال : الواحد منكم يأكل قطعة حشيش ويرمى نفسه في أى موضع .. ثم نظر الى وجهه فرآه ذا بهاء وجمال لانبات بعارضيه ، فأخذته الرأفة وعرف أنه مريض وغريب ، فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، اغفر لي يارب أنى أسأت الظن بهذا الصبى ، وقد أوصى النبى صلى الله عليه وسلم باكرام الغريب ، فما بالك اذا كان هذا الغريب مريضا ؟

حمله إلى بيته ودخل به على زوجته وأمرها أن تخدمه وتعنى به ، ففرشت له وجعلت تحت رأسه وسادة ، وسخنت ماء وغسلت يديه ووجهه ورجليه . ثم خرج الوقاد الى السوق وأتى بشيء من ماء الورد والسكر ، ورش ماء الورد على وجهه وسقاه السكر ، وأخرج له قميصاً نظيفاً وألبسه اياه ، فشم نسيم الصحة وتوجهت إليه العافية واتكأ على المخدة في شبه جلوس . ففرح الوقاد بذلك وقال : الحمد لله على عافية هذا الصبى ، اللهم إنى أسألك بسرك المكنون أن تجعل سلامة هذا الشاب على يدى .

مازال الوقاد يتعهد الشاب ويحضر له السكر وماء الورد ويتلطف به ، حتى سرت الصحة في جسمه وفتح عينيه ذات مرة دخل فرآه جالساً وعليه علامات العافية ، فقال له :

— كيف حالك الآن يا ولدى ؟

— بخير والحمد لله .

— أحمدك ربى وأشكرك .

كل يوم دجاجتان

ثم ذهب الى السوق ، واشترى عشر دجاجات ، وأتى إلى زوجته ، وقال لها :

— اذبحى له دجاجتين في كل يوم ، واحدة في أول النهار ، وواحدة في آخر النهار .

قامت الزوجة من فورها وذبحت له دجاجة وسلقتها ، ثم أتت بها إليه ، وأطعمته وسقته



مرقها ، ونام الى العصر ، ثم سلقت دجاجة أخرى وأتته بها آخر النهار ، وقالت له : كل يا ولدى . فجعل يأكل وهو متكيء على الوسادة . ودخل الوقاد فوجد زوجته تطعم الصبى ، فسر بذلك ، وجلس بجانبه وقال له :

ــ كيف حالك الآن يا ولدى ؟

ــ الحمد لله على العافية ، جزاك الله عنى خيراً .

ثم خرج الوقاد الى السوق وأتى بشراب البنفسج وماء الورد وسقاه .

كان الوقاد يعمل كل يوم فى الحمام بخمسة دراهم ، فيشترى للصبى كل يوم مأكولات ومشروبات بدرهمين ، ومازال هو وزوجته يعتنيان به ويلاطفانه حتى زالت عنه آثار المرض ورجعت إليه العافية . قال له الوقاد :

ــ يا ولدى هل تدخل معى الحمام ؟

ــ نعم .

فذهب الى السوق واكترى حماراً وأركبه وجعل يسنده الى أن وصل الى الحمام .

أخذ الوقاد يغسل جسد الصبى بالسدر والدقاق ويحك رجليه ، وبينما هو يفعل إذ جاء « بلان » أرسله معلم الحمام إكراماً للصبى ، فقال الوقاد : إن المعلم غمرنا بفضله وإحسانه . عنى « البلان » بغسل الصبى وحلق له رأسه ،

وبعد ذلك رجع به الوقاد الى منزله وألبسه قميصاً رقيقاً وثوباً من ثيابه وعمامة لطيفة ، وكانت زوجة الوقاد قد ذبحت دجاجتين وطبختهما . وقدمت لهما السفرة ، وصار الوقاد يفسخ لحم الدجاج ويعطى الصبى ويسقيه من المرق ، الى أن شبع وحمد الله تعالى وغسل يديه ، ثم قال للوقاد :

ــ أنت الذى من الله على بك وجعل سلامتى على يديك .

مــــن أنت

ــ دع عنك هذا الكلام وقل لنا ما سبب مجيئك الى هذه المدينة ومن أين أنت ؟ فإنى أرى على ملامحك آثار النعمة برغم ما كان من ذبول المرض .

ــ قل لى أنت كيف وقعت بى حتى أخبرك بحديثى .

ــ أما أنا فإنى وجدتك مرمياً على القمامة فى المستوقد حين لاح الفجر وتوجهت إلى عملى ، ولم أعرف من أمرك شيئاً ، وأخذتك الى منزلى ، وهذه حكايتى معك .

ــ سبحان من يحيى العظام وهى رميم ، انك يا أخى ما فعلت الجميل إلا مع أهله ، وأرجو أن تجنى ثمرة عملك . ولكن قل لى أين أنا الآن ، أقصد فى أى البلاد .

ــ أنت فى مدينة القدس .

ــ إعلم أن اسمى « ضوء المكان » ولى أخت اسمها « نزهة الزمان » ، وكنا عائدين من الحجاز حيث أدينا فريضة الحج ، ونزلنا فى فندق بهذه المدينة ، ومرضت مرضاً شديداً ، وأنفقنا جميع ما نملك . واشتهيت اللحم ، ولما لم يكن معنا نقود فقد خرجت أختى لتخدم فى بعض البيوت ، وتأتى لى بالطعام ، ولم تعد .. ومكثت بضعة أيام أنتظرها وأنا مريض جائع ، ثم همت على وجهى .. ولم أشعر بشيء بعد ذلك الا وأنا هنا ، ولا يقلقنى الآن إلا مصير أختى نزهة الزمان ..

ــ ولكن ما أصلكما ؟

ــ أصلنا من بغداد .

ــ ولماذا لم تعودا إليها ؟

ــ خرجنا للحج رغم إرادة أبينا الذى طلب منا أن ننتظر الى العام القادم .

وأخفى ضوء المكان عن الوقاد حقيقة هائلة .. هى أنهما ولدا الملك عمر النعمان صاحب بغداد وبلاد الأفغان ، أخفى عليه ذلك حتى لا يظن أنه كاذب قد أختلط عقله !

طوى سره حتى يجيء وقته فيظهر .. قال للوقاد :

ــ كم بيننا وبين دمشق ؟

ــ مسيرة ستة أيام .

ــ هل لك أن ترسلنى إليها ؟

ــ كيف أدعك تذهب وحدك وأنت شاب صغير ، فإن شئت السفر إلى دمشق فأنا أسافر معك ، وإن أطاعتنى زوجتى وسافرت معى أقمت



هناك ، فإنه لا يهون علي فراقك ، ثم قال الوقاد لزوجته :

ـ هل لك أن تسافري معي الى دمشق الشام أو تظلي هنا حتى أوصل ضوء المكان وأعود إليك ؟ فاني أخاف عليه من قطاع الطريق .

أجابت الزوجة في الحال :

ـ أسافر معكما .

ـ الحمد لله على الموافقة .

باع الوقاد أمتعته وأمتعة زوجته ، ثم أكترى حماراً وأركب ضوء المكان إياه ، وسافروا ، ولم يزالوا مسافرين ستة أيام الى أن دخلوا دمشق ونزلوا بها آخر النهار .

مكثوا خمسة أيام في دمشق ، ثم مرضت الزوجة أياماً قلائل ، وانتقلت الى رحمة الله تعالى .

عظم ذلك على ضوء المكان لأنه اعتاد عليها كأنها أمه ، وكانت تخدمه وترعاه كأنه ابنها ، وحزن عليها زوجها حزناً شديداً ، إلتفت إليه ضوء المكان وقال له :

ـ لا تحزن ، فإننا كلنا داخلون من هذا الباب .

قال الوقاد وهو يجفف دموعه :

ـ جزاك الله خيراً يا ولدى ، فالله تعالى يعوضنا بفضله ويزيل عنا الحزن .

سكت الوقاد قليلا ثم قال :

ـ هل لك يا ولدى أن تخرج وتتفرج في شوارع دمشق ؟

ـ الرأى رأيك .

أحمال وجمال

سارا الى أن أتيا دار والى دمشق ، فوجدا أحمالاً محملة من صناديق وأقمشة من الديباج وخيلاً مسرجة ومماليك يحرسونها . والناس في هرج ومرج ، فقال ضوء المكان يسأل بعض الخدم :

ـ يا ترى لمن يكون هؤلاء المماليك والجمال والأقمشة ؟

قال الخادم :

ـ هذه هدية من أمير دمشق يريد إرسالها الى الملك عمر النعمان مع خراج الشام . لما سمع ذلك ضوء المكان عاودته الذكريات وتذكر أخته نزهة الزمان ، فبكى وأنشد :

إن شكونا البعاد ماذا نقول
أو تلفنا شوقاً فكيف السبيل
أو رأينا رسلا تترجم عنا
ما يؤدى شكوى المحب رسول
أو صبرنا فما من الصبر عندى
بعد فقد الأحباب إلا قليل

قال له الوقاد :

ـ يا ولدى ، نحن ما صدقنا أن جاءتك العافية ، فطب نفساً ولا تبك ، فاني أخاف عليك من النكسة .

قال الوقاد ذلك ثم تذكر زوجته ، فبكى هو أيضاً ، ولكنه كفكف دمعه وجعل يلاطف ضوء المكان ، وبعد فترة صمت قال الوقاد لضوء المكان :

ـ كأنك تذكرت بلادك .

ـ نعم ولا أستطيع أن أقيم هنا . أستودعك الله ، فانى مسافر مع هؤلاء القوم .

ـ وأنا معك ، فانى لا أقدر أن أفارقك ، انى أريد أن أتمم ما فعلت معك بخدمتك .

ـ جزاك الله عنى خيراً .

وفرح بسفر الوقاد معه . ثم إن الوقاد ذهب من ساعته الى السوق واشترى حماراً وهيأ زاداً . ثم قال لضوء المكان :

ـ أنت تركب هذا الحمار في السفر ، فاذا تعبت من الركوب فانزل وامش .

ـ بارك الله فيك وأعانني على مكافأتك ، فانك فعلت معى من الخير ما لا يفعله أحد مع أخيه .

وضع الوقاد زاداً وبعض الأمتعة في خرج ووضعه على ظهر الحمار ، ومن فوقه ركب ضوء المكان ، وسارا مع القافلة .

سيدة القافلة

ولم يدر ضوء المكان أن أخته نزهة الزمان في القافلة ، بل هي سيدتها .. إنها زوجة أمير القافلة : الحاجب الأكبر لوالى دمشق ..

ونزلت القافلة في مكان بالطريق لتستريح فيه . وبينما القوم نيام إرتفع صوت ضوء المكان بالشعر ، وحاول الوقاد أن يسكته خشية أن يحدث مالا يحمد عقباه . ولكنه لم يكف واسترسل يذكر أخته نزهة الزمان ويتحسر على فراقها .

سمعته نزهة الزمان فاستدعت أحد الحراس وأمرته أن يبحث عمن ينشد الشعر ويأتى به . وأتى به الحارس برغم الوقاد الذى حاول إخفاءه .. والتقى الأخوان في عناق وحنان . وحكى كل منهما للآخر ما جرى له من الأول الى الآخر ، وقد عرفنا ما جرى لضوء المكان .

أما نزهة الزمان فإنها خرجت من الفندق الذى كانت به مع أخيها المريض الذى اشتهى اللحم ، خرجت تبحث عن بيت تخدم فيه وتأتى لأخيها باللحم ، لقيها رجل بدوى في الطريق ، فاستمالها إليه واحتال عليها حتى رضيت أن تذهب معه . ثم أساء معاملتها وباعها لتاجر رقيق ، وعرف التاجر قيمتها فأغلى ثمنها وعزم على أن يقدمها لأمير دمشق . وقال للأمير إن هذه الجارية على مستوى كبير في العلم والأدب ، كما كانت فعلا .

وعقد الأمير جلسة حضرها القضاة الأربعة لكى يختبروا نزهة الزمان . وجلست خلف ستار وراحت تقول في سياسة الحكم وتشرح الأحكام الدينية ، فدهش الحاضرون جميعاً من سعة معرفتها وكمال عقلها .

وتزوجها حرة

أعتقها الأمير بعد أن اشتراها من التاجر ، ثم عرف من كلامها أنها أخته ! ! فأمير دمشق ابن الملك عمر النعمان .. وكان الحل أن يزوجها للحاجب الأكبر الذى أصبح ذا شأن بمصاهرته للأمير ، حتى صار أهلا لأن يرأس القافلة الذاهبة إلى الملك عمر النعمان بالهدايا وخراج دمشق .

صار الصبى ملكاً

وتفاجأ القافلة قبل بلوغها بغداد بنبأ وفاة الملك عمر النعمان ، ويجمع القوم على تولية ولده ضوء المكان مكان أبيه . ويجلس ضوء المكان على العرش ويستدعى الوقاد والذى ذهل مما رأى .. وأشار له الملك أن اجلس ، فأبى وقال :

ـ معاذ الله .. قد انقضت أيام قعودى في حضرتك !

ـ لا بل هى باقية الى الآن ، فانك كنت سبباً لحياتى ، والله لو طلبت منى ما شئت مهما كان لأعطيتك إياه .

ـ يا سيدى ، انى أخاف أن أتمنى شيئاً لا تقدر عليه .

ضحك الملك وقال له :

ـ لو تمنيت نصف مملكتى لشاركتك فيها ..

ـ أتمنى أن تكتب لى مرسوماً بأن أكون عريفاً على جميع الوقادين في مدينة القدس !

استغرق الملك والحاضرون في الضحك ، وقال الملك :

ـ تمن غير هذا ، تمن أمراً عظيماً لائقاً بمقامى .

وأسر إليه الوزير :

ـ لو طلبت ولاية دمشق موضع أخيه (الذى توفى) لولاك عليها .

قال الوقاد وهو ذاهل يجارى ما قيل له :

ـ أتمنى سلطة دمشق موضع أخيك !

أصدر الملك مرسوماً بذلك وأسماه « الزبلكان » وأمر الوزير أن يصحبه ويكون في خدمته . والتفت الملك الى « الزبلكان » قائلا :

ـ في رعاية الله وأوصيك بالرعية خيراً ، إصنع معهم مثل ما كنت تصنع معي .

عباس خضر

غسان كنفاني - الأديب الشهيد



بارح فلسطين مكرهاً ، وفي قلبه جمرات ظلم حامية ، وفي نفسه فوران طغيان موار ، وفي عزمه إيمان راسخ بأن الحق دائماً في انتصار ، فظل يردد مع « طاغور » شاعر المحبة الانسانية :

« إن بلادي عندما تثور
وتقف في وجه كل ظالم
تثور للحق الذي سينتصر »

في عكا ، قاهرة الغزاة ، وعلى سفح الكرمل ، الذي روت وروده دماء الشهداء على المدى ، ولد غسان كنفاني عام ١٩٣٦ ، إبان الثورة الفلسطينية الكبرى ، التي أخفت جذوتها بقيام الحرب الكونية الثانية ، ولكن النكبة الفلسطينية الأولى عام ١٩٤٨ ، عاجلته ، لتحمله إلى لبنان ، ثم إلى سوريا ، حيث بدأ الصراع للحياة ، فأقبل على الدراسة المسائية ، حتى نال الشهادة الثانوية ، ثم ذهب ليعمل مدرساً في مدارس الكويت . فواظب على الدراسة الجامعية ، حتى نال الاجازة من كلية الآداب بجامعة دمشق . حيث أعد دراسة لنيل الشهادة الجامعية موضوعها : « العرق والدين في الأدب الصهيوني » .

وعاد إلى لبنان ، ليعمل محرراً في صحيفة « الحرية » الأسبوعية ، ثم انضم إلى صحيفة « المحرر » البيروتية اليومية ، رئيساً للتحرير ، وفي عام ١٩٦٧ م ، أخذ يحرر في صحيفة « الأنوار » البيروتية ، وله عمود يومي في صدر صفحتها الأولى عنوانه : « أنوار على الأحداث » ، كرسه لمعالجة القضايا العربية . ثم تسلم رئاسة تحرير مجلة « الهدف » .

آثاره القلمية

« شمس جديدة » باكورة أعمال غسان كنفاني ، قصة نشرها في مجلة الآداب البيروتية عام ١٩٥٦ ، فقد بدأ الكتابة في سن مبكرة ، يصور في قصصه عظم المأساة ، ولكن بنظرة مستقبلية تؤكد هدفه النهائي . بأن الحق في انتصار .

ثم انطلق قلمه الثائر ، فأصدر المؤلفات القصصية الآتية :

- موت السرير رقم ١٣ ، مجموعة قصص طبعت عام ١٩٦٢ م
- رجال في الشمس ، رواية طبعت عام ١٩٦٣ م
- أرض البرتقال الحزين ، مجموعة قصص قصيرة طبعت عام ١٩٦٣ م
- الباب ، مسرحية طبعت عام ١٩٦٤ م
- عالم ليس منا ، مسرحية طبعت عام ١٩٦٤ م
- أدب المقاومة في فلسطين المحتلة . دراسة عن أدب الشعراء العرب في الأرض المحتلة . طبع عام ١٩٦٦ م .
- ما تبقى لكم ، قصة ، طبعت عام ١٩٦٦ م .
- سقوط الجليل ، رواية مطولة .
- في الأدب الصهيوني ، طبع عام ١٩٦٧ م
- عن الرجال والبنادق ، مجموعة قصص
- الأدب الفلسطيني المقاوم ، دراسة أدبية طبعت عام ١٩٦٨ م .
- أم سعد ، مجموعة قصص قصيرة ، طبعت عام ١٩٦٩ م
- عائدون إلى حيفا ، طبع سنة ١٩٧٠ م .

غسان في الطليعة

غسان كنفاني في الطليعة دائماً . لا يعرف إلا الكلمة الخنجر ، والمواجهة الموجعة ، لا يعرف اللعب بالكلمات السحرية ، وقف منذ أن خط القلم كلمته الواعية ، متحدثاً عن الموت ، عن البرتقال الحزين ، الرمز المستمر للأرض ، التي لم يجف حليبها في فم الأبناء ، وظل يبحث في أعماق الأعماق ، يجري وراء الرجال الذين يبحثون عن الأمل ، في الدنيا الواسعة ، هرباً من مصير بائس ، وبحثاً عن شيء أي شيء ، بعيدا عما خالوه سجناً ، فإذا هم في أعماق المأساة ، فقال كلمته :

« ليس هناك في خارج الوطن إلا أبشع من الموت في زنزانة الحياة ، في المنافي ، فليس لكم إلا العودة إلى الأرض الأم ، الى المواجهة ، فالعالم ليس منا ، ولم يبق إلا الأرض نأخذها ، عن طريق الرجال والبنادق ، وهناك « أم سعد » تبذر البذرة في الأرض ، في الانسان ... هناك فلسطين العزيزة .. »

البناء الفني

إن استعراضاً سريعاً لمجمل القصص التي كتبها غسان كنفاني ، قبل عام ١٩٦٠ م ، والتي أبرزها « شمس جديدة » يبين أن كل قصة ترتبط بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، بخيط دقيق أو متين ، بتجاربه الشخصية عن الحياة ، فقد كتب غسان عن فلسطين كقضية قائمة بحد ذاتها ، عن الأطفال الفلسطينيين ، عن الإنسان الفلسطيني ، عن الآمال الفلسطينية ، كأشياء منفصلة عن عالمنا ، وكأنها وقائع محضة .

أما أسلوبه الأدبي ، فقد تطور بعد عام ١٩٦٢ م بالتحديد ، عندما أصبح غسان ، يرى فلسطين رمزاً إنسانياً متكاملاً ، فعندما يتناول في قصصه عائلة فلسطينية ، فإنه يكتب عن الواقع ، عن تجربة إنسانية ، لأن فلسطين في قصصه أصبحت لا تمثل العالم برمته ، فحسب ، بل لأن المشاكل في الحياة الفلسطينية هي الأكثر بلورة ومعاناة .

فالقصص القصيرة التي كتبها غسان كنفاني ، تستند في معظمها الى موقف عاطفي في بادىء الأمر ، ولا تلبث أن تعكس الواقع الذى غالبا ما يفتقر الى التحليل ، فإن الاسلوب الذي يتصرف به أبطال القصة ، والقرارات التي يتخذونها ، والأسباب التي تدفعهم لاتخاذها وبلورتها ، هي تعبير عن الواقع ، وبدون تحليل . لقد استوحى كافة أبطال رواياته من الواقع ، كما يفهمه ، واستوحى كافة أبطال رواياته من الواقع ، الذي يصدمه بقوة ، وليس من الخيال ، لقد كانوا جميعهم من المخيم ، وليس من خارجه .

أما الأساس الاستراتيجى الهادف لقصص غسان كنفاني فهو كونها تدور حول البطل الفلسطيني ، الذي ــ أبداً ــ يداهمه إحساس لا يقهر بأنه عائد ، فيسميه « أول عائد » ، وظهر ذلك واضحاً ، في قصة « لاشيء » حيث يظهر نموذج من الأبطال الذين يداهمهم إحساس لا يقهر أبداً ، بالعودة ، وكذلك قصة « إلى أن يعود » ، حيث نلمح منها أكثر من صلة شبه بينها ، وبين قصته « ما تبقى لكم » ، فالبطلان يعيشان الظروف نفسها ، فحامد دائماً تعود إليه الرؤيا الكابوسية ، من مقتل والده في « يافا » ، وكذلك بطل قصة « الى أن يعود » تعاوده هذه الرؤى .

كلمــة

إن غسان كنفاني وأضرابه ، عائدون الى حيفا ، وكانت خطوة العودة الكبرى ، في ذاك السبت الغادر من شهر يوليو تموز عام ١٩٧٢ ، عندما انضم هذا البطل الى قوافل الشهداء ، الذين يعبدون للأجيال الآتية درب العودة ، ولتبقى حياته نموذجا ، فالشريط الممتد من دمه قد سبق ، ليرسم للأجيال الخريطة الجديدة للإنسان العربي ، الذي لم يكن يحلم به ، ولكنه بدأ فعلاً في بنائه



بقلم: رءوف توفيق



السينما العالمية تكشف طريقاً جديداً

«كريستوفر لامبرت» في دور طرزان الجديد كما قدمه فيلم «اسطورة طرزان» والذي حقق أعلى الايرادات

من أفلام الفضاء.. إلى أفلام الغابات!

إلى اليمين: المهندس الذي فقد ابنه يواجه تيارات الشلالات وبجواره ابنه الذي يبحث عنه

وعلى اليسار: «شارلي بورمان» في دور مشابه لطرزان في فيلم «غابة الزمرد»



كل الازرار واللمبات الملونة .. في مركبة الفضاء كما بدت في فيلم « ٢٠١٠ » أحدث الأفلام التي تناولت موضوع الفضاء .. ولم يحقق الايرادات المتوقعة !

جون الطائر الفضي في أحضان كالا القردة

منذ سنوات قليلة عثرت السينما العالمية على صيغة مناسبة ، لاجتذاب الشباب إلى دور العرض السينمائي .. كانت الصيغة هي : عالم الفضاء بكل مافيه من غموض وخيال واثارة .

وانهمرت عشرات الأفلام التي تصورت مخلوقات الفضاء تغزو سكان الأرض .. وفي المقابل رحلات سكان الأرض لغزو الفضاء .. وبين هذا وذاك ، مخلوقات الفضاء تهاجم بعضها في حروب شرسة وغريبة !! ودخل في تلك اللعبة .. فنانون وأدعياء .. تجار وحواة .. ومتسلقو موجة !!



ومن فرط التهافت على هذا الاتجاه .. فقدت هذه الأفلام بريقها .. ولم تعد قادرة على اجتذاب الشباب !

ولأن صناعة السينما العالمية في صراع دائم من أجل الاستمرار ، وتحقيق أكبر نصيب من الأرباح .. فقد فكر عباقرة تلك الصناعة في إحداث انقلاب مضاد تماماً .. وخلق نوع من الصدمة المفاجئة للمشاهدين .

فإذا كانت المغامرة في عالم الفضاء لم تعد جديدة أو مبهرة .. فلماذا لا تكون المغامرة على سطح الأرض في أماكن مجهولة ومثيرة للخيال ؟!

وهكذا انتقل الاتجاه من الفضاء .. إلى الغابات .

ومن موضوعات حرب الكواكب ، والمخلوقات الفضائية الغريبة الشكل .. إلى موضوعات إنسان الغابة بين الأحراش والحيوانات .

من المستقبل ، والخيال العلمي ، والأجهزة الاليكترونية في حروب الفضاء .. إلى الحياة البدائية في الغابات الكثيفة .. ورماة الأسهم المسنونة .. وحكايات طرزان !!

والنقلة غريبة جداً .. ولكن ليس هناك شيء غريب بالنسبة لمخططي صناعة السينما العالمية .. بل ان « الغريب » هو الذي يصنع مادة تلك الأفلام !

عناصر الإبهار والاثارة

والاعتماد الأساسي في هذه النوعية من الأفلام — سواء أفلام الفضاء أو الغابات — هو الابهار بالصورة الفنية بالتفاصيل .

في أفلام الفضاء .. اعتمدت الصورة على التطور الفني في الخدع السينمائية ، والمؤثرات الضوئية والصوتية .

في أفلام الغابات .. تعتمد الصورة على عناصر الطبيعة المتعددة الأشكال والألوان .

من أفلام الفضاء.. إلى أفلام الغابات!

والاثارة موجودة في كلا الاتجاهين .. في عالم الفضاء هناك الإثارة بالمجهول .. وفي عالم الغابات . هناك أيضاً نفس الاثارة بالمجهول .. ولكن ذلك المجهول المختبئ وراء الأشجار والنباتات العملاقة !

أي أن المسألة محسوبة فنياً ..

والجديد في أفلام الغابات .. أن صناعها يخاطبون من خلالها اتجاهات موجودة بالفعل لدى الشباب الأوربي والأمريكي الآن .. بالعودة إلى الطبيعة ، كنوع من الرفض للصراع المادي وسباق التسلح النووي ، واكتساح الحضارة الصناعية للمشاعر الانسانية .

أي أن هناك « مضموناً » فكرياً من الممكن أن يضاف إلى هذه الأفلام !

عودة طرزان

وقد بدأت صناعة السينما عملية « جس نبض » السوق العالمي ، بفيلم « أسطورة طرزان » للمخرج « هيج هيدسون » .. وكانت الاستجابة مذهلة .. حقق الفيلم أرقاماً قياسية في الايرادات سواء بأمريكا ، أو أوربا خلال عام ٨٤ .. ولمع اسم الممثل « كريستوف لامبرت » الذي لعب دور طرزان الجديد .. وتحول هذا الممثل الذي لم يبلغ السابعة والعشرين من عمره ، إلى أسطورة بالنسبة للمراهقين والشباب ! !

وفي الشهر الماضي .. بدأ الانزال الجديد لعملية جس نبض السوق العالمي .. من خلال فيلم « غابة الزمرد » للمخرج جون بورمان .

وكل المؤشرات تؤكد أن فيلم « غابة الزمرد » سيكتسح الايرادات في عام ٨٥ .. فقد أستقبل الفيلم في الاسابيع الأولى لعرضه ، بحفاوة ، واعجاب بالغين .

القصة الحقيقية التي تحولت لفيلم

وقد شاهدت فيلم « غابة الزمرد » في أول عرض عالمي له .. وكان ذلك في ختام مهرجان « كان » السينمائي .

ومنذ الدقائق الأولى تكتشف سر الفيلم .. ولكنك لاتستطيع أن تقاوم سحره الخاص .. ورغماً عنك تجد نفسك وقد عدت إلى طفولتك .. تسترجع القصص والحواديت التي سمعتها عن الغابات ، ومغامرات طرزان .. وتمارس متعة الخيال والإثارة وقد تجسدت أمامك على الشاشة في جمال وتدفق .. وبكل امكانيات السينما الحديثة .. واستغلال الصوت المجسم الذي يشعرك بأنك في قلب الأحداث .. أو بمعنى أدق في قلب الغابة ، تسمع من حولك حفيف ورق الشجر .. وأصوات الطيور والزواحف .. وتساقط المياه ..

وموضوع فيلم « غابة الزمرد » مأخوذ عن قصة حقيقية نشرت تفاصيلها جريدة « لوس انجلوس تايمز » بتاريخ ٨ اكتوبر عام ١٩٧٢ ..

والقصة الحقيقية تروي ماحدث لمهندس انشاءات فوجئ باختطاف إبنه الصغير أثناء رحلة لهما على نهر الأمازون .. وبعد عشر سنوات من البحث المستمر عن الطفل المخطوف ، توصل الأب لمقابلة رئيس إحدى القبائل البدائية التي تعيش في غابات الأمازون .. وبين أفراد القبيلة توقف الأب أمام شاب عيونه زرقاء ، وما أن بدأ يدقق في ملامحه حتى اكتشف أنه هو ابنه الذي فقده منذ عشر سنوات ..

وضع كاتب السيناريو « روسبو بالنبرج » هذه القصة المنشورة أمام صديقه المخرج « جون بورمان » الذي قرر على الفور أن تكون موضوع فيلمه الجديد ..

وتم اختيار غابات الأمازون في البرازيل كمكان لتصوير أحداث الفيلم ..

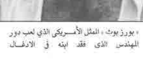
وبدأ المخرج « بورمان » رحلة استكشاف لأماكن التصوير ، ولدراسة طبيعة الحياة والعلاقات الاجتماعية داخل القبائل البدائية التي تعيش في هذه الغابات ..

المخرج في رحلة الاستكشاف

اصطحب المخرج معه في رحلته ، عالماً برازيلياً متخصصاً في علم الأجناس ، ومصورة فوتغرافية نذرت نفسها منذ سنوات ، للدفاع عن قبائل الهنود الذين يعيشون في غابات الأمازون ، والتنديد بأي محاولة للقضاء عليهم أو إبادتهم .

وسجل المخرج في مفكرته الخاصة .. يوميات تلك الرحلة المثيرة وملاحظاته التي قام عليها بناء الفيلم بعد ذلك ..

وداخل أحراش الغابات .. وصل المخرج ومرافقوه إلى قرية قبائل « الكامابيرا » التي تعيش في عزلة تامة عن كل مايجري في العالم .. وهذه القبائل لها قانونها الخاص المتوارث .. ولها طقوسها المثيرة في الأفراح والميلاد والوفاة .



« بورز بوث » الممثل الأمريكي الذي لعب دور المهندس الذى فقد ابنه في الادغال



« ديرا بايس » ممثلة هندية تظهر لأول مرة في فيلم « غابة الزمرد » في دور الزوجة التي تختطفها عصابات الرجل الأبيض .

وقد وصف المخرج هذه القرية في مفكرته بأنها « تشبه بدايات العالم » .. ووصف سقوط المطر بأنه « لا يشبه أي مطر نحن نعرفه .. إنه ينهمر كستارة كثيفة من الماء تحيط بك من كل جانب ، بحيث لايمكن أن تلتقط أنفاسك .. بل تجد نفسك محاصراً بالبخار الكثيف المتصاعد .. »

وسجل المخرج في مفكرته عملية تلوين وجوه وأجساد أفراد القبيلة بواسطة المساحيق المستخلصة من الصخور والنباتات .. ونوعية السهام المستخدمة ، وكيفية اطلاقها ..

كما دخل المخرج إلى بيوت القرية .. المقامة في حلقة دائرية تتوسطها ساحة تشهد كل علاقاتهم .. ووصف المخرج هذه العلاقات بأنها « اتحاد كامل مع الطبيعة .. والحياة بسيطة جداً تخلو من التعقيدات .. فالرجل عنده من الزوجات بقدر ما يستطيع أن يرعاهن .. والأطفال كثيرون .. والعمل اليومي لم يتغير منذ مئات القرون .. النساء يخرجن في الصباح ليجمعن أنواعاً من النباتات ويجلسن بالساعات في ساحة القرية .. يخلطن النباتات ، ويسحقن ، ويغلين لتصبح نوعاً من المشروب الحلو المذاق .. أما الرجال فعملهم يبدأ وينتهي بتوفير الطعام من رحلات الصيد التي يقومون بها .. وكل شئ مستقر وثابت .. حتى يظهر الرجل الأبيض بين أحراش الغابة .. في هذه اللحظة تعلن حالة الخطر .. وتنتصب الأسهم المسنونة .. ويتفرق أفراد القبيلة في أماكن الرصد بين الأشجار والصخور المرتفعة .. لمتابعة تحركات الرجل الأبيض ومحاصرة خطره ..

كيف أقنع رئيس القبيلة ؟

وكان لابد للمخرج « بورمان » من استئذان رئيس القبيلة في تصوير الفيلم داخل هذه القرية .. وكانت وسيلة الاقناع التي قدم بها المخرج نفسه ، أنه يصنع فيلماً يدافع فيه عن بقائهم .. واذا استطاع ان يحقق فيلما جيداً فإنه يضمن أن يراه الملايين في أنحاء العالم .. أي أن قبائل الهنود التي تعيش في غابات الأمازون ستكسب أنصارا ومؤيدين ، ويشكلون رأياً عاماً قوياً يقف ضد أي محاولة لإبادتهم .

ونجح المخرج في اقناع رئيس القبيلة .. ولم يحصل فقط على الموافقة بالتصوير .. ولكن حصل أيضاً على دعوة استضافة من أهم شخصية في قبائل « الكامايورا » .. من الطبيب الساحر الذي يعالج أفراد القبيلة بمساحيقه الخاصة .. وبتعاويذه المتوارثة منذ آلاف السنين ..



المخرج « جون بورمان » في أحراش غابات الأمازون يصور فيلمه



مسحوق عظام الأجداد يقدمه الطبيب الساحر للأبن تعميداً له بأنه وصل إلى مرحلة الرجولة

« شارلي بورمان » ابن المخرج قام بدور الشاب الذي عاش عشر سنوات في الغابة وقرر بعدها ألا يعود للمدينة !

وهكذا انفتحت للمخرج « بورمان » كل الأبواب .. ليدخل هذا العالم المثير .

قصة الفيلم

يبدأ فيلم « غابة الزمرد » بداية سريعة من خلال ذلك المهندس الأمريكي وزوجته وابنته (٩ سنوات) والابن (٧ سنوات) .. وهم يعاينون شقة حديثة استأجرها الأب في تلك المدينة البرازيلية المطلة على نهر الأمازون .. والتي جاءها كمهندس خبير في إنشاء السدود .. ليشارك في إقامة سد ضخم على النهر .

من شرفة الشقة .. يقف الابن الصغير يسأل والده : « هل أستطيع أن أرى مكان عملك من هنا » ؟ ويجيب الأب بالايجاب مشيرا بيده إلى الموقع الذي بدأ فيه إنشاء السد .

يواصل الابن أسئلته .. « هل أستطيع أن أراك وأنت تعمل ؟ » .

في المشهد التالي مباشرة .. نرى سيارة يقودها الأب وبجواره زوجته .. وفي المقاعد الخلفية يجلس الابن وشقيقته .. والسيارة تنطلق إلى موقع العمل في السد ..

من الواضح أن الأب استجاب لرغبة ابنه في أن يدعوه لمكان العمل ليشاهد عملية تقطيع أشجار الغابة .. وتمهيد الأرض بالكاسحات الثقيلة ..واقامة العلامات والحدود لبناء جسم السد ..

وتبدأ الزوجة في إعداد الطعام .. وقد افترشت ملاءة على العشب بين الأشجار .. وينطلق الابن وشقيقته يلعبان حول المكان .

الابن يتبع بفضول طابوراً من حشرات الغابة تحمل على ظهورها أوراق الشجر وتسير بها .. يفاجأ بين فروع الاشجار بوجوه غريبة .. يصرخ في فزع .. ويجري لمكان والده ويحكي له عما شاهده .. الأب لايصدق .. والابن يسحبه من يده إلى المكان الذي شاهد فيه هذه الوجوه .. الأب يحاول بث الطمأنينة في ابنه .. « إنني لاأرى أحدا .. يبدو أنك توهمت أشياء »

يستدير الأب ليرى انعكاس ماقاله على ابنه .. فلا يجده بجواره .. ينادي عليه .. ولكن لافائدة .. يكاد الأب أن يجن .. يجري هنا وهناك يبحث عن ابنه .. ولكن الابن إختفى تماماً .. وفجأة يخترق الصمت ، صوت سهم يرتشق في الشجرة المجاورة للأب .. كأن قبائل الغابة أرادت أن تعلن له عن وجودها .. وعن مسئوليتها في اختطاف ابنه الصغير .

من أفلام الفضاء إلى أفلام الغابات!



جون الطفل مع (أمه) كالا

جمال الطبيعة وتشكيلات الألوان كما أكدها المخرج «بورمان» في فيلمه «غابة الزمرد»

يحاول الأب انتزاع السهم من الشجرة .. ينكسر في يده .. ويحمل السهم المكسور .. وينطلق محموماً يستنجد بكل زملائه في موقع انشاء السد .. الذين يتفرقون في الغابة المحيطة يحاولون العثور على الابن .. ولكن بلا جدوى ..

لقاء الأب بابنه

بعد عشر سنوات على هذا الحادث .. وبعد أن تم بناء السد الكبير على النهر .. نرى الزوجة داخل أحد معسكرات الايواء لأطفال القبائل الهندية ، تواصل البحث عن ابنها المفقود .. وهي تحكي للمسئول عن المعسكر .. عن كل محاولاتهم السابقة في البحث عن الابن .. وقد وصلتهم أخيراً معلومات عن احتمال أن يكون ابنها قد تم اختطافه عن طريق قبيلة معينة داخل أحراش الغابة .. وأن زوجها يسعى للعثور على وسيلة للذهاب إلى هناك .

وفي المشاهد التالية .. نرى محاولات الزوج للوصول إلى باخرة في رحلة بنهر الأمازون بصحبة مصور صحفي استهواه أن يسجل هذه المغامرة ..

الأب يحمل في يده السهم المكسور .. ويسأل كل من يلقاه عن اسم القبيلة التي تستخدم هذا النوع من السهام .. حتى يأتيه الرد .. بأن هذه القبيلة مشهورة بأنهم أناس غير مرئيين ، يستخدمون السحر في اخفاء وجودهم ..

ويواصل الأب رحلته الطويلة داخل الغابة بعد أن انسحب المصور الصحفي لاحساسه باليأس والخوف ..

وهكذا يتخلص الفيلم من هذه الشخصية الثانوية .. ليفرد الأب بالمغامرة .

وكما لم يتعمق الفيلم في تبرير كيف انقضت عشر سنوات على غياب الابن دون أن نرى على الشاشة أي انعكاس لها على شخصية الأم أو الأب .. سوى جملة الحوار المنطوقة التي قالتها الأم في معسكر الايواء ..

وأيضاً كما لم يتعمق الفيلم في تبرير تأخير المعلومة التي تفيد باحتمال وجود الابن مع قبائل غير المرئيين يفاجئنا الفيلم بلقاء الصدفة بين الأب وابنه .. بعد معركة بالسهام والمدافع الرشاشة .. والمطاردات بين قبيلة شريرة .. والقبيلة الطيبة التي ينتمي اليها الابن .

هنا يتوقف الفيلم طويلاً ليستعرض طبيعة المكان من خلال المطاردات بين قمم الأشجار .. ومساقط المياه وفزع الطيور والحيوانات من صوت المدافع الرشاشة التي تلجأ اليها القبيلة الشريرة ..

وفي الجانب الآخر ما تقوم به القبيلة الطيبة من الحرص على التقاليد ومحاكمة شاب منهم عاكس فتاة .. وقدرة رئيسهم الطبيب الساحر على استخراج رصاص المدافع الرشاشة من جسد المصاب بمجرد لمسة بسيطة من اليد .. وخلطة شرابهم الذي يقاوم الوهن .. ويدفع بالحيوية والشفاء للمريض !!

الانتصار لانسان الغابة !!

يفتح الأب عينيه بعد أن أفاق من غيبوبته ، نتيجة المطاردات والأحداث التي مر بها في هذه المعركة بين القبيلتين .. ليجد نفسه أمام ابنه الذي ظل يبحث عنه .. يطلب الأب من ابنه أن يعود معه إلى المدينة .. وإلى أمه الملهوفة عليه .. ولكن الابن يهز رأسه بالرفض «أنا لا أنكر أنك أبي ..

وقد ظللت أحلم بك كثيراً .. ولكن ـ مشيرا إلى الطبيب الساحر ـ هذا أبي أيضاً» ..

ويثور الأب .. ويتوجه إلى الطبيب الساحر



طرزان ذو الاثني عشر عاماً يعيش اليتم مرة أخرى

جون مع القردة التي تبنته



رقصة النار .. أحد مشاهد فيلم «غابة الزمرد»

يتهمه بسرقة ابنه منه .. ويحاول الإبن الدفاع عن الساحر .. «لقد مر وقت طويل على هذا الحادث .. وأنا أريد أن أبقى هنا .. فهنا أسرتي .. وفي هذه الليلة سأتزوج .. لماذا لا تبقى أنت معنا ؟».

ويرد رئيس القبيلة .. «هنا مركز العالم .. وماوراء أشجار الغابة هو نهاية العالم .. زمان كانت نهاية العالم بعيدة .. أما الآن فالنهاية تقترب .. وعلينا أن نحافظ على أنفسنا».

ويتسلل طوال هذا الجزء من الفيلم .. التلميح بشرور الرجل الأبيض .. والحضارة المزيفة التي يستند إليها .. فهذه القبيلة الشريرة التي تستخدم المدافع الرشاشة .. هي قبيلة مأجورة للرجل الأبيض الذي يوزع عليهم الأسلحة في مقابل أن يختطفوا فتيات القبيلة ــ وبالذات أجمل الفتيات ــ ليسوقوهن للعمل في الملاهي الليلية التي يديرها الرجل الأبيض لأمور الفساد !

وفي المقابل .. نجد القبيلة الطيبة تمارس طقوسها في انسجام .. وفي اتحاد تام مع الماضي السحيق لدرجة شرب مسحوق عظام الأجداد !

وهذه المقارنة المستمرة بين القبيلتين وانتماءاتهما .. ومع الغزل المستمر لجمال الطبيعة في الغابة .. والاشادة بالقوة والشجاعة والحب التي تتميز به القبائل الأصيلة .. لابد وأن ينتهي الفيلم بانتصار تلك القبائل ... بل إن هذا الابن الأبيض الذي رفض أن يعود مع والده .. هو الذي يقوم بالدفاع عن قبيلته .. وحماية فتياتها من الاختطاف والاغتصاب .. وهو الذي يعود لوالده في المدينة (في مشهد مثير متسلقاً حوائط العمارة الشاهقة ، ليدخل إلى غرفة والديه من النافذة ، تأكيداً لمعنى أنه ابن الغابة الذي لا يلجأ إلى الوسائل العصرية كالمصاعد ، ليصل إلى شقة والديه) وهو يريد والده ليقف بجواره في قضيته لاسترجاع الفتيات المخطوفات ــ ومن بينهن زوجته ــ !

ويتحمس الأب لقضية إبنه .. ويدخل في معركة مع مختطفي الفتيات .. ويحررهن من قبضة الرجل الأبيض .. بل يذهب إلى أقصى مدى .. أن ينسف السد الكبير الذي أنشأه ليحمي قبائل الغابة من زحف المياه عليهم .. وليحفظ لهم مكانتهم في مركز العالم .. كما قال رئيسهم الطبيب الساحر !

وهكذا ينتهي الفيلم منتصراً لانسان الغابة .. وضد الحضارة .. وكأن الفيلم يريد أن يقول لنا إذا كنا نريد السعادة .. فلنعد إلى الغابة .

ولا شك أنها مغازلة تجارية واضحة للاتجاهات الحالية للشباب في أوربا وأمريكا ، الذين ينادون بالعودة إلى الطبيعة ..

والمناقشة الجادة للقضايا ليس مجالها هذا الفيلم .. وإذا استخدمنا المنطق والتحليل لوجدنا في الفيلم عشرات من الأخطاء والتجاوزات والتشويش الفكري ..

إنه فيلم تراه بعينيك فقط .. وكما قلت في البداية إنه يسحبك إلى عالم الخيال والطفولة ، لتستعيد ذكريات طرزان .. ولكن بسينما متطورة بالغة الأناقة والدقة الحرفية .

واذا كان المخرج الانجليزي الأصل «جون بورمان» قد اكتشف طريقاً له من خلال أفلامه الأخيرة ، (من أهمها فيلم اكسكاليبور ــ أو السيف المسحور عن أسطورة الملك آرثر) أن يصنع أفلامه من علاقة الانسان بالطبيعة .. فان فيلم «غابة الزمرد» يفتح مجالاً جديداً للسينما العالمية للدخول في عالم الغابات بكل أسرارها وكنوزها .. فقط نتمنى أن يكون هذا الدخول ببعض الحكمة .. والكثير من المنطق .

فالأطفال لا يظلون أطفالاً طول العمر !

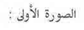
رءوف توفيق



حاول أن تعرف



الصورة الأولى : أحد المساجد الشهيرة ، ويطلق عليه اسم مؤسسه الذى حرص على أن يدفن به ــ ما إسم هذا المسجد وفي أي مدينة عربية يقع ؟





الصورة الثانية :

واحد من أعظم القواد وأبرز الشخصيات في التاريخ رغم أنه قد توفى في الثالثة والثلاثين من عمره ــ حيث كان ينوى فتح العالم بأسره . وقد ولد سنة ٣٥٦ قبل الميلاد ، وتوفى سنة ٣٢٣ قبل الميلاد أيضا ، وقد تتلمذ على أرسطو لذلك حرص على نشر الحضارة الاغريقية فى البلاد التي فتحها ــ وكان يأمل فى توحيد الشرق والغرب والربط بينهما لا بالقوة وإنما بالمساواة والمحبة .
من هو هذا الشاب ؟

هــــــل تعــــــلم؟

• أول من حمل لقب أمير المؤمنين الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد أطلق عليه هذا اللقب لبيد بن ربيعة الذي ابتكر هذا اللقب حتى لا يقال له ياخليفة خليفة رسول الله .

• ان أول من وضع النقاط على الحروف العربية هو العالم العربي نصر بن عاصم بناء على طلب الحجاج بن يوسف الثقفي .

• ان أول من أنشأ الشرطة العربية كان الخليفة أبو بكر الصديق عندما أمر بطواف العسس في الليل وكان عبد الله بن مسعود أول من قام بهذه المهمة .. أما إسم الشرطة فقد اطلقه علي بن أبي طالب على رجال الأمن .

• ان أول معركة بحرية إسلامية هي معركة ذات الصواري التي وقعت عام ٣٥هـ في عهد الخليفة عثمان بن عفان وقد قاد الاسطول الاسلامي عبدالله بن أبي سرح .

أحمد محمد باذيب

كريتر ــ عدن اليمن الديمقراطية

لقطة الشهر



في رحاب الله

فازت بالجائزة وقدرها مائة ريال قطري
القارئة : لينا حربي مشتهى .
الدوحة — قطر

فن التأويل



يروى أن رجلاً قال للامام أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه ما تقول في رجل قال : لا أرجو الجنة ، ولا أخاف النار وآكل الميتة وأشهد بما لم أر ، ولا أخاف الله .. وأصلي بلا ركوع ولا سجود ، وأبغض الحق ، وأحب الفتنة . فقال أبو حنيفة لمن حوله : ما تقولون أنتم في هذا الرجل ؟ قالوا : شر رجل .. هذه صفة كافر . فتبسم أبو حنيفة وقال : لقد شنعتم القول فيه — هو والله من أولياء الله تعالى حقا ، فأما قوله : لا يرجو الجنة ولا يخاف النار فإنه يرجو رب الجنة ، ويخاف رب النار وأما قوله لا يخاف الله فإنه لا يخاف ظلمه ولا جوره .. قال تعالى : « وما ربك بظلام للعبيد » وأما قوله : يأكل الميتة .. فهو يأكل السمك وقوله : يصلي بلا ركوع ولا سجود ، فقد جعل أكثر عمله الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويصلي على كل مسلم ومسلمة ويدعو للأحياء والأموات .

وأما قوله : ليشهد بما لم ير : فهو شهادة الحق .. يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله وقوله : يبغض الحق .. فهو يحب البقاء .. ويكره الموت وهو الحق .. قال تعالى : « وجاءت سكرة الموت بالحق »

وأما الفتنة : فإن القلوب مجبولة على حب المال والولد .. وذلك من الفتنة العظيمة على قلوب المؤمنين .. قال تعالى .

« إنما أموالكم وأولادكم فتنة »

مجدى محمد جاد كشك

قليوب البلد — مصر

فصاحة فتى

سأل هشام بن عمرو ، فتى اعرابيا عن عمره فبادره هشام بالسؤال :

هشام : كم تعد يا فتى العرب ؟
الفتى : أعد من واحد إلى ألف وأكثر
هشام : لم أرد هذا ، بل أردت كم تعد من السن ؟
الفتى : إثنين وثلاثين سناً في فمي ستة عشر من فوق ومثلها من تحت
هشام : لم أرد هذا .. كم لك من السنين ؟
الفتى : قدرها لله سبحانه
هشام : قصدى أن أسألك ما سنك ؟
الفتى : سني من عظم
هشام : يا بني إنما أقصد ابن كم أنت ؟
الفتى : طبعا ابن اثنين أب وأم
هشام : يا الله أريد أن أسألك ماعمرك ؟
الفتى : الأعمار بيد الله لايعلمها إلا هو
هشام : ويحك يافتى ، لقد حيرتني ، ماذا أقول ؟
الفتى : قل كم مضى من عمرك ؟

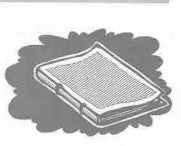
عبدالوهاب النذير — الجزائر

دوحة القراء

مسابقة الدوحة



المسابقة الشعرية



.. كان عبد الوهاب بن نصر المالكي من أهل بغداد .. وكان أديباً شاعراً .. ثم ساءت أحواله وسدت في وجهه السبل .. فترك بغداد وهاجر إلى القاهرة عاصمة الخلافة الفاطمية في ذلك الوقت وأقام بها .. وقبل مغادرته بغداد ، ودعها بقصيدة عبر فيها عما يشعر به من حزن لفراقها ويشير إلى أسباب رحيله عنها فقال :

سلام على بغداد من كل منزل
وحق لها مني السلام المضاعف
فوالله .. ما فارقتها عن قلى لها
واني بشطي جانبيها لعارف
ولكنها ضاقت على برحبها
ولم تكن « المقصود » فيها تساعف

المقصود » أو الكلمة الأصلية » عند الشاعر مكونة من سبعة حروف :

٣ ، ٤ ، ٥ شيء يؤكل .
١ ، ٢ ، ٦ ، ٤ ، ٧ عدم إمكانية النوم .

عبارة شهيرة .. من هو قائلها؟

« إنه لا جدوى من إفهامك الطبيب أن مريضه محتاج إلى راحة أكثر وملابس أفضل ومأكل أنفع وبيت أنقى في هوائه وجدارة وليست حاجته إلى العقاقير » .

هذه العبارة قالها كاتب ايرلندى ساخر في روايته « حيرة الأطباء » وله روايات أخرى كثيرة منها « عقدة غير معقولة » و « الحب بين الفنانين » و « صناعة كاشيل بيرون » .. أما مسرحياته فكثيرة .. من أشهرها « أندروكليز والأسد » و « عربة التفاح » و « بيجماليون » و « قيصر وكليوباترة » .

إسم هذا الكاتب مكون من مقطعين وثمانية أحرف :

١ ، ٢ عكس بحر .
٣ ، ٤ ، ٥ لهب .
٣ ، ٨ ، ٢ عكس ظلام .
٧ ، ٥ عكس خير .
٦ ، ٨ ، ٣ كتب .

جواز سفر

هذه بيانات جواز سفر شخصية عربية شهيرة .. حاول أن تعرفه من المعلومات المذكورة في جواز سفره .. والتى تلقى ضوءاً على جوانب حياته :

سنة الميلاد : ٧٢١ ميلادية .

مكان الميلاد : ما بين بغداد والكوفة .

المهنة : البحث في العلوم ومكتشف علم الكيمياء .

أصله : اختلف الرواة في أصله .. فمنهم من قال انه يوناني اعتنق الاسلام وتعرض للاضطهاد .

أعماله : قسم المعادن إلى :

١ ــ ما يمكن تشكيله مثل النحاس والفضة والذهب .

٢ ــ مالا يستطاع تشكيله ولا هو بمائع مثل الجواهر .

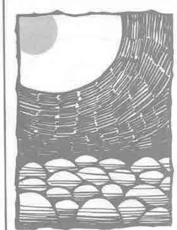
أهم كتبه :

١ ــ الأحجار .
٢ ــ الخالص .
٣ ــ القمر كتاب الفضة .
٤ ــ الشمس كتاب الذهب .
٥ ــ الأسرار .
٦ ــ الزئبق .
٧ ــ الخواص (وهو من أهم كتبه) .
٨ ــ إخـــراج ما في القـــوة إلى الفعل .. وغيرها .

يتكون إسم صاحب هذا الجواز من ثلاثة مقاطع مجموعها عشرة أحرف :

١ ، ٣ ، ٢ ، ٦ بمعنى رعديد .
٤ ، ٥ بمعنى رب .
٢ ، ٦ ، ٩ ، ١٠ ، ٨ محب لنفسه .

مسابقة مدن العالم



حاول أن تعرف إسم هذه المدينة من خلال المعلومات التالية التى تساعدك فى الوصول إلى الحل :

كانت قرية صغيرة تقع فى واد ضيق مجدب .. إسمها قديم كقدمها .. كانت عبر العصور مكان توقف القوافل لوجود مكان العبادات والاعتقادات القديمة بها .. وجد بها أول سوق للكلام يتبارى فيه الشعراء بالتلاعب باللفظ والمعنى ويكافىء سادتها أصحاب القول الحسن بالمال الوفير والطعام الطيب ، ورد إسمها فى القرآن الكريم ولكن مع استبدال الحرف الأول من اسمها .. ويقال ان عمالقة بابل حينما سكنوها أطلقوا عليها لفظا معناه فى اللغة البابلية « البيت » ولها إسم آخر شهير هو أم القرى .

إسم هذه المدينة مكون من ثلاثة حروف :

٣ ، ١ قام أو بدأ

٢ ، ١ سؤال عن العدد

إنها عاصمة إسلامية كبيرة لم يتغير موقعها من الاسلام عبر العصور ..

حل المسابقة الثقافية للعدد ١١٥

١ ـ المسابقة الشعرية : الكلمة المقصودة عند الشاعر عباس محمود العقاد هى : الثرى

٢ ـ عبارة شهيرة من قائلها :

فيرثون

٣ ـ جواز سفر : إسم صاحب الجواز

ت.س. اليوت

٤ ـ مسابقة مدن العالم : مدينة الجزائر

أسماء الفائزين

ـ فاز بالجائزة الأولى وقيمتها ٣٠٠ ريال قطرى القارىء : تيسير فرج طه مصر

ـ فاز بالجائزة الثانية وقيمتها ٢٠٠ ريال قطرى

القارىء : حريكه يعقوب خماد ـ السودان

ـ فازت بالجائزة الثالثة وقيمتها ١٠٠ ريال قطرى

القارئة : سميحة محمد حسن ـ الأردن

الفائزون باشتراك لمدة ستة شهور

١ ـ محمد القاضى .... المغرب

٢ ـ حامد يونس إبراهيم .... العراق

٣ ـ سهام حسن زينى .... قطر

٤ ـ أنور محسن صالح العمري ....

اليمن الديمقراطية

٥ ـ فتحى الصادق رجوبه .... ليبيا

٦ ـ القاضي فؤاد .... المغرب

٧ ـ ياسين زايد محمد .... السودان

٨ ـ مجيدة سيوعى .... الجزائر

٩ ـ حنان فتحى الحلاج .... مصر

١٠ ـ أحمد أحمد محسن .... اليمن

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ١١٥

١ ـ أسماء الإمارات السبع التى تتكون منها دولة الإمارات العربية المتحدة ، هى : أبو ظبى ـ دبى ـ الشارقة ـ الفجيرة ـ أم القوين ـ رأس الخيمة ـ عجمان

الفائز : حسن محمد قراميش ـ الأردن

الفائزة : صفاء محيى الدين سعد الدين ـ السودان

٢ ـ الصورة الثانية : للعالم الألمانى « فيلهلم كونراد رونتجن »

الفائز : أحمد عمر سالم ـ السعودية

الفائز : حافظ محمد إبراهيم ـ باكستان

حل استراحة الدوحة للعدد ١١٥

١ ـ أصل وصورة : العين ـ الخد ـ الفم ـ الشعر ـ السوالف : الحاجبان

٢ ـ لعبة الظلام : رقم ٢

٣ ـ لوحة لم تتم : الشاعر كامل الشناوى

٤ ـ يخلق من الشبه أربعين : رقم (٤)

٥ ـ لاقوياء الملاحظة : وردة ـ ثعبان ـ دبوس ـ طماطم ـ حقيبة ـ طائر .

٦ ـ المثل يقول : اللى بيته من زجاج لا يرمى الناس بالحجارة

إن طلع العيب من أهل العيب ما يبقى عيب

٧ ـ هات أجمل تعليق

أنا مهندس الكترونيات وانقاذ هذه المذيعة يحتاج إلى مهندس مجارى

التلفزيون سليم ولكن المذيعة دى تحب تمشي مع الموجة .

أسماء الفائزين فى استراحة الدوحة

١ ـ هاله مروان جراير ....

الإمارات العربية المتحدة

٢ ـ إيناس عبد العزيز الكوارى .... قطر

٣ ـ هاشم حبيب الرسول هاشم .... السودان

٤ ـ عبد الوهاب خليل محمد ..... السعودية

٥ ـ الماذونى هشام .... المغرب (إشتراك)

٦ ـ خالد سالم إبراهيم............... الأردن

٧ ـ عبد العظيم عبد الحليم عبدالله . السودان

٨ ـ ماهر مصطفى العقاد .... الكويت

٩ ـ خالد صالح طه .... السعودية

١٠ ـ شهاب محمد الطيب .... مصر

١١ ـ أحمد على منصور .... البحرين

١٢ ـ وفاء كباشي الفحل .... السودان

١٣ ـ محمد إبراهيم السدحان ...... السعودية

١٤ ـ عبدالفتاح محمود إبراهيم .... مصر

« تحـــذيـــر »

التدخــــين يضر بصحــــتك

وننصحـــك بالامتـــناع عنـــه



بقلم
عبد الله الجفري



لأنهم ينسون العقل

نحن نقبل على كل الأشياء التي تبدو جاهزة على سطح هذه الحياة .. نلتهمها ، نستنزفها ، ندور حولها ، ونلهث ، ونتضخم ، ثم ننكمش .. نتضاءل ، وتعترينا حالات « التفاني » والامتصاص العجيبة ، ثم القاتلة أحياناً !

إننا بعد الأخذ والامتلاك نعترف ، أو نتحجج بأن ما أخذناه جاهزاً ، وفي محتوى أيدينا لم يكن أكثر من شيء رخيص ملقى باهمال ، وأن ذلك الشيء هو دعوة لاهتبال الفرص ، والاستقلال ، وأن الحياة في مخاضها الاجتماعي ليست أكثر من « فرص » إن لم نستغلها لا نكسب شيئاً ! !

وأحدكم يريدني أن أخرج من هذا الكلام المعمى ، أو من هذه الصورة غير الواضحة إلى الرؤية .. أو من التلميح إلى التصريح ، وأعترف أنني ــ ككاتب ــ يود معالجة ما أسميه حتى الآن ظاهرة ، أخجل كثيراً أن أجسد الاستغلال ، أو المادية المتعفنة في صورة إنسان ! !

ولكن حدث ذلك بالفعل .. واسمعوا الحكاية بظلالها الكاملة :

ــ هو شاب يضع قدميه على عتبة العشرين أو يكاد ، يعرف أن أهله الموسرين أو الصاعدين إلى الغنى يمرجحونه غالباً ، ولا يرفضون له طلبا ، فهو عزيز وغال .. اهتم أهله بالعاطفة فيه ، وبالمظهر ، وبالرغبات ، ونسي أهله أن يهتموا برأسه أو بالعقل الذي ينبغي أن يكون متوفراً فيه !

إنه ما زال طائشاً أو غير ملتزم ، ولكن الفلوس في جيبه كما يريد ، ومقود السيارة بين يديه متى شاء !

وجاء يوماً إلى أهله يطلب مبلغاً كبيراً من المال ليبدأ به مشروعاً تجارياً في مدينة أخرى ، ولكنهم لم يقتنعوا برجاحة عقله ما دام أن الأمر وصل إلى المال الكثير ، فقالوا له : ليس الآن ، وانما بعد أن نزوجك !

لم يعد على لسانه إلا هذا السؤال : متى ستزوجونني ؟! .. وتجح إلحاحه ، وانتشر كل أهله يبحثون عن عروس جميلة و « متريشة » أيضاً . ورفض الكثير ، فالشاب معروف جداً جداً ! !

* * *

ولم ييأس الشاب حتى عثر على ضالته ، أو هكذا حسب ما وجد ، وتقدم لخطبة فتاة سأل والدها عنه بعض الناس فلم يخلصوا له النصح ، ورضي الأب وأقاموا الزينات احتفاء بعقد القران ، وكان الشاب فيما يبدو مرحاً .. دمث الأخلاق . لطيف المعشر . مهذب اللسان . حتى إذا انقضى شهر واحد على عقد القران فسخ الشاب مسوح الأخلاق الذي كان يرتديه وظهرت نواياه . كان يريد أن يجعل الزواج صفقة تجارية ، إذ لم ينجح في الحصول على رأس مال يبدأ به مشروعا تجارياً ، فهداه تفكيره إلى استخدام الزواج كلعبة تجارية مربحة ومضمونة ، وأخذ يسيء التعامل مع خطيبته ويشتمها وأهلها بغرض أن ينفروا منه فيطلبون هم برغبتهم فسخ الخطبة .. حتى إذا تأكد من كراهيتهم له أخذ يساوم قائلا :

ــ لن أطلقها إلا بشرطين : أن تعيدوا إلي ما قدمته من مهر ، وأن تدفعوا لي ثلاثة أضعاف المهر لأوافق على الطلاق ! !

وهكذا أصبحت عملية تجارية بحتة ، وفي امكانه أن يكرر هذه اللعبة مع أكثر من أسرة باعتبار أن المخادع لا تغيب عنه حيلة ، وأنه يجد ربحا « ممتعاً » أكثر مما لو فتح مؤسسة تجارية ! !

وهكذا ــ أيضاً ــ وبهذه النظرة إلى مرئيات ومحسوسات الحياة .. نجد مثل هذا اللون من البشر يعالج أفكاره الصعبة ، أو أفكاره المتورمة في دماغه (بالعبط) أو باللامبالاة . إنه لا يقيم اعتباراً لأوزان الحياة ، ولا لمعنى جمال الحياة . كل ما أمامه يتساوى أمام الرغبة ، أو الطمع ، أو الشهرة .. سواء كان كلباً يعوي بعد منتصف الليل ، أو كان انساناً منكفئاً على سريره يتألم !

وهذه اللامبالاة .. فيها الجانب النفسي المعقد الذي تكالبت عليه صرخات الحياة وإغراءاتها . فبدت الحياة في نظر هذا اللامبالي أو الخادع خالية من الأشياء الصعبة ، أو لأنه لا يحفل أبداً بقيم أو بخلق أو بسلوك نظيف ، فلا يرى ما هو صعب في الحياة !

ولكن الصعوبة الوحيدة التي لا يقدر المرء أن يسقطها أو أن يهملها هي : أن لا يجد شيئاً مطلقاً .

إن التفاوت الملحوظ بين الناس .. يتضح في تناولهم لأشياء الحياة فقط .

ومن هنا اصطلحوا على مسميات تداولوها فيما بينهم .. إبتداء من : إنسان محترم .. أي إنسان يحترم نفسه أولاً قبل احترامه للآخرين ، وانتهاء بإنسان تافه .. أي إنسان له نتيجة عند الناس مستمدة من عدم احترامه لنفسه !

ولكن الفجيعة .. أن يصبح هذا الرباط المقدس .. المشمول بالعاطفة وبالرحمة والمودة كما يعلمنا القرآن الكريم .. لا أكثر من صفقة تجارية ، أو عملية تدليس ! !

● جدة